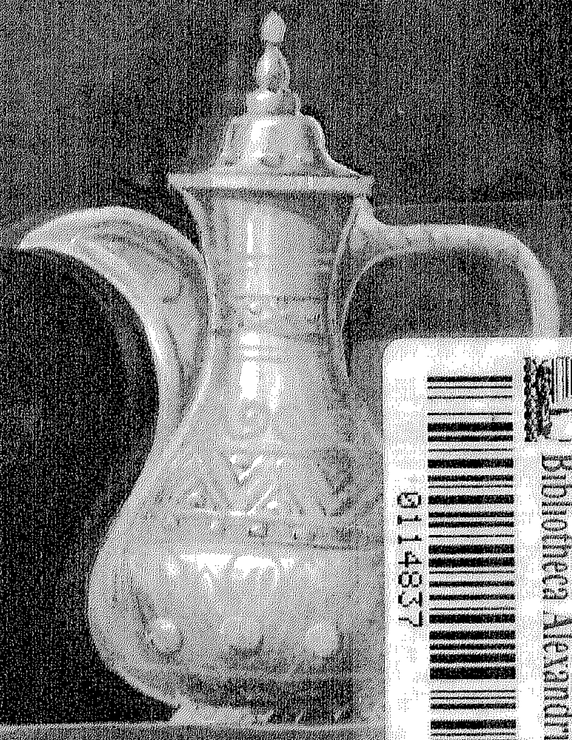
سيرة عمر بن عبد العزيز

للإمام
أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي



اسكندرية ت: ٤٤٥٩٧٢٣

سيرة ومناقب

عمر بن عبد العزيز

سيرة ومناقب

عمر بن عبد العزيز

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

تحقيق

طه عبد الرءوف سعد

دار ابن خلدون

اسكندرية ☎ ٤٤٥٩٧٢٣

الطبعة الأولي
1417 هـ - 1996م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
11863 / 96
الترقيم الدولي I.S.B.N
977 - 5731 - 05 - 4

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر إتمامه

أخبرنا الشيخ الإمام ، العالم الأوحد ، الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي الواعظ ، قراءة عليه قال : الحمد لله الذى قدم من شاء بفضله ، وأخّر من شاء بعدله . لا يعترض عليه ذو عقل بعقله ، ولا يسأله مخلوق عن علة فعله. أحمده على حَزَن الأمر وسهله (١) ، وأُصلى على رسوله محمد أشرف من وطئ الحصا بنعله ، وعلى أصحابه وآله وأهله ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإنى كنت قد أفردت لكل شخص من أعلام كل زمن وأخياره ، كتاباً للإعلام بأخباره ، ورأيت أخبار عمر بن عبد العزيز أحق بالذكر ، لأنها تنبه أولى الأمر (على أولى الأمر) (٢) ، وتعين الزاهد فى الدنيا على حمل أعباء الصبر . فلذلك آثرت جمع آثاره ، واخترت ضم أخباره . ولعلها تجمع لقارئها شمل دينه . ويقوى تكرارها على فكره أزر يقينه (٣) . فإن هذا الرجل قدوة لأرباب الولايات والولايات ، ولقد كان فى أرض الله من الآيات . والله الموفق لاجتلاب خصال الأبرار، واجتناب خلال (٤) الأشرار . إنه سميع مجيب .

وقد قسمت هذا الكتاب أربعة وأربعين باباً وهذه ترجمتها:

---

(١) حَزن المكان خشنو غلظ.

(٢) الجملة موجودة فى مختصر هذا الكتاب .

(٣) فى المختصر « تكرارها على سمع فكره »

(٤) فى المختصر « : فعال

(١) فى المختصر « روى » . (٢) فى المختص « الأولة » .

نفعنا الله بمحبته ، ووفقنا لمثل طاعته . إنه كريم مجيب

الباب الأول
فى ذكر مولده

حدثنا الحارث بن أبى أسامة ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : ولد عمر بن عبد العزيز سنة ثلاث وستين . وهى السنة التى ماتت فيها ميمونة زوج النبى ﷺ .

الباب الثانى
فى ذكر نسبه

حدثنا الحارث بن أبى أسامة ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : قال ابن شوذب : لما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عمر بن عبد العزيز ، قال لقيمه : اجمع لى أربع مائة دينار من طيب مالى فإنى أريد أن أتزوج إلى أهل بيت لهم صلاح ، فتزوج أم عمر بن عبد العزيز . قال ابن سعد ، وهو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس . أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . ويكنى أبا حفص .

حدثنا عبد الله بن سعد الزهرى عن عمه يعقوب بن إبراهيم ، قال : أم عمر بن عبد العزيز أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

خبر جد عمر لأمّه :

قال : حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جده أسلم ، قال : بينا أنا مع

عمر بن الخطاب ، وهو يعس بالمدينة ، إذ أعياه ، فاتكأ على جانب جدار فى جوف الليل ، فإذا امرأة تقول لابنتها : يا ابنتاه قومى إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء . فقالت لها : يا أمّتاه ، أو علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ؟ فقالت : وما كان من عزمته يا بنية ؟ قالت : إنه أمر مناديه (١) فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء . فقالت لها : يابنتاه قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء ، فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادى عمر (٢) فقالت الصبية لأمها : يا أمتاه ، والله ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلا . وعمر يسمع كل ذلك . فقال : يا أسلم (٣) علم الباب واعرف الموضع . ثم مضى فى عسسه فلما أصبح قال : يا أسلم امضِ إلى ذلك الموضع فانظر من القائلة ، ومن المقول لها ، وهل لهم من بعل. فأتيت الموضع فنظرت ، فإذا الجارية أيّم لا بعل لها ، وإذا تيك أمها ، وإذا ليس لها رجل . فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته . فدعا عمر ولده فجمعهم . فقال : هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه (٤) ؟ ولو كان بأبيكم حركة (٥) إلى النساء ما (٦) ما سبقه أحد منكم إلى هذه الجارية. فقال عبد الله : لى زوجة ، وقال عبد الرحمن لى زوجة . وقال عاصم يا أبتاه لا زوجة لى فزوجنى . فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم . فولدت لعاصم بنتاً ، وولدت البنت بنتاً ، وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز رحمه الله . قلت : هكذا وقع فى رواية الآجرى ، فلا أدرى ممن الغلط ، وإنما الصواب : فولدت لعاصم بنتاً ، وولدت البنت عمر ابن عبد العزيز ، كذلك نسبه العلماء كما ذكرنا عن محمد بن سعد وغيره .

البشائر بصلاح عمر وعدله :

حدثنا مبارك بن فضالة عن عبد الله بن عمر (أنه كان) كثيراً (ما) يقول : ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً .

وقد ذكره محمد بن سعد فى الطبقات عن نافع عن ابن عمر . وعن نافع عن عمر ابن الخطاب أنه كان يقول : ليت شعرى من ذو الشين من ولدى الذى يملأ عدلاً كما ملئت جوراً .

(١) فى المختصر « منادياً » . (٢) فى المختصر « ولا منادى عمر » ناقص من المختصر .
(٣) فى المختصر « ياسلم » هنا وفى السطر التالى .
(٤) فى المختصر « أو زوجة » .
(٥) فى المختصر « كما » .
(٦) فى المختصر « كما » .

وذكر عن يزيد بن هارون أن دابة من دواب أبيه عبد العزيز ضربته فشجته ،فجعل أبوه يمسح الدم ويقول : سعدت إن كنت أشج بني أمية (١).

قال : حدثنا أبو عوانة عن أبي يحيي إمام الموصل ، قال : أرسل إليّ عبد العزيز بن مروان ، فقال : انظر هل ترى في ولدى خليفة ؟ قال نعم هذا لعمر . فلما استخلف بعث اليه ، فقال : أما تقول فينا مهدى ؟ فهل تراني ذلك المهدى ؟ قال :لا ، ولكنك رجل صالح . قال : فالحمد لله الذى جعلني رجلاً صالحاً .

قال : حدثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : دخل رجل على عمر بن عبد العزيز فأنشده :

إن أولى بالحق في كل حق ... ثم أولى بأن يكون حقيقا

بالتقى والنهى وأخلاقه اللاتى ... تأبى بغيره أن تليقا

من أبوه عبد العزيز بن مروان ... ومن كان جده الفاروقا

الباب الثالث

في ذكر طلبه للعلم وسؤاله العلماء واستشارته إياهم

سماع عمر من عبيد الله :

قال ابن بكير . وحدثني يعقوب ، قال : سمعت أبي يقول : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : لما رويت عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أكثر مما رويت عن جميع الناس .

---

(١) وروى ابن عبد ربه في العقد ، عن بشر بن عبد الله ، أن رجلاً من خراسان قدم على عمر بن عبد العزيز حين استخلف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيت في منامي يقول : « إن الأشج ، من بني أمية يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً » . فولي الوليد فسألت عنه ، فقيل ليس بأشج ، ثم ولي سليمان ، فسألت عنه فقيل ليس بأشج ، ووليت أنت فكنت الأشج . فقال عمر : تقرأ كتاب الله : قال : نعم ، قال : فبالذى أنعم الله عليك ، أحق ما أخبرتني ؟ قال : نعم ، فأمره أن يقيم في دار الضيافة ، فمكث نحواً من شهرين ، ثم أرسل إليه عمر ، فقال : هل تدرى لم احتبسناك ؟

قال : لا . قال : أرسلت إلى بلدك لنسأل عنك ، فإذا صديقك وعدوك عليك سواء ، فانصرف راشداً .

قال ابن بكير ، وحدثني يعقوب عن حمزة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : لو كان عبيد الله حياً (١) ما صدرت إلاَّ عن رأيه ، ولوددت أن لى بيوم واحد ، من عبيد الله كذا وكذا .

نشأة عمر بن عبد العزيز:

قال يعقوب بن سفيان ، وحدثنا سعيد بن عفير ، قال : حدثني يعقوب عن أبيه ، أن عبد العزيز بن مروان بعث ابنه عمر إلى المدينة يتأدب بها ، وكتب إلى صالح بن كيسان بتعاهده . وكان عمر يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم . وكان صالح بن كيسان يلزمه الصلاة . فأبطأ يوماً عن الصلاة قال : ما حبسك ؟ قال: كانت مرحاتي تسكن شعرى ، فقال : بلغ بك حبك تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة ؟ وكتب إلى عبد العزيز بذلك . فبعث إليه عبد العزيز رسولاً فلم يكلمه حتى حلق شعره .

قال : حدثنا أبو عكرمة عن العتبى عن أبيه ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : كنت أصحب من الناس سراتهم . وأطلب من العلم شريفه . فلما وليت أمر الناس احتجت إلى أن أعلم سفساف العلم ، فتعلموا من العلم جيده ورديه وسفسافه .

قال : حدثنا ابن أبى الزناد عن أبيه ، قال : ربما كنت أرى عمر بن عبد العزيز فى إمارته يأتى (٢) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، فربما حجبه ، وربما أذن له .

قال : حدثنا ضمام عن أبى فسل أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير قد جمع القرآن ، فأرسلت إليه أمه فقالت :ما يبكيك ؟

قال : ذكرت الموت . قال : فبكت أمه من ذلك .

قال : حدثنا شعيب بن صفوان ، عن محمد بن مروان ، عن من سمع مزاحماً يقول : قال لى عمر بن عبد العزيز : لقد رأيتى وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان . ثم تاقت نفسى إلى العلم ، إلى العربية فالشعر ، فأصبت منه حاجتى .

قال : حدثنا شعبة عن محمد بن عبد الرحمن قال : قال عمر بن عبد العزيز : ما بقى أعلم بحديث عائشة منها . يعنى عمرة . قال : وكان عمر يسألها .

(١) فى المختصر « لو كان جاء عبيد الله » .
(٢) فى المختصر « بأبى » .

نحول جسم عمر بعد الخلافة :

قال :حدثنا أبو المقدام هشام بن زياد قال :حدثنا محمد بن كعب القرظى قال :عهدت عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير علينا بالمدينة للوليد بن عبد الملك ، وهوشاب غليظ ممتلئ الجسم ، فلما استخلف أتيته بخناصرة فدخلت عليه وقد قاسى ما قاسى . وإذا هو قد تغيرت حاله عما كان ، فجعلت أنظر إليه نظراً لا أكاد أصرف نظرى عنه.فقال : إنك لتنظر إليّ نظراً ما كنت تنظره إليّ من قبل ، يا بن كعب ، قلت : تعجبنى . قال وما أعجبك ؟ قلت لما حال من لونك ، ونفى من شعرك . ونحل من جسمك .

قال : فكيف لو رأيتنى ، يا بن كعب ، فى قبرى بعد ثلاثة . حين تقع حدقتى من وجنتيّ . ويسيل منخرى ، وفمى صديداً ودوداً ، كنت لى أشد نكرة ؟

ثم قال : أعد عليّ حديثاً حدثتنيه عن ابن عباس ، قلت : نعم ،حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : (إن لكل شيء شرفاً . وإن أشرف (٢) المجالس ما استقبل به القبلة ، وإنما تجالسون بالأمانة ، ولا تصلوا (٣) خلف النائم والمحدث ، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم فى صلاتكم ، ولا تستروا الجدر بالثياب ، ومن نظر فى كتب أخيه بغير إذن فكأنما ينظر فى النار (٤) . ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله عز وجل أوثق منه بما فى يده .

طلبه النصح من العلماء :

قال : حدثنا الفضل بن ربيع قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول لما ولى عمربن عبد العزيز الخلافة دعا سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب القرظى ، ورجاء بن حيوة فقال : (إنى قد ابتليت بهذا الأمر فأشيروا عليّ) .

---

(١) فى المختصر « وما تعجبك » .

(٢) فى المختصر « شرف المجالس » .

(٣) فى المختصر « ولا تصلون » .

فقال له سالم : إن أردت النجاة من عـذاب الله فصم عن الدنيا ، وليكن إفطارك منها الموت .

وقال له مـحمـد بن كعب : إن أرت النجـاة من عذاب الله ، فليكـن كبيـر المسلمين عندك أباً ، وأوسطهم عـندك أخاً ، وأصـغرهم عندك ولداً . فـوقّر أباك ، وأكـرم أخـاك ، وتحنن على ولدك .

وقـال له رجاء بن حيـوة : إن أردت النجاة غـداً من عـذاب الله عز وجل ، فـأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، وأكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إذا شئت.

قال : حـدثنا على بن الحسن ، قال : أخبرنى أبو ضـمرة ، قـال : حدثنى صـالح بن حسان ، قـال : أرسل عمر بن عبد العـزيز إلى محمد بن كـعب القرظى قال : (صف لى العدل)

فقال : سألت عن أمـر حسن . كن لصغير المسلمين أباً ، ولكبـيرهـم ابناً، وللمثل منهـم أخاً . وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر أجسـامهم .ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتتعدى ، فتكون عند الله عز وجل من العادين.

قال : حـدثنا عبـد الرحمن بن صـالح عن رجل من بنى حنيفـة قال : قـال محـمـد بن كعب القرظى لعمر بن عبد العزيز :

لا تصحب من الأصـحاب من خطرك عنده على قدر قـضاء حاجتـه ، فإذا انقطعت حاجتـه انقطعت أسباب مـودته . اصحب من الأصحاب : ذا العلى فى الخـير ، والأناة فى الحق .يعينك على نفسك ، ويكفيك مؤنته.

قال ابن إسـحاق : وحـدثنا إسمـاعيل . عن جـرير ، عن مغيرة قـال : قال عـمر : لو أدركنى عبيد بن عبد الله بن عتبة إذ وقعت فيما وقعت فيه . لهان علىّ ما أنا فيه .

* * *

الباب الرابع (١)

فى ذكر طرف مما أسند من الحديث عن رسول الله ﷺ

روايته عن أنس :

أسند عمربن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، الحديث عن جماعة من الصحابة ، وعن جماعة من كبار التابعين ، إلاّ أنه كان مشغولاً عن الرواية . فلذلك قل حديثه . ونحن « نذكر طائفة» من حديثه يستدل بها على من سمع منه وروى عنه .

فمن جملة ما أسند عنه من الصحابة أنس بن مالك . رآه عمر وروى عنه . وصلى أنس بن مالك خلفه .ومما أسند عن أنس ما أخبرنا به أبو الحسن قال : حدثنا ـ أو قال : حدثنى ـ الحارث بن محمد العنزى عن إسماعيل بن أبى حكيم . عن عمر بن عبد العزيز ، عن أنس بن مالك .

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن عليكم عدواً من غيركم ثم تدعونه فلا يستجيب لكم ».

قال الدارقطنى ، وحدثنى الحارث ، عن إسماعيل بن حكيم ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله ﷺ من أوجز (٢) الناس صلاة فى تمام

روايته عن ابن عمر :

ومما أسند عن ابن عمر رضى الله عنهما. قال :أخبرنى سعيد بن يعيش عن جده قال له عمرو بن سالم ، عن أبيه ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى يحب الشاب الذى يفنى شبابه فى عبادة الله ، ويحب

---

(١) هذا الباب ناقص من نسخة المختصر .

(٢) سقطت من الأصل لفظة « أوجز » . وقد ورد من هذا المعنى حديث معمر ، عن حميد ، ـ عن أنس قال قال رسول الله ﷺ من أتم الناس صلاة وأوجزه . « رواه أحمد فى مسنده ٣ص ١٠٠ » .

الإمام المقسط ، وأجره أجر من يقوم ستين عاماً يصوم نهاره ويقوم ليله .

الدارقطني : قال عبد الله بن عمر ، وخالفه غيره . فقال ابن عمر وهو الصواب .

قال : حدثنا محمد بن الفضل بن عطية ، عن سالم الأفطس ، عن عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر ، عن النبي ﷺ ، قال : (إن الله يحب الشاب الذى يفنى شبابه فى طاعة الله) .

روايته عن ابن جعفر :

ومما أسند عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، رضى الله عنه قال : حدثنا يونس بن أبى إسحاق ، عن عبد العزيز[1]، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أسماء بنت عميس قالت : علمنى رسول الله ﷺ دعوة الكرب ، قال : (إذا نزل بكِ كربٌ فقولى : الله الله ربى لا أشرك به شيئاً)

وقد رواه الفضل بن دكين فأدخل بين عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن هلال ، مولى عمر ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن جعفربن أبى طالب ، قال : علمتنى أمى أسماء بنت عميس . شيئاً أمرها به رسول الله ﷺ أن تقول عند الكرب : (الله الله ربى لا أشرك به شيئاً) قال القرشى : لا شريك له.

روايته عن ابن أبى سلمة :

ومما أسند عن عمرو بن أبى سلمة المخزومى . قال : حدثنا إبراهيم بن أبى يحيى .عن إسماعيل بن أبى حكم ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عمر بن أبى سلمة أنه رأى النبى ﷺ يصلى فى ثوب واحد متشحاً به وقد خالف بين طرفيه .

هذا غريب من حديث عمر بن عبد العزيز ، تفرد به الحسن ، عن عبد الكريم .

روايته عن السائب :

ومما روى عن السائب . والسائب هو ابن أخت نمر ، مسح رسول الله ﷺ رأسه ، ودعا له ، وحج حجة الوداع معه . قال : حدثنا عبد الرحمن بن عوف . قال : سمعت

(١) أى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز .

عمر بن عبد العزيز يسأل السائب ابن أخت النمر : ما سمعت في سكنى مكة ؟ (للمهاجر ثلاثة أيام بعد الصدر) .

حدثنا القاسم بن مالك المزني عن الجعيد ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول للسائب بن يزيد : هل رأيت أحدا من أصحاب رسول الله يأتزر الرداء ويرتدى الرداء ثم يخرج ؟ قال : نعم . قال : لو صنع ذلك أحد اليوم لقيل : مجنون

روايته عن ابن سلام :

ومما روى عن يوسف بن عبد الله بن سلام . قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن (1) عن عمر بن عبد العزيز . عن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه قال : كان النبي ﷺ قلّ ما يحدّث ، إلاّ يلمع ببصره إلى السماء .

إرساله الحديث:

وقد أرسل الحديث عن جماعة من القدماء . منهم : عبادة بن الصامت . قال : حدثنا إبراهيم بن يحيى عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ . كان إذا دخل رمضان قال : « اللهم سلمنى لرمضان ، وسلم لى رمضان ، وتسلمه منى مقبلاً » .

ومنهم : تميم الدارى . قال : أخبرني سعيد بن يعيش ، عن جده عن عمر بن سالم الأفطس، عن أبيه . عن عمر بن عبد العزيز ، عن تميم الدارى . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من لقى الله عز وجل بخمس لم يحجب عن الجنة : النصح لله عز وجل ، والنصح لكتاب الله ، والنصح لرسول الله ﷺ ، والنصح لأئمة المسلمين . والنصح لعامة المسلمين » .

ومنهم المغيرة بن شعبة . قال : حدثنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر . قال : حدثنا عمر بن عبد العزيز ، عن المغيرة بن شعبة ، أن النبي ﷺ - ورواه عبد الرحمن بن عوف - قال : « إنه لم يمت نبي حتى يصلى وراء رجل صالح من أمته ».

---

(1) بياض في الأصل .

وأرسل الحديث عن عائشة ، رضى الله عنها ، قال : حدثنا أسامة بن زيد ، عن زياد ابن عبد العزيز ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصلي في الحجرة ، يفرق بين الشفع والوتر ، أسمع تسليمه وأنا فى البيت .

.وعن أم هانيء . قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن قيس ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أم هانى ، قالت : صلى رسول الله ﷺ فى بيتى يوم الفتح ثمانى ركعات.

وعن خولة بنت الحكم . حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن ابن أبي سويد ، عن عمر بن عبد العزيز قال : سمعت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ خرج ، وهو محتضن أحد ابنى ابنته حسناً أوحسيناً عليهما السلام ، وهو يقول : « إنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله عز وجل » .

فصل
قصته مع مولى على

وقد ذكر عمر بن عبد العزيز أنه سمع عدة من أصحاب رسول الله ﷺ .قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب قال : حدثنى عمر بن مورق قال : كنت بالشام وعمر بن العزيز يعطى الناس ، قال : فتقدمت إليه ، فقال لى : ممن أنت؟ قلت من قريش . قال : من أى قريش ؟ قلت من بنى هاشم. قال : من أى بنى هاشم فسكت ، فقال : من أى بنى هاشم ؟ فقلت : مولى على بن أبى طالب ، قال : فوضع يده على صدره وقال لى : أيا مولى على بن أبى طالب ، حدثنى عدة أنهم سمعوا النبى ﷺ يقول (من كنت مولاه فعلى مولاه) ثم قال : يا مزحم ، كم تعطى أمثاله ؟ قال : مائة درهم أو مائتى درهم . فقال : أعطه خمسين ديناراً لولايته لعلى بن أبى طالب عليه السلام

وقد روى هذه القصة أبو النعيم فقال عن زيد بن عمر بن مورق . قال : حدثنا عمر بن شيبة قال : حدثنى عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب قال : حدثنى يزيد بن عمر بن مورق بهذا الحديث . إلا أنه قال : مر على وزاد فى هذا عشرة

دنانير . فقال : يعطى ستين دينارا . ثم قال : الحق ببلدك فسيأتيك مثل ما يأتى نظراءك . وقد رواه الدارقطنى فقال فيه : زريق مولى على عليه السلام .

قال : حدثنا مخلد بن أيوب النصبى . قال : حدثنا مخلد بن الحسن عن هشام قال : وفد زريق مولى على بن أبى طالب ، عليه السلام ، على عمر بن عبد العزيز ، وكان حفظ القرآن والفرائض . فقال : يا أمير المؤمنين إنى رجل من أهل المدينة ، وقد حفظت القرآن والفرائض وليس لى ديوان . قال عمر : ولِمَ يرحمك الله من أى الناس أنت ؟ قال : رجل من موالي بني هاشم . فقال : مولى من ؟ فقال له : رجل من المسلمين . فقال له عمر: إليك أسألك - وصاح به - أتكتمنى من أنت؟ فقال سراً أنا مولى على بن أبى طالب عليه السلام - وكانت بنو أمية لا يذكر على بين أيديهم - فبكى عمر حتى جرت دموعه إلى الأرض ، ثم قال : وأنا مولى على ، أتكاتمنى ولاء على ؟ حدثنى سعيد بن المسيب ، عن سعد بن أبى وقاص ، أن النبى ﷺ قال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » .

فصل

روايته عن جماعة من كبار التابعين

وقد روى عمر بن عبد العزيز عن جماعة من كبار التابعين .

منهم : سعيد بن المسيب، وعبد الله بن إبراهيم بن قارظ ، فمن حديثه عنهما ما أخبرناه على بن عمر قال: حدثنى الليث،عن عقيل ، عن ابن شهاب قال :أخبرنى عمر بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن إبراهيم بن قارظ ، وعن سعيد بن المسيب أنهما حدثاه أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « إذا قلت لصاحبك أنصت ، والإمام يخطب يوم الجمعة ، فقد لغيت » . (١)

قال حدثنا معمر ، عن الزهرى عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن إبراهيم بن قارظ ، عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « توضئوا مما مست النار» .

---

(١) لغوت : من اللغو . السقط فى الكلام وما ليس فيه فائدة .

الأعيان الباقية عند المفلس :

وروى عن أبى بكر بن عبد الرحمن . قال : حدثنا يحيى بن سعيد الأنصارى أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أخبره أنه : سمع عمر بن عبد العزيز أبا بكر بن عبد الرحمن يحدث أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « من أفلس بمال قوم ، فوجد رجل متاعه بعينه فهو أحق به » . هذا حديث صحيح متفق عليه .

أخبرنا ابن أبى عمر ، قال : حدثنا ابن أيوب قال : حدثنا عبد الله بن أحمد قال : حدثنا الدارقطنى عن أبى بكر بن محمد . عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من وجد ماله بعينه عند رجل قد أفلس فهو أحق به » .

قال : حدثنا أحمد بن على بن ثابت ، قال : سمعت محمد بن حزم يقول : سمعت أبا بكر بن الحارث يقول : ـ وهو ابن عبد الرحمن بن الحارث ـ قال سمعت النبى ﷺ يقول : « من أدرك ماله بعينه عند رجل أو إنسان قد أفلس فهو أحق به من غيره » .

قال حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد ، عن أبى بكر الأنصارى ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال : « من وجد ماله عند رجل مفلس فهو أحق به » .

وعن النبى ﷺ أنه سجد فى : ﴿ **إذا السماء انشقّت** ﴾ (١) و : ﴿ **اقرأ** ﴾ .(٢)

حديث خديجة بشأن جبريل :

قال : حدثنا إسماعيل بن حكيم ، قال: حدثنى عمر بن عبد العزيز ، قال : حدثنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، قال: حدثتنى أم سلمة ، قالت : سمعت خديجة رضى الله عنها ، تقول لرسول الله ﷺ : يا رسول الله أتستطيع إذا جاءك هذا الذى يأتيك أن تخبرنى به ؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم . قالت خديجة ، فجاءه جبريل عليه السلام يوماً وأنا عنده فقال رسول الله ﷺ : يا خديجة هذا أخى الذى يأتينى قد جاء ، فقلت له : قم فاجلس على فخذى هذا . فقام فجلس على فخذى الأيمن ، فقلت له : هل تراه ؟ قال:

(١) سورة الانشقاق آية : ١ .   (٢) سورة العلق آية : ١ .

نعم فقلت له : قم ، فتحرك فاجلس على فخذى الأيسر . فقلت : له هل تراه ؟ قال نعم . قالت خديجة : فتحسرت فطرحت عنى خمارى . ثم قلت : هل تراه قال : لا ، فقلت والله هذا ملك كريم ، لا والله ما هذا شيطان ، قالت خديجة : فقلت لورقة بن نوفل . ذلك بما أخبرنى به محمد ﷺ. فقال ورقة : أحق يا خديجة حديثك هذا : قلت : نعم . قال : فإنه نبى حقاً .

روايته عن سالم بن عبد الله بن عمر :

قال : حدثنا مبشر بن إسماعيل ، عن نوفل بن أبى الفرات الحلبى . عن عمر ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : قال النبى ﷺ : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر أو أبى جهل » .

قال : حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبى ، عن نوفل بن أبى الفرات . قال : ذكر عن عمر بن عبد العزيز رفع اليدين فى الصلاة ، فقال : أترون سالماً لم يحفظ عن أبيه ؟ أترون أن أبيه لم يحفظ عن النبى ﷺ ؟

روايته عن ابن عبد الرحمن :

وروى عن ابن سلمة بن عبد الرحمن . قال : حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس . قال : حدثنا عمر بن عبد العزيز : أنسجد فى : ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ [1] فقلت لا . فقال عمر بن عبد العزيز: أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ كان يسجد فى : ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ .

قال: حدثنا إبراهيم بن عمرو بن بكر السكاسكى ، قال : حدثنا أبى ، عن أبى سنان الشيبانى : عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، عن ربيعة ابن كعب . أن النبى ﷺ قال : « أفضل طعام الدنيا والآخرة اللحم » تفرد به محمد بن داود الرملى .

قال : حدثنى أبو علقمة السعدى ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبى سلمة بن

---

(١) سورة الانشقاق آية : ١ .

عبد الرحمن . عن أبي هريرة وابن عباس ، عن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ (١) إحدى عشرة مرة ابتغاء وجه الله نزع الفقر من بين يديه وجعل غناه في قلبه ، وحشي قلبه الحكمة » .

روايته عن عروة :

وروى عن ابن الزبير . قال : حدثنا مروان بن سالم الجرى ، عن عبد العزيز مولى عمر بن عبد العزيز ، عن هلال مولى لهم ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : حدثني عروة بن الزبير ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جُنب توضأ وضوءه للصلاة .

قال : حدثنا ابن علاثة قال : حدثنا إبراهيم ابن أبي عبلة قال : سمعت عمر عمر بن عبد العزيز قال : حدثني عروة بن الزبير ، عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من ساعة تمر بابن آدم لم يكن ذاكراً الله فيها بخير إلا حسر عليها يوم القيامة » تفرد به ابن علاثة.

قال : حدثني شيبة الحضري قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فحدثنا عن عروة بن الزبير . عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث أحلف عليهن : لا يجعل الله عز وجل من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له . وأسهم الإسلام ثلاثة : الصلاة والصوم والزكاة ولا يتولى الله عبداً في الدنيا فيوليه يوم القيامة . ولا يحب رجل قوماً إلاَّ جعله الله معهم . والرابعة لو حلفت عليها لرجوت أن لا آثم لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة » .

روايته عن عبيد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد بن ثابت :

وروى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة .قال: حدثنا مبشر بن إسماعيل ، عن نوفل ابن أبي لفرات . عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان أجود من الريح المرسلة إذا نزل عليه جبريل عليه السلام يدارسه القرآن .

وروى عن خارجة بن زيد بن ثابت ، قال : حدثني ابن عبد الخالق ، مولى حازم، عن

(١) سورة الإخلاص آية : ١ .

عبد الوهاب بن بحت قال : حضرت عمر بن عبد العزيز وأتى موالٍ لسليمان في جراح كانت بينهم ، وعنده سليمان بن حبيب المحابى فقال عمر : قم فاقض بينهم ، واعلم أن رسول الله ﷺ لم يقض فى شجة دون الموضحة ، كما حدثنى خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ قال : حدثنا مبشر بن إسماعيل ، عن نوفل بن أبى الفرات ، عن عمر ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه أن النبى ﷺ قرأ : ﴿ **فيومئذ لا يُعذب عذابه أحد * ولا يُوثِق وثاقه أحد** ﴾ .(١)

روايته عن عامر بن سعد بن أبى وقاص :

وروى عن عامر بن سعد بن أبى وقاص . قال : حدثنا محمد بن المنذرى ، عن عامر ابن سعد بن أبى وقاص ، عن أسامة بن زيد ، عن رسول الله ﷺ قال: ذكر الطاعون عنده فقال : « إنه رجس ، أو رجز ، عذبت به أمة من الأمم ، وقد بقيت منه بقايا ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تهربوا منها » قال محمد بن المنذر فحدث بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال : هكذا حدثنى عامر بن سعد بن أبى وقاص .

قال : حدثنى محمد بن أبى يحيى ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر، وهو أبو طوالة ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه أن النبى ﷺ قال: « من أكل سبع تمرات عجوة فيما بين لابتى المدينة حين يصبح لم يضره شيء حتى يمسى » .

روايته عن أبى بردة:

وقد روى عن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى .قال : حدثنا أبو الدهماء ، عن ثابت البنانى ، عن عمر ، عن أبى بردة ، عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيام ، جمع الله الخلائق فى صعيد واحد ، ثم ترفع لكل قوم آلهتهم التى كانوا يعبدون ، فيوردونهم النار ، ويبقى الموحدون ، فيقال لهم :ما تنتظرون ؟

فيقولون : ننتظر رباً كنا نعبده بالغيب . فيقال لهم : أوتعرفونه ؟

فيقولون : إن شاء عرفنا نفسه فيتجلى لهم فيخرون سُجداً .

فيقال لهم : يا أهل التوحيد .ارفعوا رؤوسكم ، فقد أوجب الله لكم الجنة. وجعل

(١) سورة الفجر الآيتان : ٢٥ـ٢٦ .

مكان كل رجل منكم يهودياً أو نصرانياً في النار » .

قال : حدثنا على بن زيد ، عن عمارة القرشي ، عن أبي بردة قال : رفدنا إلى الوليد ابن عبد الملك ، وكان الذى يقبل في حوائجي عمر بن عبد العزيز ، قال : فلما قضيت حوائجي أتيته فودعته ، وسلمت عليه ، ثم نهضت فذكرت حديثاً حدثني به أبي ، سمعه من رسول الله ﷺ ، فأحببت أن أحدثه . فرجعت إليه ، فلما رآني قال : لقد رد الشيخ حاجة فلما قربت منه قال : أليس قد قضيت حاجتك ؟ قال: قلت : بلى ولكن حديث سمعته من أبي ، سمعه من رسول الله ﷺ ، فأحببت أن أحدثك به لما أوليتني ، قال : فقال : وما هو ؟ قال : حدثني أبي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« إذا كان يوم القيامة ، مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا ، ويبقى أهل التوحيد . فيقال لهم : ما تنتظرون وقد ذهب الناس ؟ فيقولون : إن لنا رباً كنا نعبده في الدنيا لم نره ، قال : وتعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : نعم .فيقال لهم : وكيف تعرفونه ولم تروه ؟ قالوا : إنه لا شبه له .فيكشف لهم الحجاب ، فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ، فيخرون له سجداً . وبقي أقوام في ظهورهم مثل صياصي البقر ، فيريدون السجود فلا يستطيعون ، فذلك قول الله علا وجل : ﴿ **يوم يكشف عن ساقٍ ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون** ﴾ (1) فيقول الله عز وجل : عبادى ، ارفعوا رؤوسكم ، فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلاً من اليهود والنصارى في النار » .

فقال عمر بن عبد العزيز : الله الذى لا إله إلا هو ، يحدثك أبوك هذا الحديث سمعه من رسول الله ﷺ ؟ فحلفت له ثلاثة أيمان على ذلك فقال عمر : ما سمعت في أهل التوحيد حديثاً هو أحب إلى من هذا الحديث

روايته عن الربيع بن سبرة:

وروى عن الربيع بن سبرة الجهنى . قال : حدثنا عبد الرحمن بن معزا ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عمر ، عن الربيع بن سبرة الجهنى ، عن أبيه قال : نهى النبى ﷺ عن متعة النساء يوم الفتح .

---

(1) سورة القلم الآية : ٤٢ .

روايته عن عراك بن مالك :

وروى عن عراك بن مالك. قال . قال : حدثنا حماد بن سلمة . عن خالد الحذّاء عن خالد بن أبى الصلت قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فذكروا الرجل يجلس على الخلاء فيستقبل القبلة ، وكرهوا ذلك ، فحدث عن عراك بن مالك ، عن عائشة أن ذلك ذكر عند النبى ﷺ فقال : « أوقد فعلوها حولوا مقعدى إلى القبلة » .

قال : حدثنى زياد بن أبى زياد مولى عياش ، عن عراك بن مالك قال : سمعته يحدث عمر بن عبد العزيز ، عن عائشة بنت أبى بكر قالت : جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت بنتيها كل واحدة تمرة ، ورفعت تمرة إلى فيها لتأكلها ، فاستطعمتاها ابنتاها ، فشقت التمرة التى أرادت أن تأكلها بينهما . فأعجبنى شأنها ، فذكرتها والذى صنعت لرسول الله ﷺ ، فقال : « إن الله ، عز وجل ، قد أوجب لها بهما الجنة ، وأعتقها من النار بهما » .

روايته عن أبيه :

وقد روى عن أبيه . قال : حدثنا المغيرة بن أبى السعدى قال . حدثنا الحسن بن أبى الحسن ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبيه عن أبى الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا خشى أحدكم نسيان القرآن فليقل : اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبداً ما أبقيتنى وارحمنى بترك ما لا يعنينى ، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى ، وألزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى ، ونور به بصرى ، واشرح به صدرى . واجعلنى أتلوه كما يرضيك عنى ، وافتح به قلبى ، وأطلق به لسانى » .

روايته عن الزهرى :

وروى عن الزهرى . قال : حدثنا على بن عياش ، عن أبى مطيع الاطرابلسى . عن عباد بن كثير . عن عمر ، عن الزهرى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : إن لكل دين خلقاً ، وإن خلق الإسلام الحياء) .

روايته عن محمد بن كعب :

وروى عن محمد بن كعب . قال : حدثنا جعفر بن سليمان قال : حدثنا هشام بن أبى هشام ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز بعث إلى وأنا فى المدينة ، فقدمت عليه ، فلما دخلت ، جعلت أنظر إليه نظراً لا أصرف بصرى عنه تعجباً ، فقال : يا كعب ، إنك لتنظر إلى نظراً ما كنت تنظره ؟ قال : قلت : تعجباً ! قال ما أعجبك ؟ قلت : يا أمير المومنين . أعجبنى ما حال من لونك ، ونحل من جسمك .ونفى من شعرك . قال : فكيف لو رأيتنى بعد ثلاث وقد دليت فى حفرتى ، وسالت حدقتى على وجنتى . وسال منخرى صديداً ودوداً .كنت لى أشد نكرة ؟

حدثنا حديثاً نحفظه عن ابن عباس قال : قلت : أخبرنا ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ ، أن من أشرف المجالس ما استقبل القبلة ، ولا تصلوا خلف النائم والمحدث ، ولا تستروا الجدر بالثياب ، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم فى صلاتكم ، ومن نظر فى كتب أخيه بغير إذن فكأنما ينظر فى النار .

وقال من سره أن يكون أقوى الناس ، فليتوكل على الله ، عز وجل ، ومن سره أن يكون أكرم الناس ، فليتق الله ، ومن سره أن يكون أغنى الناس ، فليكتف برزق الله .(١)

صفات شرار الناس :

ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بشراركم » ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « الذى يأكل وحده ، ويمنع رفده ، ويجلد عبده » .

ثم قال : ألا أنبئكم بشر من هذا ؟ قلنا : بلى يارسول الله . قال : « الذى يبغض الناس ويبغضونه » .

ثم قال : ألا أنبئكم بشر من هذا ؟ أو قال : من ذلك ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « الذين لا يقيلون عثرة .ولا يغفرون ذنباً . ولا يقبلون معذرة » .

ثم قال : « ألا أنبئكم بشر من هذا » ؟ قلنا : بلى يارسول الله . قال : « من خيف

---

(١) سبق إيراد هذا مع تغيير فى اللفظ .

شـره ولم يُرج خيـره . إن عيسى ابن مريم قـام فى بنى إسرائيل فقـال : يا بنى إسرائيل . لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلمـوها . ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، ولا تظالموا بينكم . ولا تعاقبوا ظالماً بظلمه فيبطل فضلكم .إنما الأمور ثلاثة : أمر تبين لك رشده فاتبعه وأمر تبين لك غيه فاجتنبه ، وأمر اختُلِف فيه فَرُدَّه إلى الله تعالى عز وجل ». (١)

سماعه من أبى سلام :

وقد سَمع من أبى سلام - واسمـه ممطور الحبشى - وهو يروى عن ثوبان وأبى أُمـامة . قال : حدثنا إسـماعيل بن عياش ، عن العبـاس بن سالم اللخمى قال : بعث عمـر بن عبد العزيز إلى أبى سلام الحبشى يحمل على البريد .

فلمـا قدم عليـه قال : لقـد شق علىّ . قال عـمر : ما أردنـا ذلك . ولكنه بلغنى عنك حديث ثوبان فى الحوض ، فأحببت أن أشافهك بـه . فقال : سمعت ثوبان يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقـول : « إن حوضى من عـدن إلى عمان البلقاء . مـاؤه أشد بياضـاً من اللبن ، وأحلى من العسل . وأكوابه عدد نجوم السمـاء . من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين » .

قال عمر بن الخطاب هم الشعث رؤوساً . الدنس ثياباً . الذين لا ينكحون الممتعات ولا تفتح لهم أبواب السدد .

فقال عمر بن عبد العزيز : لقد فتحت لى السدد . ونكحت الممتعات . لا جرم ، لا أدهن رأسى حتى يشعث . ولا أغسل ثوبى الذى على بدنى حتى يتسخ .

روايته عن أبى حازم وغيره :

وقـد روى عن أبى حـازم ، وخلق يطول ذكـرهم ، اقـتـصـرنا على من ذكـرنا لأنهم المقدمون من الكل . والله الموفق بفضله .

---

(١) أورد هذا ابن عبد ربه فى العقـد الفريد « جـ ٢ ص ٢٦٢ بعد خبـر رد عمر بن عبـد العزيز « فدك » إلى مـا كانت عليه على عهده ﷺ .

الباب الخامس

فى ذكر غزارة علمه وفصاحته وثناء الناس عليه

صلاته أشبه بصلاة رسول الله ﷺ:

قال : حدثنا فليح ، عن محمد بن مساحق ، عن عامر بن عبد الله - يعنى ابن الزبير - عن أنس ، قال : ما رأيت إماماً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا - لعمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة يومئذ وكان عمر لا يطيل القراءة .

قال : حدثنا العطاف بن خالد المخزومى ، قال : حدثنا زيد بن أسلم قال : صلينا مع عمر بن عبد العزيز الظهر ، ثم انصرفنا إلى أنس بن مالك وكان شاكياً . فلما جلسنا قال : أصليتم ؟ قلنا: نعم . قال : يا جارية هلمى وضوءاً ، ما صليت خلف إمام بعد رسول الله ﷺ ، أشبه بصلاة رسول الله من إمامكم - يعنى عمر بن عبد العزيز - قال زيد : وكان عمر يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود .

قال الدارقطنى : وحدثنا محمد بن القاسم بن زكريا قال : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا رشدين بن سعد ، عن عبد الرحمن بن عمر ، مولى عفرة ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك قال : ما رأيت أحد أشبه بصلاة النبى ﷺ من هذا الغلام - يعنى عمر بن عبد العزيز - قال : حدثنا عبد الله بن عمر بن كيسان ، عن أبيه ، قال : سمعت وهب بن قابوس ، عن سعيد بن جبير ، قال : سمعت أنساً يقول : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ ، من هذا الغلام - يعنى عمر بن عبد العزيز - فحررنا عشر تسبيحات فى ركوعه وعشراً فى سجوده .

علمه وفصاحته :

قال : حدثنا أبو بكر بن أبى الأسود قال : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن هشام قال : لما جاء نعى عمر بن عبد العزيز ، قال الحسن : مات خير الناس .

قال : حدثنا ميسر بن عبد اسماعيل ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران قال أتينا عمر بن عبد العزيز فظننا أن يحتاج إلينا ، فإذا نحن عنده تلاميذه ـ أو قال تلامذة .

قال : حدثنا جعفر بن برقان ، قال : حدثني ميمون بن مهران ، قال: حدثنا عمر بن عبد العزيز معلم العلماء .

قال حدثنا سفيان ، عن عمر بن عبد العزيز: كانت العلماء مع يعني عمر بن عبد العزيز تلامذة .

قال : حدثنا سفيان ، عن جعفر ـ أو قال حدثنا عن جعفر بن برقان ـ عن ميمون بن مهران قال : ما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة .

قال: حدثنا عبد الرحمن قال : ما رأيت رجلاً خيراً من يعني عمر بن عبد العزيز.

قال : حدثنا أبو هاشم القرشي قال : قال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز: قد زوجك أمير المؤمنين فاطمة بنت عبد الملك ، فقال : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة ، فأعجب عبد الملك ، فقال بعض أولاد عبد الملك :هذا كلام تعلمه فأدّاه (١) فدخل على عبد الملك يوماً فقال : يا عمر كيف نفقتك ؟ فقال : الحسنة بين السيئتين (٢) يا أمير المؤمنين ، قال : فما هما ؟

قال : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾ . فقال عبد الملك : من علمه هذا .

كلامه لما خطبت إليه أخته :

قال : حدثني محمد بن عبيد الله القرشي ، عن أبي المقدام قال : كانت قريش تستحسن من الخاطب الإطالة ، ومن المخطوب إليه التقصير ، فشهدت محمد بن الوليد بن عتبه بن أبي سفيان خطب إلى عمر بن عبد العزيز أخته ، أم عمر بن عبد العزيز ، فتكلم محمد بن الوليد بكلام جاز الحفظ فقال عمر : الحمد لله ذي الكبرياء . وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء . أما بعد . فإن الرغبة « منك دعيت إلينا . والرغبة » (٣) فيك

(١) في المختصر « فآداه » . (٢) في المختصر « السئتين » .

(٣) مثبتة في المختصر المطبوع .

أجبت (منا) [1] وقد أحسن بك ظناً [2] من أودعك كريمته واختارك ولم يختر عليك .

قال : حدثنى محمد بن كعب القرظى قال : اجتمع نفر من علماء أهل الشام وعلماء أهل الحجاز ، فكلمنا عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز فقلنا : نحب أن تسأل [3] عمر ونحن نسمع عن قول الله تعالى : ﴿ **وأنّى لهم التناوش من مكان بعيد** ﴾ [4] قال فسأله ونحن نسمع ، فقال عمر : سألت عن التناوش وهى التوبة طلبوها حين لم يقدروا عليها .

قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثنى الليث أن إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز حدثه أنه سمع أباه يقول لابن شهاب : ما أعلمك تعرض عليَّ شيئاً إلا شيئاً قد مر [5] على مسامعى إلا أنك أوعى له منى .

قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن معمر ، عن الزهرى قال : سمرت [6] مع عمر بن عبد العزيز ليلة ، فحدثته فقال : كل ما حدثت به فقد سمعته، ولكنك حفظت ونسيت . [7]

زيارة مكحول لقبر عمر :

قال هشام بن الغاز : نزلنا منزلاً مرجعنا [8] من دابق ، فلما ارتحلنا مضى مكحول ولم يعلمنا أين ذهب ، فسرنا كثيراً حتى رأيناه ، فقلنا : أين ذهبت ؟ قال : أتيت قبر عمر بن عبد العزيز ، وهو على خمسة أميال من المنزل ، فدعوت له ثم قال : لوحلفت ما استثنيت ما كان فى زمانه أخوف لله ، عز وجل ، من عمر ، ولوحلفت ما استثنيت ، ما كان فى زمانه أزهد فى الدنيا من عمر .

قال : حدثنا سفيان قال : مات عمر بن عبد العزيز ، حين مات وما يزدادعاما بعد عام إلا فضلاً .

---

(١) مثبتة فى المختصر المطبوع . (٢) فى المختصر « الظن » . (٣) فى المختصر « نسأل » .
(٤) سورة سبأ آية ٥٢ . (٥) فى المختصر قدم . (٦) فى المختصر « شهدت » (٧) فى المختصر « ونسيت » .
(٨) محذوفة فى المختصر .

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن أحمد بن الأشعث ، عن سعيد بن أبى عروبة ، قال له رجل : رأيت فلاناً لم يقبل الحجر ، قال : قد رأيت من هو خير منه يقبله ، فقيل له : من يا أبا النضر خير منه قيل : الحسن ؟ قال : خير منه (١) رأيت عمر بن عبد العزيز يقبل الحجر .

الباب السادس

فى ذكر ما يروى من شهادة رسول الله ﷺ له بأنه خير أهل زمانه

حكاية الهاتف من الجن :

قال : حدثنا محمد بن (٢) ـ أو قال : حدثنا محمد بن فضيل ـ عن أبيه ، عن العباس بن راشد ، قال ، قال : نزل بنا عمر بن عبد العزيز (منزلاً) (٣) ، فلما رحل ، قال لى مولاى ، اخرج معه فشيعه .

قال : فخرجت معه ، فمررنا بواد فإذا نحن بحية ميتة على الطريق ، قال : فنزل عمر فنحاها وواراها ، ثم ركب وسرنا فإذا نحن بهاتف يهتف ، وهو يقول : يا خرقاء ! يا خرقاء ! قال فالتفتنا (٤) يميناً وشمالاً فلم نر أحداً .

فقال عمر : أسألك بالله أيها الهاتف إن كنت ممن يظهر إلا ظهرت وإلا أخبرتنا ما الخرقاء ؟ فقال : الحية التى دفنتم بمكان كذا وكذا ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ ، يقول لها يوماً : يا خرقاء ! تموتين بفلاة من الأرض . يدفنك خير مؤمن أهل الأرض يومئذ .

فقال له عمر : من أنت ، يرحمك الله ؟

قال أنا من التسعة الذين بايعوا رسول الله ﷺ فى هذا الوادى . فقال له : الله ! لأنت سمعت هذا من رسول الله ؟

قال : الله ! إنى سمعت هذا من رسول الله . فدمعت عينا عمر وانصرفنا . قال :

---

(١) فى المختصر « قال خير من الحسن » . (٢) بياض فى الأصل .
(٣) من المختصر . (٤) فى المختصر « فالتقينا » .

وحدثنا العباس بن راشد قال : زار عمر بن عبد العزيز مولاى ، فلما أراد الرجوع قال لى شيّعه .

فلما برز فإذا نحن بحية سوداء ميتة . فنزل عمر ، فدفنها . فإذا هاتف يهتف : يا خرقاء ! يا خرقاء ! إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لهذه الحية : لتموتن بفلاة من الأرض وليدفننك خير أهل الأرض يومئذ .

فقال عمر : نشدتك الله إن كنت ممن يظهر إلا ظهرت لى فقال : أنا من التسعة الذين بايعوا رسول الله ﷺ فى هذا الوادى . وإنى سمعته يقول لهذه الحية : لتموتن بفلاة من الأرض ، وليدفننك خير أهل الأرض يومئذ .

قال : فبكى عمر حتى كاد يسقط عن راحلته . وقال يا راشد أنشدك الله لا تخبر بهذا أحداً حتى يوارينى التراب .

وقد روى من غير طريق راشد . قال : حدثنى يوسف بن الحكم قال : حدثنى فياض ابن محمد الرقى ، أن عمر بن عبد العزيز . بينا هو يسير على بغلة له ومعه ناس من أصحابه ، إذا هو بجان ميت على قارعة الطريق ، فنزل عمر ، فأمر به فعدل به عن الطريق ، ثم حفر له فدفنه ، وواراه ، ثم مضى .

فإذا هو بصوت عال يسمعونه ولا يرون أحداً وهو يقول : لتهنك البشارة من الله يا أمير المؤمنين ، أنا وصاحبى هذا ، الذى دفنته آنفاً ، من النفر من الجن الذين قال الله عز وجل : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن** ﴾ [1] وإنا لما أسلمنا وآمنا بالله ورسوله . قال رسول الله لصاحبى هذا : أما أنك ستموت فى أرض غربة ، يدفنك فيها يومئذ خير أهل الأرض .

---

(١) سورة الأحقاف آية : ٢٩ .

الباب السابع
في ذكر ولايته قبل الخلافة

قال حدثنا محمد بن سعد قال : قال أبو الزناد : ولى عمر بن عبد العزيز المدينة فى ربيع الأول سنة سبع وثمانين ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ولاه إياها الوليد بن عبد الملك . فولى عمر على قضائها أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم . ودعا عمر عشرة نفر من فقهاء البلدة [1] منهم : عروة . والقاسم . وسالم ، فقال : إنى دعوتكم لأمر تؤجرون فيه ، وتكونون فيه أعواناً على الحق ، إن رأيتم أحداً يتعدى ، أو بلغكم عن عامل لى ظلامة ، فأحرج بالله على أحد بلغه ذلك إلا أبلغنى . فجزوه خيراً وافترقوا .

قال ابن سعد : وقال أبو إسرائيل : حدثنى على بن بذيمة قال : رأيته فى المدينة وهو أحسن الناس لباسا [2] ومن أطيب الناس ريحا ، ومن أخيل الناس فى مشيته . ثم رأيته بعد ذلك يمشى مشية الرهبان .[3]

شروط عمر لقبوله ولاية المدينة :

قال : حدثنا عبد الرحمن بن حسن ، قال : أخبرنى أبى ، قال : بلغنى أن الوليد بن عبد الملك استعمل عمر(بن عبد العزيز على الحجاز ، المدينة ومكة والطائف) [4] فأبطأ عن الخروج ، فقال الوليد لحاجبه : ويلك ما بال عمر لا يخرج إلى عمله ؟ قال : زعم أن له إليك ثلاث حوائج . قال : فعجله على . فجاء به الوليد ، فقال له عمر : إنك استعملت من كان قبلى ، فأنا أحب أن لا تأخذنى بعمل أهل العدوان والظلم والجور .

---

(١) فى المختصر « البلد يعنى المدينة » .

(٢) فى المختصر «لباس » .

(٣) وزاد أبو يوسف فيما رواه فى « كتاب الخراج » قال : فمن حدثك أن المشية سجية بعد عمر بن عبد الزيز ، فلا تصدقه .

(٤) هذه الزيادة من المختصر .

فقـال : له الوليد : اعمل بالحق ، وإن لم ترفع إلينا درهـماً واحداً فقـال : والحج ـ قد بلغت [١] ما ترى من السن والحال .

وأشك في العطاء أن يكون سأله إياه أن يخرجه للناس .

قال : حدثنا مغيرة بن زياد ، عن أبي عمر مولى أسماء بنت أبي بكر ، قال : خرجت من جدة بهدايا لعمربن عبد العزيز ، وهو على المدينة ، فأتيته في مجلسه الذي يصلي فيه الفجر ، والمصحف في حجره ، ودموعه تسيل على لحيته .

قال : حدثنا ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : كان عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير على المدينة ، إذا أراد أن يجود بالشي قال : ابتغوا أهل بيت بهم حاجة [٢]

ندم عمر على ضرب خبيب:

قال العلماء بالسير : كان خبيب بن عبد الله بن الزبير قد حدّث عن النبي ﷺ أنه قال « إذا بلغ بنو أبي العاص [٣] ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً ، ومال الله دولاً » فبعث الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز، وهو واليه على المدينة ، أن يضربه فمات . فكان عمر إذا قيل له : أبشر [٤] قال : كيف بخبيب على الطريق .

قال : وحدثني عمي مصعب بن الزبير ، قال : كان خبيب قد لقي العلماء وقرأ الكتب [٥] ، وكان من النساك . وأدركت [٦] أصحابنا وغيرهم يذكرون أنه كان تعلم علماً كثيراً لا يعرفون وجهه ، ولا مذهبه فيه ، يشبه ما يدعى الناس من علم النجوم .

أطوار خبيب وكيفية ضربه :

قال عمي مصعب : وحدثت عن مولى لخالته [٧] أم هاشم بنت منظور يقال له : يعلى ابن عقبة ، ، قال : كنت أمشي معه « يعني مع خبيب » وهو يحدث نفسه إذا وقف ثم قال : سأل قليلاً ، فأعطى كثيراً وسأل كثيراً ، فأعطى قليلاً . فطعنه ، فقتله . ثم قال :

---

(١) قوله : « قد بلغت » ليست في المختصر .
(٢) في المختصر : « ابتغوا من له أهل بهم حاجة » . (٣) في المختصر: « بنو العاص » .
(٤) في المختصر : « الشيء » (٥) في المختصر : « ولا يكتب » .
(٦) في المختصر: « وأجد أن » . (٧) في المختصر: « عن قولى لخالته » .

أقبل على فقال : قتل عمرو بن سعد الساعة . ثم مضى . فوجد ذلك اليوم الذى قتل فيه له أشباه هذا يذكرونها والله أعلم ما هى (١) وكان مع ذلك طويل الصلاة قليل الكلام وكان الوليد بن عبد الملك قد كتب إلى عمر بن عبد العزيز ، إذ كان والياً له على المدينة بجلده مائة سوط وبحبسه . فجلده عمر مائة سوط ، وبرّد له ماء فى جرة ثم صبه فى غداة باردة فكز (٢) فمات فيها . وكان عمر قد أخرجه من السجن حين اشتد وجعه ، وندم على ما به صنع ، فنقل إلى آل الزبير .

موت خبيب وحزن عمر عليه :

قال عمى مصعب بن عبد الله : أخبرنى مصعب بن عثمان أنهم نقلوه إلى دار عمر ابن مصعب بن الزبير ، ببقيع الزبير ، واجتمعوا عنده حتى مات ، فبينما هم جلوس ، إذ جاءهم الماجشون يستأذن عليهم ، وخبيب مسجى بثوبه . وكان الماجشون يكون مع عمر ابن عبد العزيز فى ولايته على المدينة . فقال عبد الله بن عروة : ائذنوا له . فلما دخل قال : كأنك فى مرية (٣) من موته ، اكشفوا له عنه (٤) فكشفوا عنه فلما رآه الماجشون انصرف . قال الماجشون : فانتهيت إلى دار مروان فقرعت الباب ودخلت ، فوجدت عمر كالمرأة المخاض قائماً وقاعداً فقال لى : ما وراءك ؟ فقلت مات الرجل . فسقط إلى الأرض فزعاً ثم رفع رأسه يسترجع ، فلم يزل يعرف فيه حتى مات واستعفى من المدينة ، وامتنع عن الولاية وكان يقال له : إنك قد صنعت كذا فأبشر فيقول : كيف بخبيب ؟ .

وحدثنى عمى مصعب بن عبد الله قال: حدثنى هارون بن أبى عبيد ، عن عبد الله ابن مصعب أبى قال : سمعت أصحابنا يقولون : قسم فينا عمر بن عبد العزيز قسماً فى خلافته خصنا به ، فقال الناس : دية خبيب .

قال : حدثنى عثمان بن صلحة ، عن أفلح بن حميد ، أن عبد الله بن مروان لما توفى أسف عليه عمر بن عبد العزيز أسفاً منعه من العيش ، وقد كان ناعماً ، فاستشعر مسحاً سبعين ليلة ، فقال له القاسم بن محمد : أعلمت أن من مضى من سلفنا كانوا يحبون

(١) فى المختصر : « فإنما حلم ما هى » .

(٢) كز الشئ كزازة وكزوزة يبس وانقبض .

(٣) فى المختصر : « مدينة » . (٤) قوله : اكشفوا له عنه » محذوف من المختصر . (٥) فى المختصر : « أنه إنك » .

استقبال المصائب بالتجمل ؟ ومواجهة النعم بالتذلل : فراح من عشية يومه [١] في مقتطعات من حبرة أهل اليمن [٢] ـ أو قال اليمن ـ شراؤها ثمان مائة دينار ، وفارق ما كان يصنع .

الباب الثامن
في ذكر إقدامه على قول الحق عند الخلفاء قبله

كتاب عمر إلى عبد الملك :

قال : حدثنا عبد الوهاب بن بخت المكي ، قال: حدثني عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان :

« أما بعد .. فإنك راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته » . حدثنيه أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ . يقول كل راع مسؤول عن رعيته **﴿ اللهُ لا إله إلا هو لَيَجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً ﴾** . [٣]

فغضب عبد الملك حين بدأ باسمه فقيل : إنه كان يفعل ذلك من قبلك ، فسكن غضب عبد الملك .

براءة عمر من الكذب :

قال : حدثنا محمد بن أبي عمر المكي ، وسفيان بن وكيع ، قالا : حدثنا ابن عيينة عن رجل قال : وقال سفيان عن الماجشون : قال : كلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال له : كذبت . فقال عمر : ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

قال : حدثنا يعقوب بن سفيان قال : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرني أشهب عن مالك قال اقتتل غلمان لسليمان بن عبد الملك ، وغلمان لعمربن عبد العزيز،

---

(١) في المختصر : « عيشة » .
(٢) في المختصر : « في مقطعات من خيرة أهل اليمن » .
(٣) سورة النساء آية : ٨٧.

قال : فضرب « غلمان عمر » غلمـان سليمان ، وقيل له : هذا ما صنعت سربه وفعلت به . فدخل عليـه عمر فـقال له سليمـان ، ما هذا ؟ ضـرب غلمانك غلماني . فـقال عمـر : ما علمت هذا قـبل مقـالتك الآن . فقـال له كذبت فـقال له عـمر : تقـول لي كذبـت ؟ وما كذبت منذ شددت على إزاري ، وإن في الأرض عن مجـلسك هذا لسعة . ثم خرج من عنده وتجهـز يريد الخروج إلى مـصر . فسأل عنه سليـمان حين استبطأه فقـالوا : إنه يريد الخروج إلى مصر ، وقـد تجهز فأرسل إليه سليمان أن ارجـع فادخل عليّ . وقال للرسول : إذا جاءني فلا يعاتبني فإن في المعاتبة حقداً (١) فجاءه عمر فقال له سليمان : ما أهمني أمر قط إلا خطرت فيه على بالي .

قال : حـدثنا سعيد بن أسـد قال : حدثنا ضمـرة ، عن ابن شوذب قال : قال عـمر بن عبـد العزيز: الوليد بن عبـد الملك بالشام ، والحجـاج بالعراق ومحمـد بن يوسف باليمن ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، وقرة بن شريك بمصر ، امتلأت الأرض والله جوراً .

تأنيب عمر لولي عهد سليمان :

قال : حدثني الليث بن سعد ، عن عبد العزيز بن أبي سلمة ، وأخبرنا علي بن إبراهيم قال : حـدثنا عبد الله بن صـالح ، قال : حدثني عـبد العزيز بن أبي سلمـة . عن طلحة بن عبـد الملك الأيلي ، قال : دخل عـمر بن عبـد العزيزعلى سليـمان بن عبـد الملك . وعنده أيوب ابنه ، وهو يومئـذ ولي عهده ، وقد عقـد له من بعده ، فجاء إنسان يـطلب ميراثاً من بعض نساء الخلفاء ، فقال سليمـان : ما إخال النساء يرثن في العقار (٢) شيئاً فـقال عمر بن عبد العزيز : سبحان الله ، وأين كتـاب الله ، فقال : يا غلام اذهب فأتني بسجل عبد الملك ابن مروان الذي كتب في ذلك فقال له عمر : لكأنك أرسلت إلى المصحف . قال أيوب : والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين ثم لا يشعر حتى يفارقه رأسه ، فقال له عـمر إذا أفـضى الأمر إليك وإلى مـثلك ، فمـا يدخل على أولئك أشـد مما خشـيت أن يصيبهم من هذا فقال سليمان لأيوب : مـه ، لأبي حفص تقول هذا : فقال عمر : والله لئن جهل علينا ، يا أمير المومنين ، ما حلمنا عنه .

---

(١) في المختصر : « فإن ....المعاتبة » . (٢) في المختصر : « العقاد » .

قال : حدثني محمد بن بكير ، قال : حدثنا ابن وهب . قال : حدثنى مالك : أن عمر ابن عبد العزيز كان عند سليمان بن عبد الملك . وهو بمنزله ، وكان سليمان يقول : ما هو إلاّ أن يغيب عنى هذا لرجل ، فما أجد أحدا يفقه عنى - فقال له عمر بن عبد العزيز يوماً : حق هذه المرأة ألا تدفعه إليها . قال: وأى امرأة ؟ قال :فاطمة بنت عبد الملك . فقال سليمان : أوما علمت وصية أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قم يا فلان فأتنى بكتاب أمير المومنين - وكان كتب أنه ليس للبنات شىء - فقال له عمر : إلى المصحف أرسلته ؟ فقال ابن سليمان عنده : ما يزال منى رجال يعيبون كتب الخلفاء ، مُرهم حتى تضرب وجوههم . فقال له عمر : إذا كان هذا الأمر إليك وإلى ضرباتك ، كان ما يدخل على العامة من ضرر ذلك أشد مما يدخل على ذلك الرجل من ضرب وجهه . فغضب عند ذلك سليمان ، فسب ابنه ذلك . وقال : أتستقبل أبا حفص بهذا ؟ فقال عمر : إن كان عجّل علينا فقد استوفينا .

تهكم عمر على سليمان :

قال : حدثنا أبو إسحاق الطالقانى ، عن الفضل بن موسى ، عن داود بن عبد الرحمن عن خالد بن عبد الرحمن قال : كنا فى عسكر سليمان بن عبد الملك ، فسمع غناء فى الليل ، فأرسل إليهم بكرة فجىء بهم ، فقال : إن الفَرس ليصهل فتستودق له البغلة [1] ، وإن الفحل ليخطر فتضبع [2] له الناقة . وإن التيس لينب فتستجوم له العنزة وإن الرجل ليغنى فتشتاق إليه المرأة . ثم قال : أخصوهم . قال عمر بن عبد العزيز : هذا مثلة ولا تحل فخلى سبيلهم .

إغرائ عمر فى الأخذ بمبدأ المساواة :

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى ، قال : حدثنا أبى عن جدى قال : كان عمر ابن عبد العزيز ينهى سليمان بن عبد الملك عن قتل الحرورية ، ويقول : ضمنهم الحبوس حتى يحدثوا توبة . فأتى سليمان بحرورى مستقتل ، فقال سليمان : علىّ بعمر بن عبد العزيز. ،لما أتاه عمر عاود سليمان الحرورى ، فقال : ماذا تقول ؟ فقال : ماذا أقول

(١) فى المختصر : « الزمكية » . (٢) فى المختصر : « لتضيع » .

يا فاسق ابن الفاسق ؟ فقال سليمان لعمر : ما ترى عليه يا أباحفص ؟ فسكت . فقال : عزمت عليك لتخبرني ماذا ترى عليه : قال : أرى عليه أن تشتمه كما شتمك ، وتشتم أباه كما شتم أباك فقال سليمن : ليس إلا؟ « قال : ليس إلا ، فلم يرجع سليمان إلى قوله » [١] فأمر به فضربت عنقه .

حسن نظر عمر في توليته عماله :

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى ، قال : حدثني أبي ، عن جدى ، قال : كان عمر بن عبد العزيز ينهى سليمان عن قتل الحرورية . ويقول : ضمنهم الحبس حتى يحدثوا توبة . فأتي سليمان بحروري مستقتل فقال له سليمان ، إيه ؟ فقال إيه ؟ نزع الله لحييك يا فاسق ابن الفاسق .

قال سليمان : عليّ بعمر بن عبد العزيز ، فلما أتاه عمر ، عاود سليمان الحروري ، فقال له : ما تقول ؟ قال: وماذا أقول يا فاسق ابن الفاسق ؟ قال سليمان لعمر : يا أبا حفص ماذا ترى ؟ فسكت عمر . فقال : عزمت عليك لتخبرني ماذا ترى عليه ؟ قال : أرى عليه أن تشتمه كما شتمك . قال سليمان : ليس إلا ؟ « قال ليس إلا . فلم يرجع سليمان إلى قوله » [٢] ، فأمر به فضربت عنقه . وقام سليمان وخرج ، وتبعه خالد بن الريان صاحب حرس سليمان ، فقال يا أبا حفص ، تقول لأمير المؤمنين ما أرى عليه إلا أن تشتمه كما شتمك ؟ والله لقد كنت متوقعاً أن يأمرني بضرب عنقك .

قال : لو أمرك لفعلت : قال إني والله لو أمرني لفعلت . فلما أفضت الخلافة إلى عمر ، جاء خالد بن الريان وقام مقام صاحب الحرس - وكان قبل ذلك على حرس الوليد وعبد الملك - فنظر إليه عمر فقال : يا خالد ضع هذا السيف عنك ، اللهم إني قد وضعت لك خالد بن الريان ، اللهم لا ترفعه أبداً ، ثم نظر عمر في وجوه الحرس ، فدعا عمرو بن مهاجر الأنصاري ، فقال : والله إنك لتعلم يا عمرو أنه ما بيني وبينك قرابة إلا قرابة الإسلام ولكني قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن ، ورأيتك تصلي في موضع تظن أن لا يراك فيه

---

(١) هذه الزيادة من رواية بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة .

(٢) هذه الزيادة من رواية بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة .

أحد، فرأيتك حسن الصلاة ، خذ هذا السيف قد وليتك حرسى .

قال : حدثنى يعقوب ، وحدثنى حرملة قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثنى الليث . أن خالد بن الريان عزله عمر - وكان سيافاً يقوم على رؤوس الخلفاء - وقال إنى لأذكره بأوه(١) وهيئته ، اللهم إنى أضعه لك فلا ترفعه أبداً .

قال فحدثنى نوفل بن الفرات قال : ما رأيت شريفاً خمد ذكره حتى لا يذكر ، حتى كل الناس ليقولون : ما فعل خالد ؟ أحى هو أم قد مات ؟

قال وحدثنى الليث ، عن عقيل ،عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخبره أن الوليد ابن عبد الملك أرسل اليه بالظهيرة (٢) ، فى ساعة لم يكن يرسل اليه فى مثلها ، فوجده في قيطون صغير له بابان : باب يُدخل عليه منه ، وباب خلفه ينحرف منه إلى أهله قال : فدخلت عليه . فإذا هو قاطب بين عينيه ، فأشار إلى أن اجلس ، فجلست بين يديه مجلس الخصم (٣) ، وليس عنده إلا ابن الريان قائماً بسيفه . فقال : ما تقول فيمن يسب الخلفاء أترى أن يقتل ؟ قال : فسكت . قال : فانتهرنى وقال : ما لك لا تتكلم ؟ فسكت . فعاد لمثلها ، فقلت : أقتل يا أمير المؤمنين ؟ قال: لا ولكنه يسب (٤) الخلفاء ، قال : فقلت : فإنى أرى أن ينكل فيما انتهك حرمة الخلفاء ، قال : فرفع رأسه إلى ابن الريان ، وما أظن إلاّ أنه يقول : اضربوا رقبته . فقال : إنه فيهم لتائه . ثم حول وركه ، فدخل إلى أهله فقال لى ابن الريان : انقلب فانقلبت ، وما تهب من ورائى ريح إلاّ وأظنه رسولاً يردنى إليه.

وعظ عمر لسليمان بن عبد الملك فى عقبة عسفان :

قال : حدثنى إبراهيم بن هشام عن يحيى بن يحيى قال : حدثنى أبى ، عن جدى قال: حج سليمان بن عبد الملك ، ومعه عمر بن عبد العزيز ، فلما أشرف على قبة عسفان نظر سليمان إلى عسكره فأعجبه ما رأى من حجره وأبنيته فقال : كيف ترى ما ها هنا يا عمر ؟ قال : أرى دنيا يأكل بعضها بعض ، أنت المسؤول عنها ، والمأخوذ بما فيها . فطار غراب من حجرة سليمان ينعب ، فى منقاره كسرة ، فقال سليمان : ما ترى هذا الغراب

---

(١) بأوه من البأو : الكبر والفخر . (٢) فى المختصر : « بالظهرة » . (٣) فى المختصر : فجلست بين يديه فجلست مجلس الخصم »

(٤) فى المختصر : « فسب » .

يقـول ؟ قال : أظنه يقـول : من أين دخلت هذه الكسـرة ؟ وكـيف خرجت ؟ قـال : إنك لتجيء بالعجب يا عمر .

قال : حدثنى ضمـرة ، عن أبى شوذب ، قال: راود [1] الوليد بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز على أن يخلع سليمان فقـال : يا أمير المؤمنين ، إنا بايعنا لكما فى عقدة واحدة ، فكيف نخلعه ونتركك ؟

ما قاله عمر لسليمان لما أفزعه الرعد :

قال : حدثنا عبد الـله بن شوذب قال : حج سليمان ومعه عمر بـن عبد العزيز، قال : فخرج سليـمان إلى الطائف ، فأصابه رعد وبرق ، ففـزع سليمان فقال لعمـر : أما ترى ما هذا يا أبا حفص ؟ قال : هذا عند نزول رحمته ، فكيف لو كان عند نزول نقمته ؟

قال : حدثنا يعقوب بن سليمان [2] قالا : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى قال : حدثى أبى ، عن جدى قال : بينما عمر بن عبد العزيز مع سليمان بعرفات ، إذ برقت ورعدت رعـداً شديداً فزع منـه سليمان ، فنظر إلى عـمر وهو يضـحك ، فقال : يا عـمر أتضحـك وأنت تسمع مـا تسمع : قـال : يا أمير المـؤمنين ! هذه رحمـة الله قد أفـزعتك . كيف لو جاءك عذابه ؟

قال : حاتم بن الليث قـال : حدثنا خالد بن خداش قال : حدثنا عـفان بن راشد قال : كان عمر بن عـبد العزيز واقفاً مع سليـمان بعرفة ، فرعدت رعدة من رعـد هامة ، فوضع سليمان صدره على مقدم الرحل وجزع منها ، فقال له عمر : يا أمير المؤمنين ! هذه جاءت برحمـته ، كـيف لو جاءت بسخـطه ؟ قال : ثم نظر سليـمان إلى الناس ، فقـال : ما أكثر الناس ؟ فقال عمر : خصماؤك يا أمير المؤمنين . فقال له سليمان : ابتلاك الله بهم .

قال : حـدثنا عـمر بن مـدرك قال : سـمعت مكى بن إبراهيم يقـول ، كنا عند عـبد العزيز بن أبى رواد فى المسجد ، فارتفعت سحـابة ، فجاءت برعد وبرق وصواعق ، ففزع القوم ، فتفـرقنا . فلما سكنت عدنا ، فقال عـبد العزيز : خرج سليمان بن عـبد الملك يوماً إلى بعض الوادى ، فأصابهم نحو هذا ، ففزع « سليمان ونادى : يا عمر ! يا عمر ! وكانوا

(١) وفى نسخة « أراد » . (٢) بياض فى الأصل

ـ يعنى بنى أمية ـ إذا أصابتهم شدة فزعوا (١) » (٢) إلى عمر بن عبد العزيز، فإذا عمر ينادى هاأنذا . قال : ألا ترى : قال : يا أمير المؤمنين إنما هذا صوت نعمة (٣) . فكيف لو سمعت صوت عذاب ؟ فقال : خذ هذه المائة ألف درهم وتصدق بها . فقال عمر : أوخير من ذلك يا أمير المؤمنين . قال : وما هو ؟ قال : قوم صحبوك فى مظالم لهم لم يصلوا إليك . قال : فجلس سليمان فرد المظالم .

الباب التاس
فى ذكر بشارة الخضر له بأنه سيلى الخلافة

قال : حدثنا ضمرة ـ يعنى ابن ربيعة ـ عن السرى بن يحيى ، عن رياح بن عبيدة ، قال رأيت عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير على المدينة ، وشيخ متوكئ على يده ، قال : فقلت فى نفسى : إن ذا الشيخ جاف حيث يتوكأ على يد الأمير ، فلما صلى ودخل تبعته ، فقلت : أصلح الله الأمير ، من الشيخ الذى كان متوكئاً على يديك : قال : أفرأيته يا رياح ؟ قلت : نعم ، قال : ذلك أخى الخضر ، عليه السلام ، أتانى فأعلمنى أنى سألى الأمر وأنى سأعدل فيه .

قال ابن مخلد ، وحدثنا ابن داود القنطرى ، وحدثنا إسماعيل بن أحمد قال : حدثنا عبد الله بن جعفر بن درستويه قال : حدثنا يعقوب بن سفيان قال : حدثنا أبو يوسف قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز ، عن رياح بن عبيدة ، قال : رأيت رجلاً يماشى عمر بن عبد العزيز معتمداً على يده ، فقلت فى نفسى ، إن هذا الرجل جاف . فلما صلى ، قلت : يا أبا حفص ، من الرجل الذى كان معك معتمداً على يدك آنفاً ؟ قال : وقد رأيته يا رياح؟ قلت : نعم . قال : إنى لأراك رجلاً صالحاً ، ذلك أخى الخضر ، بشرنى أنى سألى وأعدل

قال : حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن السرى بن يحيى ، عن رياح بن عبيدة قال : أتيت

(١) فى المختصر « فدعوا » و « فوعوا»   (٢) من المختصر

(٣) فى المختصر : « رحمه » .

عمر بن عـبد العزيز ، وهو أميـر علي المدينة قبل أن يستخلف ، فلم أجـده في منزله ، فإذا هو مـقبل ورجل قـد اتكأ عليه ، قـال : فقلـت في نفسي : مـا أجفي هذا الشـيخ - أو هذا الرجل - يتكئ على الأمير ؟ ثم افـتقدته ، فقلت : أصلح الله الأمير ، من الـذى كان يتوكأ عليك ؟ قـال : ورأيته يا رياح ؟ قلت : نعم . قـال : إني لأراك رجلاً صالحـاً يا رياح ، ذلك أخي الخضر ، أتاني فبشرني وقال : إنك ستلي هذا الأمر فتعدل فيه .

قال : حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن السرى بن يحيى ، عن رياح بن عبيدة قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكئ على يده ، فقلت في نفسي : إن هذا الشيخ جـاف . فلمـا صلى ودخل ، لحقـتـه فـقلت : أصلح الله الأمـير ، من الشـيخ الذى كـان متوكئـاً على يدك ؟ فقال : يا رياح رأيته ؟ قلت : نعم . قال : مـا أحسبك يا رياح إلاَّ رجلاً صـالحاً ، ذاك أخـي الخضر ، أتاني فـأعلمني أني سألي هـذه الأمة ، وأني سأعـدل فيـها . والله أعلم .

الباب العاشر
في ذكر الهاتف بخلافته

قـال : حدثني مـحمـد بن نصر بن الوليـد ، عن أبي عـبد الرحـمن الطائي . عن أبي حمزة الثمالي ، عن رجل ، قال : بينما أنا في جبال مكة إذ وجدت قرطاساً فيه كتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الأليم

وسمعت قـائلاً يقول : دان الزمان . وذل السلطان . وحبسنا الشيطان لعمـر بن عبد العزيز

قال : فـوالله ما لبثنا إلا أياماً حـتى أتتنا خلافـته . فلما مـات أتيت ذلك الموضع الذى وجدت فيه القرطاس ، فإذا أنا بصوت - أسمعه ولا أرى الوجه - يقول :

عنّا جــزاك مليكُ النّاس صــالحــةً ... فى جنّةِ الخلدِ والفــردوس يا عــمــرُ
أنـت الذى لا نـرى عــــدلاً نُسَرُّ بـه ... من بعـده مـا جـرَت شـمسٌ ولا قـمـرُ

قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن قال : حدثنا يعقوب بن جعدة عن حماد العدوى قال : سمعت صوتاً عند وفاة سليمان بن عبد الملك :

اليــوم حلّت واســتـقـرّت ، قـرارُها ... على عــمــر المـهـديّ قـام عـمـودُها

الباب الحادى عشر
فيما يُروى أنه مذكور فى الكتب الأول

عمر بن عبد العزيز فى الإسرائيليات :

قال : حدثنا هشام بن حسان ، عن خالد الربعى ، قال : قرأت فى التوراة أن السماء والأرض تبكى على عمر بن عبد العزيز أربعين سنة .

قال : حدثنا معتمر بن سليمان ، عن هشام ، عن خالد الربعى ، قال : مكتوب فى التوراة أن السماء تبكى على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحاً . قال : حدثنا جعفر ، قال سمعت مالك بن دينار يقول : قرأت فى التوراة عمر بن عبد العزيز صِدِّيق . قال : حدثنا محمد بن فضالة أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقف براهب بالجزيرة ، فى صومعة له قد أتى عليه عمرٌ طويل ، وكان ينسب إليه من علم الكتب ، فهبط إليه ، ولم ير هابطاً إلى أحد ، وقال : أتدرى لِمَ هبطت إليك ؟ قال : لا . قال : لحقِّ أبيك . إنّا نجده من أئمة العدل بموضع رجب من الأشهر الحُرُمُ . قال : حدثنا ابن لهيعة قال : وجدنا فى بعض الكتب : تقتله خشية الله . يعنى عمر بن عبد العزيز.

الباب الثانى عشر
فى ذكر خلافته

حمى دابق التى مات بها سليمان :

قال : حدثنا محمد بن سعيد الدارى أنه سمع أباه يذكر أن سليمان بن عبد الملك ، كان ربما نظر فى المرآة فيقول : أنا الملك الشاب . قال : فنزل مرج دابق ، فمرض مرضه الذى مات فيه ، وفشت الحمى فى أهله وأصحابه ، فدعا جارية بوضوء فبينا هى توضئه ، إذ سقط الكوز من يدها ، فقال :ما قصتك ؟ قالت : محمومة . قال : ففلان ؟ قالت : محموم . قال : ففلانة ؟ قالت : محمومة . قال : الحمد لله الذى جعل (١) خليفته فى أرضه ليس عنده من يوضئه . ثم التفت إلى خاله الوليد بن القعقاع العبسى فقال :

قـرّب وضـوءك يا وليدُ فـإنما ... هذى الحياة تعلّةٌ ومتاعُ

فأجابه الوليد :

فاعمل لنفسك فى حياتك صالحاً ... فالدهر فيه : فُرقةٌ وجماعُ

قال : أخبرنى محمد أنه سمع عبيد الله بن محمد التيمى (يقول) : كان سليمان بن عبد الملك جالساً ، فنظر فى المرآة إلى وجهه ـ وكان حسن الوجه ـ فأعجبه ما رأى من جماله . وكانت على رأسه وصيفة له ، فقال : أنا الملك الشاب . فقال ابن عائشة فرأى شفتى جاريته تتحرك عند قوله ما قال ، فقال : ما قُلتِ ؟ قالت : خيراً . قال : فتخبرينى ـ وأعاد عليها ـ قالت : قلت:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان

وزاد غيره فى الشعر :

(١) فى المختصر : « جعلنى » .

أنت خلوٌّ من العيوب ، ومما يكره الناس ، غير أنك فانِ

ثم خرج إلى المسجد ، فسمع أقصى من فى المسجد صوته . ثم لم يزل يضعف ، فانصرف محموماً حمى موصولة بمنيته .

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين . وهو ابن أربعين سنة .

قال : حدثنا عبد الله بن سعد الزهرى ، عن عمه يعقوب بن إبراهيم ، قال : توفى سليمان بن عبد الملك بدابق ، من أرض قنسرين ، يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين . واستخلف عمر بن عبد العزيز فى ذلك اليوم .

كيف عهد سليمان إلى عمر :

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال رجاء بن حيوة : لما كان يوم الجمعة ، لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خز ، ونظر فى المرآة فقال : أنا ، والله ، الملك الشاب فخرج إلى الصلاة يصلى بالناس الجمعة ، فلم يرجع حتى وعك ، فلما ثقل كتب كتاب عهده إلى ابنه أيوب ، وهو غلام لم يبلغ . فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ؟ إنه مما يحفظ به الخليفة فى قبره أن يستخلف الرجل الصالح . فقال : كتاب أستخير فيه ، وأنظر ولم أعزم عليه . فمكث يوماً أو يومين ثم خرقه . ثم دعانى فقال : ما ترى فى داود بن سليمان ؟ فقلت : هو غائب بقسطنطينية ، وأنت لا تدرى أحيٌّ هو أم ميتٌ . قال : يا رجاء فمن ترى ؟ فقلت : رأيك يا أمير المؤمنين ، وأنا أريد أن أنظر من تذكر . فقال : كيف ترى فى عمر بن عبد العزيز؟ فقلت : أعلمه والله ، فاضلاً خياراً مسلماً . (قال) : هو والله ذلك ولئن وليته ولم أولّ أحداً من ولد عبد الملك لتكونن فتنة ، ولا يتركونه أبداً يلى عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده ـ ويزيد بن عبد الملك يومئذ غائب على الموسم ـ قال : فأجعل يزيد بن عبد الملك بعده ، فإن كان مما يسكنهم ويرضون به . قلت : رأيك ، فكتب بيده .

عهد سليمان إلى عمر :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز إنى وليته الخلافة

بعدى ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك . فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيُطمع فيكم » .

حديث عمر وهشام مع رجاء :

وختم الكتاب . وأرسل إلى كعب بن جابر صاحب شرطته أن مُر أهل بيتى أن يجتمعوا بجمعهم . ثم قال سليمان لرجاء : بعد اجتماعهم اذهب بكتابى هذا اليهم ، فأخبرهم أنه كتابى ، ومرهم فليبايعوا من وليت ، ففعل رجاء ، فقالوا ؟ قال : نعم ، فدخلوا ، فقال لهم عهدى فاسمعوا له وأطيعوا ، وبايعوا لمن سميت فى هذا الكتاب ، قال فبايعوه رجلاً رجلاً ، ثم خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء . قال رجاء . فلما تفرقوا جاءنى عمر بن عبد العزيز فقال : يا أبا المقدام ، إن سليمان كانت لى به حرمة ومودة ، وكان بى براً وملطفاً ، فأنا أخشى أن يكون قد أسند إلى من هذا الأمر شيئاً ، فأنشدك الله وحرمتى الا أعلمتنى إن كان ذلك ، حتى أستعفيه الآن ، قبل أن تأتى حال لا أقدر فيها على ذلك . فقال رجاء : لا والله ما أنا مخبرك حرفاً واحداً . فذهب غضبان . قال رجاء : ولقينى هشام بن عبد الملك ، فقال : يا رجاء إن لى حرمة ومودة قديمة ، وعندى شكر ، فأعلمنى أهذا الأمر إلى ، فإن كان إلى علمت ، وإن كان إلى غيرى تكلمت ، فليس مثلى قصر به ، ولا نحى عنه هذا الأمر . فلك الله أن لا أذكر اسمك أبداً ، فأعلمنى ، فأبيت ، وقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً ، فانصرف هشام وهو مؤيس ، وهو يضرب بإحدى يديه على الأخرى ويقول : فإلى من إذا محيت عنى ؟ أتخرج من بنى عبد الملك ؟ قال رجاء : ودخلت على سليمان وهو يموت ، فجعلت إذا أخذته سكرة من سكرات الموت حرفته إلى القبلة ، فجعل يقول ، وهو يفارق ، لم يأن لذلك بعد يا رجاء ، حتى فعلت ذلك مرتين ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يا رجاء ، إن كنت تريد شيئاً أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فحرفته ومات . فلما غمضته ، سجيته بقطيفة خضراء ، وأغلقت الباب ، وأرسلت إلى زوجته : كيف أصبح ؟ فقلت : نام وقد تغطى ، فنظر الرسول اليه مغطى ، فرجع فأخبرها فقبلت .

أثر رجاء في استخلاف عمر :

قال رجاء : وأجلست على الباب من أثق به وأوصيته أن لا يريم حتى آتيه ، ولا يُدخل على الخليفة أحداً ، فخرجت فأرسلت إلى كعب بن جابر ، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين فاجتمعوا في مسجد دابق فقلت : بايعوا . قالوا : قد بايعنا مرة ونبايع أخرى ؟ قلت هذا أمير المؤمنين ،بايعوا على ما أمر به ومن سمّى في هذا الكتاب المختوم ، فبايعوا رجلاً رجلاً ، فرأيت أني قد أحكمت الأمر فقلت : قوموا إلى صاحبكم قد مات وقرأت عليهم الكتاب ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام : لا نبايعه أبداً ، قال : قلت والله أضرب عنقك ، قم فبايع ، فقام يجر رجليه . قال رجاء : وأخذت بضبعي [1] عمر ، فأجلسته على المنبر ، وهو يسترجع لما وقع فيه ، وهشام يسترجع لما أخطأه ، فلما انتهى هشام إلى عمر قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون حين صار هذا الأمر إليك على ولد عبد الملك فقال عمر : نعم ، وإنا لله وإنا اليه راجعون حين صار إلي لكراهتي له.

تواضع عمر وسلوكه عقب استخلافه :

وغسل سليمان وكفن ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، فلما فرغ من دفنه أتي بمراكب الخلافة : البراذين ، والخيل ، والبغال ، ولكل دابة سائس . فقال ما هذا ؟ قالوا : مراكب الخلافة . فقال عمر : دابتي أوفق لي . فركب بغلته وصرفت تلك ، ثم أقبل فقيل تنزل منزل الخلافة ؟ فقال : فيه عيال أبي أيوب ، وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا ، فأقام في منزله حتى فرغوه بعد ، فلما كان مساء ذلك اليوم ، قال : يا رجاء ادع لي كاتباً ، فدعوته ـ وقد رأيت منه ما يسرني ، صنع في المراكب ما صنع ، وفي منزل سليمان ـ فلما جلس الكاتب أملى عليه كتاباً واحداً ، من فيه إلى يد الكاتب بغير نسخة ، فأملى أحسن إملاء ، وأبلغه وأوجزه ، ثم أمر بذلك الكتاب ، فنسخ إلى كل بلد . وبلغ عبد العزيز « بن » الوليد، وكان غائباً ، موت سليمان ، ولم يعلم بمبايعة عمر ، فبايع لنفسه ، . ثم أقبل بريد دمشق ، فبلغه أن عمر بن عبد العزيز بايعوا له بعهد سليمان ، فدخل عليه وقال : لم يبلغني أن الخليفة عهد إلى أحد ففرقت [2] على الأموال أن تنتهب ، فبايعت لنفسي . فقال

---

(١) الضبع : وسط العضد بلحمه : الإبط

(٢) فرقت ، خفتَ وجزعت وفزعت .

عمر له : والله لو بويعت وقمت بالأمر ما نازعتك ذلك ، ولقعدت فى بيتى ، وبايع عمر.

عود إلى أخبار استخلاف عمر :

قال : وقد روى ابن سعد طريق آخر عن رجاء بن حيوة أنه قال : لما ثقل سليمان ، رآنى [1] عمر فى الدار أخرج وأدخل ، فقال : يا رجاء أذكرك [2] الله والإسلام أن تذكرنى لأمير المؤمنين ، أو تشير بى عليه . إن استشارك ، فوالله ما أقوى على هذا الأمر ، فانتهرته، وقلت : إنك لحريص على الخلافة ، أتطمع أن أشير عليه بك ؟ فاستحيا ، ودخلت ، فقال سليمان : من ترى لهذا الأمر ؟ فقلت : اتق الله ، فإنك قادم عليه وسائلك عن هذا الأمر وما صنعت فيه ؟ قال : فمن ترى ؟ قلت : عمر بن عبد العزيز.

قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعى قال : سمعت جدى محمد بن على بن شافع يقول : إنى لأرجوا أن يُدخل الله سليمان بن عبد الملك الجنة باستعماله عمر بن عبد العزيز.

قال : حدثنى من شهد دابقاً ، وكانت دابق يجتمع فيها حين يغزو الناس ، فكان ، سليمان ثمة حيث يجتمع الناس ، فمات سليمان بدابق ولم يكن له ابن وإنما هم الإخوة ، ورجاء صاحب أمره ومشورته ، فخرج إلى الناس فأعلمهم بموته ، وصعد المنبر ، فقال : إنّ أمير المؤمنين كتب كتاباً ، وعهد عهداً ، فسامعون أنتم مطيعون ؟ قال الناس : نعم . قال هشام : نسمع ونطيع ، إن كان رجلاً من بنى عبد الملك . قال : فجذبه الناس حتى سقط إلى الأرض ، فقال الناس : سمعنا وأطعنا ، فقال رجاء : قم يا عمر - وهو يومئذ عند المنبر - فقال عمر : والله ، إنَّ هذا الأمر ما سألته قط فى سر ولا علانية .

قال : وروى أبو بكر أبى خيثمة ، من حديث الوليد بن مسلم . عن عبد الرحمن بن حسان، أن رجاء بن حيوة قال : لما مات سليمان بن عبد الملك ، فتحت كتابه ، بعد أن أخذت البيعة لمن فيه ، فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز ، فقالوا : أين عمر بن عبد العزيز ؟ فطلبوه ؟ فإذا هو فى مؤخر المسجد ، فأتوه ، فسلموا عليه بالخلافة ، فعقر [3] به ، فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضبعه ، فدنوا به إلى المنبر ، فلم يقدر على الصعود حتى

(١) فى المختصر «رأى» .   (٢) فى المختصر : «اذكر» .   (٣) عقر به : طال حبسه فلم يستطع الوقوف .

أصعدوه ، فأجلسوه ، فجلس طويلاً لا يتكلم . ثم بايعوه ، فجاء إلى منزله ، فجعل يكتب بيده إلى العمال فى الأمصار . قال : حدثنا عبد الله بن يونس ، عن يسار بن الحكم ، قال: لما دخل سليمان بن عبد الملك قبره ، أدخله عمر بن عبد العزيز وابنه سليمان ، فاضطرب على أيديهما ، فقال ابنه عاش ، والله ، أبى ، فقال : لا والله ، ولكن عوجل أبوك .

قال : حدثنى محمد بن أبى عثمان ، قال : حدثنى محمد بن الضحاك بن عثمان ، عن أبيه ، قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك صفت له مراكب سليمان فقال :

لولا التُّقى ، ثم النهى ، خشية الردى لعاصيت في حب الصبى كل زاجر

قضى ما قضى ، فيما مضى ثم لا ترى له صبوة أخرى الليالي الغوابر

ثم قال : إن شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، قدموا إلىَّ بغلتى .

اهتمام عمر بما لأفراد الأمة على الخليفة من حقوق :

قال : حدثنى أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، قال : كان أول ما رؤى منه - يعنى عمر بن عبد العزيز - قُدِّم إليه برذون [1] سليمان فأبى ، فركب بغلته ورجع - يعنى حين فرغ من دفن سليمان - فقال : ليس أحد من أمة محمد ﷺ ، إلا له عندى شرقها وغربها .

قال : حدثنى عبد الله بن وهب ، قال : كان سفيان بن عيينة قال : لما رجع عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان ، كان أول شيء راعهم منه ، حين قدموا إليه مركبه ، فقال : أخروه . فقربوا إليه بغلته فركبها . فلما رجع إلى منزله دخل ، فقال له مولاه : يا أمير المومنين ، كأنك مهتم ؟

فقال : لمثل الأمر الذى نزل بى اهتممت ، إنه ليس من أمة محمد ، فى مشرق ولا مغرب ، إلا له قبلى حق يحق على أداؤه إليه ، غير كاتب إلى فيه ، ولا طالبه منى .

---

(١) البرذون :دابة معروفة .

خطبته عقب استخلافه :

قال : حدثني ابن المنذر بن جارود ، قال : فلما استخلف عمر بن عبد العزيز صعد المنبر ، فقال : أيها الناس ، إني والله ما استؤمرت في هذا الأمر ، وأنتم بالخيار . ثم نزل .

قال : حدثني سهل بن يحيى بن محمد المروزي ، قال : أخبرني أبي عن عبد العزيز « ابن عمر بن عبد العزيز » قال : لما دفن عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك ، وخرج من قبره ، سمع للأرض هدة ، أو رجة . فقال : ما هذه؟ فقيل : هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين . قربت اليك لتركبها . فقال : ما لي ولها ، نحّوها عني ، قربوا إليّ بغلتي . فقربت إليه بغلته ، فركبها . فجاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة ، فقال : تنح عني ، مالي ولك ، إنما أنا رجل من المسلمين . فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع إليه الناس فقال : أيها الناس ، إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه ، ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين . وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لنفسكم .

فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك . قل أمرنا باليُمن والبركة . فلما رأى الأصوات قد هدأت ، ورضي به الناس جميعاً ، حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ، وقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف كل شيء ، وليس من تقوى الله عز وجل خلف . واعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه . وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم . وآثروا ذكر الموت ، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم ، فإنه هادم اللذات . وإن من لا يذكر من آبائه ـ فيما بينه وبين آدم عليه السلام ـ أباً حياً ، لمعرق له في الموت . وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ، ولا في نبيها ﷺ ،ولا في كتابها وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم . وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً ، ولا أمنع أحداً حقاً .

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال :

يا أيها الناس ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له . أطيعونى ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله ، فلا طاعة لى عليكم .

ابن عمر يعظ عمر :

ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهتكت ، والثياب التى كانت تبسط للخلفاء [1] ، فحملت ، وأمر ببيعها وإدخال أثمانها فى بيت مال المسلمين ، ثم ذهب يتبوأ مقيلاً . فأتاه ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع ؟ قال : أى بنى ، قال : تقيل ولا ترد المظالم ؟ فقال : أى بنى ، إنى قد سهرت البارحة فى أمر عمك سليمان ، فإذا صليت الظهر ؟ رددت المظالم . قال : يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال :ادن منى أى بنى . فدنا منه ، فالتزمه وقبّل بين عينيه ، وقال : الحمد لله الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى . فخرج ولم يَقِل ، وأمر مناديه أن ينادى : ألا من كانت له مظلمة فليرفعها . فجعل لا يدع شيئاً مما كان فى يد سليمان وفى يد أهل المظالم إلاّ ردها مظلمة مظلمة .

إجلال الخوارج لعمر :

فلما بلغت الخوارج سيرة عمر ، وما ردّ من المظالم ، اجتمعوا وقالوا : ما ينبغى لنا أن نقاتل هذا الرجل .

قال حدثنا محمد بن سعد قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو كان كل بدعة يميتها الله على يدى ، وكل سنّة ينعشها الله على يدى ببضعة من لحمى ، حتى يأتى آخر ذلك على نفسى ، كان فى الله يسيراً .

قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثنى مالك أن عمر بن عبد العزيز قام فى الناس - وهو خليفة - على المنبر يوم الجمعة فقال : أيها الناس إنى أنساكم هاهنا ، وأذكركم فى بلادكم فمن أصابته مظلمة من عامله فلا إذن له علىّ ، ومن لا فَلاَ أرينّه ، وإنى والله إن منعت نفسى وأهل بيتى هذا المال وضننت به عنكم ، إنى إذن لضنين ، ولولا أن أنعش سُنّة ، أو أعمل بحق ، ما أحببت أن أعيش فواقاً .

---

(١) فى المختصر « للخلافة » .

سرور الناس باستخلاف عمر :

قال : حدثنا سليمان بن داود الخولانى أن رجلاً بايع عمر بن عبد العزيز ، فمد يده إليه ثم قال : بايعنى بلا عهد ولا ميثاق ، تطيعنى ما أطعت الله ، فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليك ، فبايعه .

قال : حدثنا جويرية عن إسماعيل بن أبى حكيم ، قال : لما مات سليمان بن عبد الملك ، انطلقت أنا ومزاحم إلى نفقة كانت لعمر فى رحله فغيبناها ، ثم أقبلت أريد المسجد ، فلقينى رجل فقال :هذا صاحبك يخطب الناس ، فقلت : خليفة ؟ قال: فانتهيت إليه وهو على المنبر فكان ما سمعته يقول :

يا أيها الناس إنى والله ما سألتها الله فى السر ولا فى علانية قط، فمن كره منكم فأمره إليه .

فقال رجل من الأنصار (١) : يا أمير المؤمنين ، ذاك والله أسرع فيما يكره ، ابسط يدك فلنبايعك . فكان أول من بايعه الأنصارى هذا . ولا أدرى عن إسماعيل ، هو أو غيره ، وأظنه إسماعيل . قال : ومشى عمر فى جنازة سليمان ، قال ودخل قبره ، فلما فرغ من دفنه وقد جىء بمراكب الخلفاء ، فلم يركب شيئاً منها وقال : بغلتى . فركض إنسان من العسكر ، وقعد عمر حتى جىء ببغلته ، قال : وقد ضربت أبنية الخلفاء ، قال : فأحسبه أنه لم يستظل فى شىء منها حتى جىء ببغلته ، فركبها ثم رجع .

سباق الخيل فى دولة بنى أمية :

قال : وقد كان سليمان أمر أهل مملكته أن يقودوا الخيل بسبق بينهم ، فقل قرية (٢) من المسلمين إلا كان قد أخذهم ليقودوا إليه الخيل (٣) ، فمات من قبل أن تُجرى الحلبة . قال : فلما ولى أبى أن يجريها ، فقيل له : يا أمير المؤمنين تكف الناس مؤونات عظاماً ، وقادوها من بلا بعيدة ، وفى ذا غيظ للعدو ، فلم يزالوا يكلمونه حتى أجرى الحلبة ، وأعطى

(١) هو سعيد بن عبد الملك كما جاء فى العقد الفريدلابن عبد ربه « ج ٢ ص ٢٦١ » وزاد فيه قوله: أتريد أن نختلف ويضرب بعضنا بعضاً . قال رجل : سبحان الله ، وليها أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ولم يقولوا هذا ، ويقوله عمر ؟

(٢) فى المختصر : « ليسبق بينها فقل الجرية » . (٣) فى المختصر : « بقود الخيل » .

الذين سبقوا ، ولم يخيب الذين لم يسبقوا ، أعطاهم دون ذلك قال : وقد كان الناس لقوا جهداً شديداً في القسطنطينية من الجوع ، فأقفل الناس ، وبعث اليهم بالطعام .

خطبة عمر :

قال : حدثنا عبد الله بن يونس الثقفي ، عن يسار ، قال : كان أول ما علم من عمر ابن عبد العزيز ، أنه لما دفن سليمان بن عبد الملك ، أتي بدابة سليمان التي كان يركب ، فلم يركب دابته التي جاء عليها ، فدخل القصر وقد مهدت له فرش سليمان ، فلم يجلس عليها ، ثم خرج إلى المسجد وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد .. فإنه ليس بعد نبيكم ،ﷺ ، نبي ، ولا بعد الكتاب الذى أنزل عليه كتاب ، إلا ما أحل الله ، عز وجل ، حلال إلى يوم القيامة ، وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة . ألا لست بقاضٍ ولكني منفذ ألا وإني لست بمبتدع ، ولكني متبع . ألا أنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله ، عز وجل ، ألا أني لست بخيركم ، ولكني رجل منكم ، غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً . ثم ذكر حاجته .

حدثنا جويرية بن أسماء ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، قال : أول كلمة سمعتها من عمر بن عبد العزيز يوم استخلف وهو على المنبر يقول :

أيها الناس ، إني والله ما سألتها الله في سر ولا علانية قط ، فمن كره منكم فأمره إليه فقام رجل من الأمصار فبايعه ، وبايعه الناس .

قال : حدثنا الحارث بن عمير ، عن إبراهيم بن عقبة ، قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال : إني والله ما أنا بمبتدع ، ولكني متبع ، وإني والله ، ما أنا بخيركم ، ولكني أثقلكم حملاً ، وإنه والله ما من أحد من خلق الله له طاعة في معصية .

قال : حدثنا ابن زيد ، عن عمار بن عبيدة قال : أول ما أنكر عمر بن عبد العزيز أنه خرج في جنازة ، فأتي ببرد كان يلقى للخلفاء يقعدون عليه إذا خرجوا إلى جنازة ، فألقى له فضربه برجله ، ثم قعد على الأرض ، فقالوا : ما هذا ؟ فجاء رجل فقعد بين يديه ، فقال يا أمير المؤمنين ، اشتدت بي الحاجة ، وانتهت بي الفاقة ، والله يسألك عن مقامي هذا بين

يديك ـ وفي يده قضيب قد اتكأ عليه ـ فقال : أعد ما قلت ، فأعاد عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اشتدت بى الحاجة ، وانتهت بى الفاقة ، والله سائلك عن مقامى هذا بين يديك فبكى حتى جرت دموعه على القضيب ، ثم قال له : ما عيالك ؟ قال : خمسة ، أنا وامرأتى وثلاثة أولاد ، قال : فإنا نفرض لك ولعيالك عشرة دنانير ، ونأمر لك بخمس مائة مائتين من مالى ، وثلاث من مال الله ، تبلغ بها حتى يخرج عطاؤك .

زهد عمر فى التمتع :

قال : حدثنا أبو الصباح قال : حدثنا سهل بن صدقة ، مولى عمر بن عبد العزيز ، قال : حدثنى بعض خاصة عمر بن عبد العزيز أنه حين أفضت اليه الخلافة ، سمعوا فى منزله بكاء عالياً ، فسئل عن البكاء ، قيل : إن عمر بن عبد العزيز قد خير جواريه ، فقال : إنه قد نزل بى أمر قد شغلنى عنكن ، فمن أحبّ أن أعتقه أعتقه ، ومن أراد أن أمسكه أمسكه ، ولم يكن منى إليها شيء . فبكين يأساً منه رحمه الله .

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى ، قال : حدثنى أبى ، عن جدى قال : كنت أنا ، وابن أبي زكريا بباب عمر ، فسمعنا بكاء فى داره ، فسألنا عنه، فقالوا : خيّر أمير المؤمنين امرأته بين أن تقيم فى منزلها ـ وأعلمها أنه قد شغل عن النساء بما فى عنقه ـ وبين أن تلحق بمنزل أبيها ، فبكت ، فبكى جواريها لبكائها .

قال : حدثنى سليمان بن حميد المدنى ، عن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع القرشى ، أنه دخل على فاطمة بنت عبد الملك فقال لها ، ألا تخبرينى عن عمر ؟

فقالت : ما أعلم أنه اغتسل من جنابة ، ولا من احتلام ، منذ استخلفه الله إلى أن قبضه .

حالة جسمه ولباسه وهو خليفة :

قال : حدثنا عبيد الله ، قال : سمعت شيخاً كان فى حرس عمر بن عبد العزيز ، قال رأيت عمر بن عبد العزيز ، حين ولى « فإذا به من حسن اللون ، وجوده الثياب ، والبزة ، ثم دخلت عليه ، بعدُ ، وقد ولى » (١) فإذا قد احترق ، واسودّ ، ولصق جلده بعظمه حتى

(١) من النسخة المختصرة

ليس بين الجلد وبين العظم «لحم» وإذا عليه قلنسوة بيضاء ، قد اجتمع قطنها ، يعلم أنها قد غسلت ، وعليه سحق انبجانية قد خرج سداها ، وهو على شاذكونة قد لصقت بالأرض وتحت الشاذكونة عباءة قطوانية من مشاقة الصوف ، فأعطاني مالاً أتصدق به بالرقة ، قال: ولا تقسمه إلاّ على نهر جار ، فقلت : إنه يأتيني من لا أعرف [1] ، فمن أعطى قال : أعطِ من مد يده اليك .

الباب الثالث عشر
في ذكر أنه من الخلفاء الراشدين المهديين

حدثنا علي بن الحسين قال : أخبرني خارجة بن مصعب ، عن ابن عوف ، عن مجاهد ، قال : المهادي سبعة مضى خمسة وبقي اثنان . قال خارجة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم .

قال : حدثني عبد الرزاق بن همام قال : حدثني أبي قال : قال وهب بن منبه : إن كان في هذه الأمة مهدي ، فهو عمر بن عبد العزيز.

قال حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب قال : قال الحسن : إن كان مهدي ، فعمر بن عبد العزيز وإلا فلا مهدي إلا عيسى ابن مريم ، عليه السلام .

قال حدثنا سهيل بن عباس ، عن ابن إسحاق ، عن ابراهيم بن عقبة ، عن عطاء مولى أم بكر الأسلمية ، عن حبيب بن هند الأسلمي ، قال : قال لي سعيد بن المسيب ، ونحن على عرفة ، إنما الخلفاء ثلاثة ، قلت : من الخلفاء ؟ قال : أبو بكر وعمر وعمر ، يعني عمر« بن عبد العزيز» قلت : هذا أبو بكر وعمر قد عرفناهما ، فمن عمر ؟ قال : إن عشت أدركته وإن مت كان بعدك قال : حدثنا أبو عبيدة بن يحيى بن أخي هنادين ، قال سمعت قبيصة بن عقبة يقول : سمعت سفيان الثوري يقول : الخلفاء خمسة أبو بكر

---

(١) في المختصر « يأتيني ولا أعرف » .

وعمر وعثمان وعلى و عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنهم .

عمر إمام عدل :

قال : وقد رواه قبيصة ، عن عباد ، عن سفيان ، قال : حدثنا قبيصة قال : حدثنا عباد السماك قال : سمعت سفيان يقول : أئمة العدل خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنا عباد السماك قال : سمعت سفيان الثورى يقول : أئمة العدل خمسة أبو بكر وعمر وعلى وعمر بن عبد العزيز ، من قال غير هذا فقد اعتدى .

قال : حدثنا قبيصة ، قال : سمعت عباد السماك يقول : سمعت الأئمة خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز.

قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبويه قال : سمعت أبى قال : سمعت وكيعاً يقول سمعت سفيان يقول : لا أوافق رأى أحب أحد إلى من عمر بن عبد العزيز ، لأنه كان إمام هدى .

قال : حدثنا مزاحم الخاقانى قال : حدثنى عمى ، أبو على عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان ، أنه ذكر لأحمد بن حنبل أنه يروى عن سفيان الثورى أنه قال : أئمة الهدى : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز. فقال له أحمد بن حنبل : هذا كذا هو .

عمر مرشد المائة الأولى والشافعى مرشد المائة الثانية :

قال : حدثنا محمد بن الحسن بن الجنيد قال : سمعت عثمان بن على يقول : سمعت حميد بن أنجويه النسائى يقول : قال : أحمد بن حنبل : يروى فى الحديث أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها ، فنظرنا فى المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز ، ونظرنا فى المائة الثانية فنراه الشافعى .

قال : حدثنا أبو سعيد الفريابى قال : قال أحمد بن حنبل : إن الله تعالى يقيض للناس ، فى كل رأس مائة سنة ، من يعلمهم السنن ، وينفى عن رسول الله ﷺ الكذب ، فنظرنا ، فإذا فى رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفى رأس المائتين الشافعى .

بشارة أحمد بن حنبل لمن ينشر محاسن عمر :

قال : حدثنى من سمع أحمد بن حنبل يقول : إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز ، ويذكر محاسنه وينشرها ، فاعلم أن من وراء ذلك خيراً ، إن شاء الله .

قال : حدثنا خالد بن حسان ، عن جعفر ، يعنى ابن برقان ، وفرات بن سليمان ، عن ميمون بن مهران قال : إن الله عز وجل ، تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز .

عمر أمة وحده :

قال : أخبرنى عطاء بن مسلم الخفاف ، عن عمر بن قيس الملائى قال: سئل محمد بن على بن حسين عن عمر بن عبد العزيز ، فقال : أما علمت أن لكل قوم نجيباً ، وأن نجيب بنى أمية عمر بن عبد العزيز، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده ؟

قال : حدثنا ضمرة ، عن رجاء ، عن ابن عون قال : كان ابن سيرين ، إذا سئل عن الطلا [1] قال : نهى عنه إمام هدى . يعنى : عمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنى الفريابى ، عن عبّاد بن كثير قال : دخلت على أبى جعفر فقلت : يا أمير المؤمنين ، أما تستحيون أن تجيء بنو أمية بعمر بن عبد العزيز ، ولا تجيئون بمثله ؟

قال : حدثنا ضمرة عن على بن خولة ، عن أبى عنبس قال : كنت واقفاً مع خالد بن يزيد بن معاوية ، فى مسجد بيت المقدس ، إذا أقبل فتى شاب ، فسلم على خالد ، فأقبل عليه خالد ، فقال الفتى لخالد : هل علينا من عين؟ قال : فبادرت أنا فقلت : نعم ، عليك من الله عين بصيرة ، فترقرقت عين الفتى ، ونزع يده من يد خالد ، ثم ولّى ، فقلت لخالد من هذا ؟ قال : أما تعرف هذا عمر بن عبد العزيز، ابن أخى أمير المومنين ، ولئن طالت بك وبه حياة لترينه إمام هدى .

قال : حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن زفر : يعنى العجلى ، عن قيس بن حبتر قال : مثل عمر فى بنى أمية ، مثل مؤمن آل فرعون .

---

(١) الطلا : الخمر .

الباب الرابع عشر
فى ذكر أخلاقه وآدابه

قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة قال : كان لعمر بن عبد العزيز سمّا ر [1] . يستشيرهم فيما يرفع اليه من أمور الناس ، وكان علامة بينه وبينهم ، إذا أحب أن يقوموا قال : إذا شئتم قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، قال : سمعت بعض شيوخنا يذكر أن عمر ابن عبد العزيز أتى بكاتب يخط بين يديه ـ وكان مسلماً ، وكان أبوه كافراً [2] ـ فقال عمر للذى جاء به : لو كنت جئت به من أبناء المهاجرين . فقال الكاتب : ما ضر رسول الله ﷺ كفر أبيه . فقال عمر : قد جعلته مثلاً ، لا تخط بين يدى بقلم أبداً .

حسن سياسة عمر للحرورية :

قال : حدثنا أرطأة بن المنذر قال : سمعت أبا عون يقول ، دخل ناس من الحرورية على عمر بن عبد العزيز ، فذاكروه شيئاً ، فأشار إليه [3] بعض جلسائه أن يرعبهم ، ويتغير عليهم ، فلم يزل عمر بن عبد العزيز يرفق بهم حتى أخذ عليهم ، ورضوا منه أن يرزقهم ويكسوهم ما بقى . فخرجوا على ذلك . فلما خرجوا ضرب عمر ركبة رجل يليه من أصحابه ، فقال : يا فلان ! إذا قدرت على دواء تشفى به صاحبك ، دون الكى فلا تكوينه أبداً .

قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن مالك بن أنس قال : قال : عمر بن عبد العزيز : ما كذبت كذبة منذ شددت علىّ إزارى . [4]

قال : حدثنا سفيان بن يحيى بن سعد ، أن رجلاً قال لعمر بن عبد العزيز : إن قرابتى كذا ، قال : إنّ ذاك . قال : إنى أريد أن يكلم لى أمير المومنين فى كذا كذا ، قال : لعل ذلك . قال : فقضيت حاجة الرجل وما يشعر .

---

(١) فى المختصر : « سماع» . (٢) خ نصرانياً . (٣) فى المختصر : « عليه » . (٤) ذكر فيما سبق .

قال : حدثنا أبو بكر بن عباس ، عن عاصم ، قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه رجل فرفع صوته ، فقال عمر : مه حسب المرء ما أسمع به جليسه من كلامه .

اجتماع بني مروان لاستعطاف عمر عليهم :

قال :حدثنا عمر بن علي المقرى ، عن حجاج بن عنبسة بن سعيد قال : اجتمع بنو مروان فقالوا : لو دخلنا على أمير المؤمنين فعطفناه علينا ، وأذكرناه أرحامنا . قال : فدخلوا فتكلم رجل منهم ، فمزح ، فنظر اليه عمر . قال : فوصل له رجل كلامه بالمزاح ، فقال عمر : لهذا اجتمعتم ، لأخس الحديث ولما يورث الضغائن ؟ إذا اجتمعم ، فأفيضوا فى كتاب الله ، فإن تعديتم فعليكم بمعالى الحديث .

أدبه وسمره وما كان يشترط على أصحابه :

قال محمد بن سعيد . قال : حدثنا العلاء بن عمر، عن سعيد بن عبد العزيز قال : كان عمر بن عبد العزيز إذا خطب على المنبر فخاف فيه (1) العجب قطع ، وإذا كتب كتاباً فخاف فيه العجب مزقه ، ويقول : اللهم ، إنى أعوذ بك من شر نفسى .

قال : حدثنا ضمرة ، عن رجاء قال : قدم عبد الله بن الحسن - وهو إذا ذاك فتى شاب - على سليمان بن عبد الملك فى حوائجه ، فكان يختلف إلى عمر بن عبد العزيز ، يستعين به على سليمان فى حوائجه ، فقال له عمر : رأيت أن لا تقف ببابى إلا فى الساعة التى ترى أنه يؤذن لك فيها على ، فإنى أكره أن تقف ببابى فلا يؤذن لك على (2) . قال : فجاءه ذات يوم فقال : إن أمير المؤمنين قد بلغه أن فى العسكر مطعونا (3) فالحق بأهلك ، فإنى أضن بك .

قال: حدثنا ضمرة ، عن العلاء بن هارون ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ فى منطقه ، لا يتكلم بشىء من الخنا ، فخرج به خراج فى إبطه ، فقالوا : أى شىء عسى أن يقول الآن ؟ فقالوا : يا أبا حفص ، أين خرج منك هذا الخراج ؟ قال : فى باطن يدى .

قال : حدثنى موسى بن رباح قال : بلغنى - أو قال : بلغنا - أن عمر جلس إلى ناس ، فنسى السلام ، فذكر أنه لم يسلم ، فقام قائماً ثم سلم عليهم ثم جلس .

(1) خ « عليه » . (2) جملة « فإنى أكره ... » . ناقصة من المختصر . (3) أى مصاب بالطاعون

قال : حدثني جعفر بن محمد أبي العالية الرياحي قال : سهرت مع عمر بن عبد العزيز ليلة ، فقلت : يا أمير المؤمين ، ما يبقى منك تعب النهار مع سهرالليل ؟ قال : لا تفعل يا أبا العالية ، فإن لقاء الرجال تلقيح لألبابها .

قال : حدثنا عمر بن علي ، عن عبد ربه، عن ميمون بن مهران ، قال : كنت في سمر عمر بن عبد العزيز ذات ليلة ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ما بقاؤك على ما أرى ، أنت بالنهار مشغول في حوائج الناس ، وبالليل أنت معنا هاهنا ثم الله أعلم بما تخلو به ؟ قال : فعدل عن جوابي .ثم قال : إليك عني يا ميمون ، فإني وجدت لقاء الرجال تلقيحاً لألبابهم .

قال :حدثنا أبو خليد ، عن الأوزاعي ، قال : قال عمر لجلسائه : من صحبني منكم فليصحبني بخمس خصال : يدلني من العدل إلى ما لا أهتدي له ، ويكون لي على الخير عوناً . ويبلغني حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، ولا يغتاب عندي أحداً ، ويؤدي الأمانة التي حملها مني ومن الناس ، فإذا كان كذلك فحي هلا به ، وإلا فهو خرجٌ من صحبتي والدخول عليّ .

قال : حدثنا مالك بن أنس ، قال : سمعت الزهري يقول : كان عمر بن عبد العزيز إذا أراد الحمام أمر أن يخلى له ، فلا يدخله غيره ، أو بعض ولده ، أو بعض خدمه حتى يخرج .

قال: حدثنا وهيب أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : أحسن بصاحبك - يعني الظن - ما لم يغلبك .

ما قاله للذي يدعو الله وهو يلعب:

قال : حدثنا المسيب بن واضح ، عن محمد بن الوليد قال : مرّ عمر بن عبد العزيز برجل في يده حصاة يلعب بها ، وهو يقول : اللهم زوجني من الحور [1] العين ، قال : فقام إليه ، فقال : بئس الخاطب أنت ! ألا ألقيت الحصاة ، وأخلصت إلى الله الدعاء ؟

---

(١) في المختصر : « الحوراء » .

ما كان يقرؤه في صلاة الجمعة :

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : شهدت عمر بن عبد العزيز يخرج إليه المنبر فيخطب الناس ، ثم ينزل فتقام الصلاة ، وتنصب بين يديه حربة تجاهه ثم يصلى . وسمعته يقرأ يوم الجمعة سورة الجمعة و : ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾ (١) لا يعدوها كل جمعة . قال : ورأيت عمر يأتي يوم العيد ماشياً .

الباب الخامس عشر
في ذكر علو همته

نفس عمر تواقة إلى العلى :

قال : حدثني أبو معمر ، عن سفيان قال : قال لى عمر بن عبد العزيز : كانت لى نفس توّاقة فكنت لا أنال شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أعظم منه ، فلما بلغت نفسى الغاية ، تاقت إلى الآخرة .

قال : حدثني جويرية بن أسماء قال : قال عمر : إن نفسى هذه تواقة ، لم تعط من الدنيا شيئا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه قال سعيد : الجنة أفض من الخلافة ؟

قال : حدثني شعيب . عن أبى صفوان ، عن محمد بن مروان بن أبان عثمان ، عن من سمع مزاحماً يقول : قلت لعمر بن عبد العزيز : إلا رأيت (٢) فى أهلك خللاً . فقال : يا مزاحم : أما يكفيهم ، أعطيهم ما يصيبون من المقاسم مع المسلمين من فيئهم مع مال عمر ، فقلت له : وأين يقع ذلك منهم ، مع ما يمونون ، ومع ضيافتهم وكسوتهم نساءهم ؟ وأين يقع ذلك : قد والله خشيت أن تصيبهم مخمصة .فقال لى عمر : إن لى نفساً تواقة . لقد رأيتنى وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ، ثم تاقت نفسى إلى العلم ، إلى العربية والشعر ، فأصبت منه حاجتى ، وما كنت أريد . ثم تاقت نفسى إلى السلطان ،

---

(١) سورة المنافقون آية : ١ .

(٢)في المختصر « إنى رأيتك فى أهلك خللاً » .

فاستُعملت على المدينة ، ثم تـاقت نفسى . وأنا فى السلطان ، إلى اللبس والعيش والطيب فلما علمت أن أحداً من أهل بيتى ، ولا غيرهم ، كـان فى مثل ما كنت فيه ثم تاقت نفسى إلى الآخرة والعـمل بالعدل ، فأنا أرجو مـا تاقت نفسى ليه من أمـر آخرتى ، فلست بالذى أهلك آخرتى بدنياهم .

الباب السادس عشر
فى ذكر اعتقاده ومذهبه

قال : حدثنى إسـماعيل بن يونس قال : نبئت أن عمر بن عبد العـزيز قال: من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل .

قال : حدثنا عـبد الرحمن ـ يعنى ابن مهـدى ـ عن سفيان ، عن جعـفر بن برقان ، أن عـمر بن عـبد العزيز قـال لرجل ، وسأله عن الأهواء قـال : عليك بدين الصـبى الذى فى الكتاب والأعرابى ، واله (١) عما سواهما .

قال ابن مهـدى : وحدثنا عبد الله بن المبـارك . عن الأوزاعى قال : قال عمـر بن عبد العـزيز : إذا رأيت قومـاً يتناجـون فى دينهم بشىء دون العـامة ، فـاعلم أنهم على تأسـيس ضلالة .

رأيه فى القدرية :

قال : أخـبرنى مـالك . عن عمـه أبى سـهـيل ، قال : سـألنى عمـر بن عبد العـزيز عن القدرية . ما ترى فـيها ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، استتبهم . فإن تابوا ، وإلا فـاعرضهـم على السيف . « فقال عمر» (٢) ذلك رأيى فيهم قال حدثنا : إسماعيل ابن علية ، عن أبى مخزوم عن سيار قال : قال عمر بن عبد العزيز فى أصحاب القدر : يستتابون ، فإن تابوا ، وإلا نفوا من ديار المسلمين .

قال : حـدثنا إسمـاعيل بن عـباس الحـمصى ، عن أبى بكر بن عـبد الله بـن أبى مريم

---

(١) فى المختصر « والى » (٢) من المختصر .

الغسانى، عن حكيم بن عمير قال : قال عمر بن عبد العزيز: ينبغى لأهل القدر أن يتقدم إليهم فيما أحدثوا من القدر ، فإن كفوا ، وإلا ألسنتهم استلت من أقفيتهم استلالاً .

كتابه إلى عماله بشأنهم :

قال : حدثنا خلاد بن يحيى ، عن سفيان الثورى قال : بلغنى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى بعض عماله :

« أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد فى أمره ، واتباع سنة رسوله ، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما قد جرت سنته وكفوا مؤونته ، واعلم أنه لم يبتدع إنسان قط بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها . فعليك بلزوم السنة ، فإنها لك بإذن الله عصمة ، واعلم أن من سنّ سنة قد علم ما فى خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق ، ، فإن السابقين الماضين على علم توقفوا . وببصر ناقد كفوا » .

قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبى رجاء الهروى ، عن شهاب بن خراش قال : كتب عمر إلى رجل :

« أما بعد فإنى أوصيك ـ وذكر مثله وزاد ـ وهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وما أحدث إلا من اتبع غير سبيلهم ، ورغب بنفسه عنهم . لقد قصر دونهم أقوام فجفوا وطمع [1] عنهم آخرون فعلوا » .

قال : حدثنا يوسف بن أسباط ،عن سفيان الثورى قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطأة ، وكان عامله على البصرة :

« أما بعد فإذا أتاك كتابى هذا ، فاستتب القدرية مما دخلوا فيه . فإن تابوا فخل سبيلهم ، وإلا فانفهم من ديار المسلمين » .

رسالته إلى نفر كتبوا بالتكذيب بالقدر :

قال : وهذه رسالة مروية عن عمر بن عبد العزيز فى الأول [2] وجدت « أكثر » [3] كلماتها لم تضبطها النقلة على الصحة ، فانتقيت منها كلمات صالحة :

---

(١) فى المختصر « وطمح » . (٢) فى المختصر : « فى الأصول » . (٣) من المختصر .

أخبرنا سليمان بن نفيع القرشي ، عن خلف أبى الفضل القرشي ، عن كتّاب عمر بن عبد العزيز إلى نفر كتبوا بالتكذيب بالقدر :

« أما بعد ..

فقد علمتم أن أهل السنة كانوا يقولون : الاعتصام بالسنّة نجاة ، وسينقص العلم نقصاً سريعاً ، ومنه قول عمر بن الخطاب وهويعظ : إنّه لا عذر لأحد عبد الله بعد البينة ، بضلالة ركبها حسبها هدى ، ولا فى هدى تركه حسبه ضلالة . فقد تبينت الأمور ، وثبت الحجة وانقطع العذر . فمن رغب عن أنباء النبوة وما جاء به الكتاب ، تقطعت من يده أسباب الهدى ، ولم يجد له عصمة ينجو بها من الردى . وبلغكم أنى أقول : إن الله قد علم ما العباد عاملون ، فأنكرتم ذلك ، وقد قال تعالى : ﴿ **إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون** ﴾ [1] وقال : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لمانُهوا عنه** ﴾ [2] وزعمتم فى قول الله : ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ [3] إن المشيئة فى أى ذلك أحببتم من ضلال أو هدى ؟ والله يقول : ﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ [4] فبمشيئته لهم شاؤوا .

وقد حرص إبليس على ضلالتهم جميعاً ، فما ضل منهم إلا من كان فى علم الله ضالاً .

وأنكرتم أن يكون سبق لأحد من الله ضلالة أو هدى ، وأنكم الذين هديتم أنفسكم من دون الله ، وحجرتموها عن المعصية بغير قوة من الله . ومن زعم ذلك منكم . فقد غلا فى القول ، لأنه لو كان شيء لم يسبق فى علم الله وقدره ، لكان لله فى ملكه شريك تنفذ مشيئته فى الخلق دون الله ، والله يقول : ﴿ **حبب اليكم الإيما ن وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان** ﴾ [5] وسميتم نفاذ حكم الله فى الخلق حيفاً ، وقد جاء الخبر أن الله ، عز وجل ، خلق آدم ، فنشر ذريته بين يديه ، فكتب أهل الجنة وما هم عاملون ، وكتب أهل النار وما هم عاملون » .

---

(١) سورة الدخان آية : ١٥ . (٢) سورة الأنعام آية : ٢٨ . (٣) سورة الكهف آية : ٢٩ .

(٤) سورة التكوير آية ٢٩ (٥) سورة الحجرات آية ٧

الباب السابع عشر
في ذكر سيرته وعدله في رعيته

ما كان يتناقله الناس عند استخلافه :

قال : حدثنا مالك بن دينار قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز، رحمه الله ، قالت رعاة الشاء فى ذروة الجبال : من هذا الخليفة الصالح الذى قد قام على الناس ؟ فقيل لهم : وما علمكم بذلك ؟ قالوا : إنّا إذا قام علي الناس خليفة صالح ، كفت الذئاب والأسد عن شاننا .

قال : حدثنى حسن القصار قال : كنت أحلب الغنم فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فمررت براعٍ ، وفى غنمه نحو من ثلاثين ذئباً ، فحسبتها كلاباً ـ ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك ـ فقلت : يا راعى ! ما ترجو بهذه الكلاب كلها؟ فقال : يا بنى : إنها ليست كلاباً ، إنما هى ذئاب . فقلت : سبحان الله ، ذئب فى غنم لا يضرها ؟ فقال : يا بنى ! إذا صلح الرأس ، فليس على الجسد بأس . وكان ذلك فى خلافة عمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنا موسى بن أعين قال : كنا نرعى الشاء بكرمان ، فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فكانت الشاء والذئب ترعى فى مكان والله واحد . فبينما نحن ذات ليلة ، إذ عرض الذئب لشاة ، فقلت : ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك ، قال حماد : فحدثنى هذا أو غيره أنهم حسبوا ، فوجدوه قد مات فى تلك الليلة .

قال : حدثنى بقية بن الوليد ، عن عبد الحميد بن زياد ، عن ميمون بن مهران ، قال : ولاَّنى عمر بن عبد العزيز على الأرض ـ وذكره ـ :

استدراجه إلى الخير :

قال : حدثنى فرات بن سليمان ، عن ميمون بن ميمون بن مهران ، أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز قال : يا أبة ! ما يمنعك أن تمضى لما تريد من العدل ؟ فوالله ، ما كنت

أباً لى ، لو غلت بى وبك القدور فى ذلك . قال : يا بنى ! إنما أروّض الناس رياضة الصعب إنى لأريد أن أحيى الأمور من العدل ، فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعاً من طمع الدنيا . فينفروا لهذه ويسكنوا لهذه .

قال : حدثنا محمد بن سلمة ، عن هشام بن عبد الملك قال : قال عمر بن عبد العزيز : ما طاوعنى الناس على ما أردت من الحق ، حتى بسطت لهم من الدنيا شيئاً .

اقتصاده فى مال الأمة :

قال حدثنا عمرو بن ميمون قال : حدثنى أبى قال : ما زلت أنا وعمر بن عبد العزيز ننظر فى أمور الناس ، حتى قلت : يا أمير المؤمنين ! ما بال هذه الطوامير [(1)] التى تكتب فيها بالقلم الجليل ، وتمد فيها وهى من بيت مال المسلمين ؟ فكتب إلى العمال أن لا يكتبن فى طومار ولا يمد فيه ، قال : فكانت كتبه شبراً أو نحو ذلك . قال : إياس بن معاوية بن قرة : ما شبهت عمر بن عبد العزيز إلا برجل صناع ، حسن الصنعة ، ليس له أداة يعمل بها ، يعنى لا يجد من يعينه .

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال إدريس بن قادم قال عمر لميمون بن مهران : كيف لى بأعوان على هذا الأمر أثق بهم وآمنهم ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! لا تشغل قلبك بهذا ، فإنك سوق ، وإنما يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ، فإذا عُرِف أن الإنفاق عندك الصحيح ، لم يأتوك إلا بالصحيح .

قال : حدثنا عبد الله بن يونس ، عن سيار أبى الحكم قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : أيها الناس : الحقوا ببلادكم ، فإنى أذكركم هناك ، وأنساكم عندى إلا من ظلمه الأمير ، فليس عليه إذن ليأتى .

قال : حدثنى عبد العزيز ، عن عبيد الله بن عمر بن عبد الملك بن عبيد الله بن عاصم خال عمر بن عبد العزيز ، أنه قال : قدمنا على عمر بن عبد العزيز ، حين استخلف ، وقد أتاه الناس من كل مكان ، قال : فجلس على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

---

(١) طوامير : ج طومار : الصحيفة .

« أما بعد ، أيها الناس ! فالحقوا ببلادكم ، فإنى أنساكم هاهنا ، وأذكركم فى بلادكم وإنى قد استعملت عليكم عمالاً ، لا أقول هم خياركم ، فمن ظلمه عامل بمظلمة ، فلا إذن له على إلا ولا أرينه . وايم الله لئن كنت منعت نفسي وأهل بيتى هذا المال ، ثم ضننت به عليكم إنى إذن لضنين ، والله لولا أن أنعش سنّة ، وأسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقاً (١) ».

ما كتب فى المحابس :

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال عبد الله بن أبى هلال : كتب عمر بن عبد العزيز فى المحابس : « لا يقيد أحد بقيد يمنع من تمام الصلاة » .

قال : حدثنى الأوزاعى قال : نقش رجل على خاتم عمر بن عبد العزيز، فحبسه خمس عشرة ليلة ، ثم خلى سبيله .

كتابه إلى أهل الموسم :

قال : حدثنا عمرو بن عثمان قال : حدثنا خالد بن زيد ، عن جعونة قال : كتب عمر ابن عبد العزيز إلى أهل الموسم :

« أما بعد ، فإنى أشهد الله ، وأبرأ إليه فى الشهر الحرام ، والبلد الحرام ، ويوم الحج الأكبر ، أنى برى من ظلم من ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم ، أن أكون أمرت بذلك أو رضيت ، أو تعمدته ، إلا أن يكون وهماً منى ، وأمراً خفى على لم أتعمده ، وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عنى ، مغفوراً لى ، إذا علم منى الحرص والاجتهاد . ألا وإنه لا إذن على مظلوم دونى ، وأنا معول كل مظلوم ألا وأى عامل من عمالى رغب عن الحق ، ولم يعمل بالكتاب والسنة ، فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم ، ألا وإنه لا دولة ببرّ أغنيائكم ، ولا أثر على فقرائكم فى شىء من فيئكم . ألا وأيما وارد فى أمر يصلح الله به ، خاصة أو عامة ، فله ما بين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار على قدر ما نوى (٢) من الحسبة ، وتجشم من المشقة ، فرحم الله امرءاً لم يتعاظمه سفر يحيى الله به حقاً لمن وراءه ، ولولا وأمور من الباطل أماتها الله عنكم ، فلا تحمدوا غيره ،

(١) سبق هذا قريباً . (٢) فى المختصر : « نرى »

ولو وكلني إلى نفسي كنت كغيري ، والسلام عليكم » .

قال : حدثنا عبد الله الرقاشي ، عن جعفر بن سليمان ، عن أسماء بن عبيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى صاحب الحجاز : أن مُرْ قاصَّك أن يقص على ثلاثة أيام مرة - أو قال قاصكم -

قال : حدثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : عرضني رسول الله ﷺ في القتال يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة . فلم يجزني ، فلما كان يوم الخندق عرضني . وأنا ابن خمس عشرة، فأجازني .

قال نافع ، فقدمت على عمر بن عبد العزيز ، وهو يومئذ خليفة ، فحدثته بهذا الحديث أن هذا الحد بين الكبير والصغير .

فكتب إلى عماله أن يفرضوا لابن خمس عشرة سنة ، ويلحقوا من دون ذلك في العيال .

عدله بين الخصوم :

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : شهدت مسلمة بن عبد الملك يخاصم أهل دير إسحاق عند عمر بن عبد العزيز بالناعورة .

فقال عمر لمسلمة : لا تجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدي ، ولكن وكل بخصومتك من شئت ، وإلا فجاثي القوم بين يدي . فوكل مولى له بخصومته ، فقضى عليه بالناعورة .

قال : حدثنا مالك أن عمر ، لما ولي الخلافة ، جاءه الناس ، فلما رأوه لا يعطيهم إلا ما يعطي العامة ، تفرقوا عنه ، ثم قرّب إليه العلماء الذين ارتضاهم .

.قال : حدثني مالك أن عمر بن عبد العزيز ، حين ولي جاءه الناس ، فلم يقبل إلا رجلاً فيه خير وتقوى ، فكلم في صديق له ، فقال : تركناه كما تركنا الخز والموشى .

قال : حدثنا موسى بن المغيرة ، قال : سمعت رياح بن عبيدة الباهلي قال : كنت عند

عمر بن عبد العزيز ، فجاء أعرابى فقال : يا أمير المؤمنين ! جاءت بى اليك الحاجة [1] ، وانتهت بى الفاقة ، ـ أو قال الغاية ـ والله سائلك عنى يوم القيامة ، فقال : ويحك ، أعد على فأعاد عليه ، فنكس عمر رأسه ، وأرسل دموعه حتى ابتلت الأرض ، ثم رفع رأسه وقال :ويحك ! كم أنتم ؟ قال : أنا وثمان بنات .ففرض له على ثلاثمائة ، وفرض للبنات ـ أو قال لبناته ـ على مائة ، وأعطاه مائة درهم ، وقال هذه المائة أعطيتك من مالى ، ليس من مال المسلمين ، اذهب فاستنفقها حى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم .

إرساله المرشدين ليفقهوا الناس فى البادية :

قال : حدثنا نعيم بن حماد ، عن ضمرة بن ربيعة، عن عبد الحكيم بن سليمان ، عن ابن أبى غيلان قال : بعث عمر بن عبد العزيز يزيد بن أبى مالك الدمشقى والحارث بن يمجد الأشعرى يفقهان الناس فى البدو وأجرى عليهما رزقاً . فأما يزيد فقبل ، وأما الحارث فأبى أن يقبل ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بذلك . فكتب عمر : إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً ، وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد .

قال : حدثنا سليمان أن عمر عمر بن عبد العزيز كان كثيراً ما يردد هذا القول : « ما يرد على نفسى من نفس إن أنا قتلتها ، فلو كان لى نفسان فأغدر [2] بإحداهما وأمسك الأخرى » .

الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل :

قال : حدثنا مسلم بن زياد قال : سألت فاطمة بنت عبد الملك عمر بن عبد العزيز أن يجرى عليها خاصة . فقال لها : لا لك فى مالى سعة . قالت : فلم أنت كنت تأخذ منهم ؟ قال : كانت المهنأة لى ، والإثم والتبعة عليهم ، أما إذا وليت فلا أفعل ذلك فيكون إثمه علىّ .

قال : حدثنى فياض بن محمد الرقى ، عن عبيدة بن حسان السنجارى أن رجلاً من أهل أذربيجان أتى عمر بن عبد العزيز ، فقام بين يديه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أذكر بمقامى هذا مقاماً لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق ، يوم تلقاه بلا ثقة من

(١)تقدم فيما سبق .   (٢) كذا فى المختصر .

العمل ، ولا براءة من الذنب . قال : فبكى بكاء شديداً ، ثم قال : ويحك ، اردد عليّ كلامك هذا . فجعل يردده عليه وعمر يبكي وينتحب . ثم قال : ما حاجتك ؟ قال . إن عامل أذربيجان عدا عليّ فأخذ مني اثني عشر ألف درهم ، فجعلها في بيت مال المسلمين فقال عمر : اكتبوا له الساعة ، إلى عاملها حتى يرده إليه - أو عليه - .

قال : حدثني رياح بن حيان - وكان على المدينة - قال : ما قدم علينا بريد لعمر بن عبد العزيز بالشام إلا بإحياء سنة ، أو قسم مال ، أو أمر فيه خير .

قال : وعن مالك ، عن يحيى بن سعيد . وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قالا : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما من طينة أهون على فنّا ، ولا من كتاب أيسر على من كتاب قضيت به ، ثم أبصرت أن الحق في غيره ففتتها .

قال : حدثني يعقوب ، أراه عن أبيه ، قال : أذن عمر بن عبد العزيز لزياد بن أبي زياد - والأمويون هناك ينتظرون الدخول عليه - قال هشام : أما رضى ابن عبد العزيز أن يصنع ما يصنع حتى أذن لعبد ابن عباس أن يتخطى رقابنا . فقال الفرزدق في هذا :

يا أيها القارئ المقضي حاجته هذا زمانك إني قد خلا زمني

وعن يعقوب ، عن أبيه قال ، دخل على هذا زمانك إني قد خلا زمني من أهل الشام شيخ جليل ، فقال يا أمير المؤمنين : إني دخلت مصر مع مروان . وغزوت دير الجماجم ، وغزوة كذا ، وغزوة كذا ، فتأمر لي بشيء فقال : اجلس أيها الشيخ .ويثور غلام من الأنصار فقال : يا أمير المؤمنين أنا فلان ابن فلان ، أبي ممن شهد العقبة ، وشهد بدراً وأحداً - حتى ذكر مغازي - فقال عمر : أين الشيخ الذي ذكر ما ذكر ؟

قال : فجثى الشيخ على ركبتيه - أو قام - فقال : ها هوذا أنا يا أمير المؤمنين ، قال : هذه المكارم لا ما تعده أيها الشيخ منذ اليوم .

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فصارا بعد أبوالا (١)

خذوا حاجة الفتى .

---

(١) شيبا : من الشوب : خلطا .

الأكباد الجائعة أولى بالصدقات من البيت الحرام :

قال : حدثنى ميسر بن أبى الفرات ، قال : كتبت الحجبة إلى عمر بن عبد العزيز يأمر للبيت بكسوة ، كما كان يفعل من كان قبله ، فكتب إليهم : إنى رأيت أن أجعل ذلك فى أكباد جائعة ، فإنه أولى بذلك من البيت .

قال : حدثنى الليث بن يحيى بن مسعد ، وغيره أن عمر بن عبد العزيز قدم عليه بعض أهل المدينة ، فجعل يسأله عن أهل المدينة ، فقال : ما فعل المساكين الذين كانوا يجلسون فى مكان كذا وكذا ؟ قال : قد قاموا منه يا أمير المؤمنين وأغناهم الله . وكان من أولئك المساكين من يبيع الخبط للمسافرين فالتمس ذلك منهم بعد ، فقالوا : قد أغنانا الله عن بيعه بما يعطينا عمر.

قال : حدثنى ابن زيد ، عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفاً - ثلاثين شهراً - لا والله مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم ، فيقول : اجعلوا هذا حيث ترون فى الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بماله ، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس .

منذ كم لعنتم فرعون ؟

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى قال : حدثنى أبى . عن جدى قال : بلغنى أن ناساً من الحرورية جمعوا بناحية من الموصل ، فكتبت إلى عمر بن عبد العزيز أعلمه بذلك ، فكتب إلى يأمرنى أن أرسل إلى منهم رجالاً من أهل الجدل ، وأعطهم رهناً وخذ منهم رهناً ،واحملهم على مراكب البريد إلى ففعلت ذلك ، فقدموا عليه ، فلم يدع لهم حجة إلا كسرها ، فقالوا : لسنا نجيبك حتى تكفر أهل بيتك ، وتلعنهم وتتبرأ منهم فقال عمر : إنه لا يسعكم فى دينكم إلا الصدق . منذ كم دنتم الله بهذا الدين ؟ قالو منذ كذا وكذا سنة . قال : فهل لعنتم فرعون وتبرأتم منه ؟ قالوا : لا قال : فكيف وسعكم تركه ؟ ألا يسعنى ترك أهل بيتى وقد كان فيهم المحسن والمسيء ، والمصيب والمخطئ ؟ قالوا : قد بلغنا ما هاهنا فكتب إلىّ عمر : أن خذ من فى أيديهم من رهنك ، يعنى ودع من فى يدك من رهنهم ، وإن كان رأى القوم أن يسيحوا فى البلاد ، على غير فساد على أهل الذمة ، ولا تناول أحد من الأمة ، فليذهبوا حيث شاؤوا ، وإن هم تناولوا أحداً من المسلمين وأهل الذمة ، فحاكمهم إلى الله .

كتابه إلى الحرورية :

وكتب إليهم :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من عبد الله : عمر بن عبد العزيز ، أمير المؤمنين ، إلى العصابة الذين خرجوا « أما بعد ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو »[1] أما بعد ، فإن الله يقول : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ - إلى قوله - ﴿ **بالمهتدين** ﴾[2] وإني أذكركم الله أن تفعلوا كفعل كبرائكم : ﴿ **الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط** ﴾[3] . أبذنبي تخرجون من دينكم ، وتسفكون الدماء وتنتهكون المحارم ؟ ولو كانت ذنوب ، فقد كانت آباؤكم في جماعتهم ، فلم ينزعوا « فما ينزعكم »[4] على المسلمين وأنتم بضعة وأربعون رجلاً ، وإني أقسم لكم بالله ، لو كنتم أبكاري من ولدي ، فوليتم عما أدعوكم إليه من الحق ، لدقت دماءكم ألتمس بذلك وجه الله والدار الآخرة . فهذا النصح ، فإن استغششتموني فقديما[5] ما استغش الناصحون » .

كتابه إلى يحيى بن يحيى :

فأبوا إلا القتال وحلقوا رءوسهم وساروا إلى يحيى بن يحيى . فأتاهم كتاب عمر ، ويحيى بن يحيى بين مواقعهم للقتال :

« من عبد الله : عمر ، أمير المؤمنين ، إلى يحيى بن يحيى . أما بعد ، فإني ذكرت آية في كتاب الله : ﴿ **ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين** ﴾[6] . وإن من العدوان : قتل النساء والصبيان ، فلا تقتلن امرأة ولا صبياً ، ولا تقتلن أسيراً ، ولا تطلبنّ هارباً ، ولا تجهزن على جريح ، إن شاء الله » .

---

(١) من المختصر . (٢) سورة النحل آية : ١٢٥ (٣) سورة الأنفال آية : ٤٧ (٤) من المختصر .
(٥) في المختصر « تقديماً » (٦) سورة البقرة آية : ١٩٠ سورة المائدة آية : ٨٧

قال : حدثنا محمد بن الحسين وعبيد الله بن أبي سلمة ، قال : صلى عمر بن عبد العزيز ذات ليلة ، فلما ذهب ليدخل ، أتاه هاتف به. يا أمير المؤمنين ! فقال عمر ، وأقبل عليه أظنه مذعوراً ، فقال : ويحك ! ما شأنك ؟ أتغدر علي حجابي ؟ ـ أو قال اذن ـ فقال لا يا أمير المؤمنين ، ولكني قدمت الساعة ، وجئتك مبادراً . قال : مبادراً ماذا ؟ قال : أن تسبقني بنفسك . قال : ولم ؟ قال لأني رأيت الجنة سريعة الذهاب . فجلس عمر ثم قال : حاجتك ؟ قال : فقال الرجل : يا أمير المؤمنين اذكر بمقامي هذا مقاماً لا يشغل الله عنك فيه كثرة من تخاصم إليه من الخلائق يوم القيامة بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب ، فبكي ثم قال : أعد ، فأعاد . قال : ما حاجتك ؟ فأخبره بحاجته .

قال :حدثنا سعيد بن عامر ، عن غيلان بن ميسرة (1) أن رجلاً أتى عمر بن عبد العزيز فقال : زرعت زرعاً فمرّ به جيش من أهل الشام فأفسده . فعوضه منه عشرة آلاف درهم .
قال : حدثنا زياد بن أنعم الألهاني ، عن عمر بن عبد العزيز أنه أُتي إليه بسارق ، فشكا إليه الحاجة ،فعذره وأمر له بنحو عشرة دراهم .

رفق عمر بالحيوان :

قال : حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية ، عن أبي عثمان الثقفي . قال : كان لعمر بن عبد العزيز غلام على بغل له يأتيه بدرهم كل يوم ، فجاءه يوماً بدرهم ونصف . فقال : ما بدا لك . قال : نفقت السوق ، قال : لا ، ولكنك أتعبت البغل ، أجمه (2) ثلاثة أيام .

قال : حدثنا زياد بن مخراق قال : سمعت عمر بن عبد العزيز، وهو يخطب الناس ، يقول : لولا سنّة أحييها ، أو بدعة أميتها ، لما باليت أن لا أعيش فواقاً . (3)

قال : حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني ، قال : سمعت جدى : أبا شعيب عبد الله بن مسلم ، عن أبيه ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وعنده كاتب يكتب ، قال : وشمعة تزهر ، وهو ينظر في أمور المسلمين ، قال : فخرج الرجل ، فأطفئت الشمعة وجيء بسراج إلى عمر ، فدنوت منه ، فرأيت عليه قميصاً فيه رقعة قد

---

(1) في المختصر : « يسرة » . (2) أجم : كره . (3) سبق فيما تقدم

طبق ما بين كتفيه ، قال : فنظر فى أمرى .

قال : حدثنا عمرو بن مهاجر أن عمر بن عبد العزيز كانت له الشمعة ما كان حوائج المسلمين ، فإذا فرغ من حوائجهم أطفأها ، ثم أسرج عليه سراجه .

قال : حدثنى عبد الحميد بن شيبة أن عمر بن عبد العزيز أتى برجل قال لرجل : يالوطى« فضربه تسع عشرة . فلما كان من الغد ، سأل [1] ثم ضربه ثمانين ، وحاسبه بالتسعة عشر» .

قال : حدثنا حسين بن وردان قال : مر عمر بن عبد العزيز بحمام عليه صورة ، فأمر بها فطمست وحكت . ثم قال : لو علمت من عمل هذا لأوجعته ضرباً .

ما كان مكتوباً على فلوس عمر بن عبد العزيز :

قال : حدثنا جرير ، عن المختار بن فلفل ، قال : ضربت لعمر فلوس ، فكتب عليها : « أمر عمر بالوفاء » . فقال : اكسروها واكتبوا : « أمر الله بالوفاء والعدل »

.قال : حدثنا إسماعيل ، عن عمرو بن مهاجر الأنصارى ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز أتى بعنبرة عظيمة ، فوضعت بين يديه ، فقام رجل فنادى بأعلى صوته : أنا بالله وبك يا أمير المؤمنين ، مرتين ، فقال علىّ بالرجل .

قال : ما شأنك ؟ قال : عنبرتى ، يا أمير المؤمنين . قال : وما شأنها : قال : بعتها من سليمان بن عبد الملك بسبعة آلاف درهم ، وهى خير من ثمانية عشر ألف درهم ، قال : ويحك ! أخافوك ؟

قال : لا قال : أكرهوك ؟ قال : لا قال : أغضبوك ؟ قال : لا . قال : فماذا ؟ قال : عنبرتى ، يا أمير المؤمنين . قال : تأخر ، فلا حق لك ، وأنا وددت أن لا أبيع شيئاً ولا أبتاعه إلا بطحت صاحبه - يعنى أخذته برخص - .

---

(١) أى سأل العلماء عن الحكم الشرعى فى المسألة .

الباب الثامن عشر
فى ملاحظته لعماله ومكاتبته إياهم فى القيام بالعدل

.قال : أخبرنى : عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه ، قال : ما طلع كتاب عمر بن عبد العزيز من الثمية إلا بإحدى ثلاث : إحياء سنة ، وإماتة بدعة ، وقسم يقسمه بين المسلمين .

قال : حدثنا عمرو بن ميمون قال : حدثنى أبى قال : كتب عمر إلى العمال أن لا تكتبن فى طومار بقلم جليل ولا تمدنّ فيه [1].

جوابه على كتاب عمرو بن حزم :

قال : حدثنى محمد بن حمزة قال : حدثنا الثقة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبى بكر « بن محمد » بن عمرو بن حزم :

« أما بعد فإنك كتبت إلى سليمان كتباً لم ينظر فيها حتى قبض ، رحمه الله ، وقد بليت بجوابك . فاستمع : كتبت إلى سليمان تذكر أنه يقطع لعمال المدينة من بيت مال المسلمين لثمن شمع كانوا يستضيئون به حين يخرجون إلى صلاة العشاء وصلاة الفجر ، وتذكر أنه قد نفد الذى كان يستضاء به ، وتسأل أن يقطع لك من ثمنه بمثل ما كان للعمال ، وقد عهدتك ، وأنت تخرج من بيتك فى الليلة المظلمة الماطرة الوحلة بغير سراج ، ولعمرى ، لأنت يومئذ خير منك اليوم . والسلام » .

قال : حدثنا حفص بن عمر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن عمرو ابن حزم :

« أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، الذى كتبت به إلى سليمان بن عبد الملك ، وكنت المبتلى بالنظر فيه دوله . كتبت تسأله أن يقطع لك من الشمع ، مثل الذى كان يقطع لمن قبلك . وتذكر أن الشمع الذى قبلك قد نفد. ولعمرى قد طالما رأيتك تخرج من منزلك

(١) سبق هذا الخبر .

إلى مسجد رسول الله ، ﷺ ، فى الليلة المظلمة الوحلة بغير ضياء ، ولعمرى لأنت يومئذ خير منك اليوم . والسلام عليك . وكتبت تسأله أن يقطع لك شيئاً من القراطيس ، مثل الذى كان يقطع قبلك ، فأدق قلمك ، وقارب بين سطورك ، واجمع حوائجك ، فإنى أكره أن أخرج من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به والسلام » .

كتاب أبى بكر بن حزم إلى عمر وجوابه عليه :

قال : حدثنا جويرية بن أسماء قال : كتب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إلى عمر بن عبد العزيز ـ وكان عامله على المدينة .

« سلام عليك . أما بعد ، فإن أشياخاً [1] من الأنصار قد بلغوا أسناناً ولم يبلغوا الشرف من العطاء ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبلغ بهم الشرف من العطاء فليفعل » .

وكتب اليه صحيفة أخرى :

« سلام عليك . أما بعد ، فإن من كان قبلى من أمراء المدينة يُجرى عليهم برزق فى شمعه فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى برزق فى شمعه ، فليفعل » .

وكتب إليه فى صحيفة أخرى :

« سلام عليك . أما بعد ، فإن بنى عدى بن النجار ، أخوال رسول الله ﷺ ، انهدم مسجدهم ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهم ببنائه ، فليفعل » .

قال : فأجابه عن هؤلاء الصحائف الثلاث بجواب واحد فى صحيفة واحدة :

« سلام عليك . أما بعد ، جاءنى كتابك تذكر أن أشياخاً من الأنصار قد بلغوا أسناناً ، ولم يبلغوا الشرف من العطاء ، وإنما الشرف شرف الآخرة ، فلا أعرفن ما كتبت به إلى فى نحو هذا » .

وجاءنى كتابك تذكر أن من كان قبلك من أمراء المدينة كان يجرى عليهم رزق من شمعة ، ولعمرى ، يابن أم حزم ، لطالما مشيت إلى مسجد رسول الله ﷺ ، فى الظلمة ، لا

(١) كذا فى المختصر هنا وفيما يأتى .

يمشي بين يديك بالشمع ، ولا يوجف خلفك أبناء المهاجرين والأنصار ، فارض لنفسك اليوم ما كنت ترضى به قبل اليوم .

وجاءني كتابك أن بني عدي بن النجار ، أخوال رسول الله ﷺ انهدم مسجدهم ، وقد كنت أحب أن أخرج من الدنيا لم أضع حجراً على حجر ، ولا لبنة على لبنة ، فإذا أتاك كتابي هذا فابنه لهم بلبن ، بناء قاصداً والسلام عليك » .

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه : رأيت أبا بكر بن عمرو بن حزم يعمل بالليل كعمله بالنهار ، لاستحثاث عمر إياه .

ترجيحه التحقيق العادل على التحقيق الصارم :

قال : حدثنا الثقة أن عدي بن أرطأة كتب إلى عمر بن عبد العزيز :

« من عدي بن أرطاة . أما بعد ، أصلح الله أمير المؤمنين ، فإن قبلي أناساً من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالاً عظيماً ، لست أرجو استخراجه من أيديهم إلا أن أمسهم بشيء من العذاب ، فإن رأى أمير المؤمنين أصلحه الله أن يأذن لي في ذلك ، أفعل » .

قال : فأجابه :

« أما بعد ، فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب بشر ، كأن لك جُنة (٢) من عذاب الله ، وكأني رضائي عنك ينجيك من سخط الله عز وجل ، فانظر من قامت عليه بينة عدول ، فخذه بما قامت عليه به البينة ، ومن أقر لك بشيء فخذه بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم ، وخلِّ سبيله ، وايم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحب إليَّ من أن ألقى الله بدمائهم . والسلام » .

قال : حدثنا العكلي ، عن عبد الله بن أبي خالد ، عن الهيثم بن عدي ، قال : كتب

---

(١) في المختصر : «أقدر على» .   (٢) جُنة : ستراً .

عدى بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ، فإن قبلى ناساً من العمال قد اقتطعوا من مال الله مالا عظيماً ، لست أقدر على استخراجه من أيديهم إلا أن يمسهم شىء من العذاب ، فإن ير أمير المؤمنين أن يأذن لى فى ذلك ، أفعل » .

فكتب إليه عمر :

« أما بعد ، فالعجب كل العجب من استئذانك إياى فى عذاب بشر ، كأن لك جُنة من عذاب الله ، وكأن رضائى ينجيك من سخط الله ، فانظر فمن قامت عليه البينة فخذه بما قامت عليه به ، ومن أقر لك بشىء فخذه بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله ، وخلّ سبيله ، فوالله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحب إلىّ من أن ألقى الله بدمائهم » .

قال : حدثنا يزيد بن مزيد أنه قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد :

« قد جاءنى كتابك تذكر أن قِبلكَ قوماً من العمال قد اختانوا مالاً فهو عندهم ، وتستأذنى فى أن أبسط عليهم ، فالعجب منك فى استئمارى إياى فى عذاب بشر ، كأنى جنة لهم ، وكأن رضاى ينجيك من سخط الله ، فإذا جاءك كتابى هذا فانظر من أقر منهم بشىء فخذه بالذى أقر به على نفسه ، ومن أنكر فاستحلفه وخلّ سبيله ، فلعمرى لأن يلقوا الله بخياناتهم ، أحب إلىّ من أن ألقاه بدمائهم . والسلام » .

قال : حدثنا اسماعيل بن عياش قال : كتب بعض عمال عمر إليه : « إنك قد أضررت ببيت المال » . أو نحوه . قال :

فقال عمر : « أعط ما فيه ، فإذا لم يبق فيه شىء ، فاملأه زبلاً »

قال : حدثنا جويرية بن أسماء قال : قال عمر بن عبد العزيز : « قرة عين الملوك فى استفاضة الأمن فى البلاد . وظهور مودة الرعية لهم وحسن ثنائهم عليهم [1] »

---

(١) فى المختصر : « وخشن ثيابهم عليهم » .

أنا حجيج المسلمين فى أموالهم :

قال : حدثنا يحيى بن حسان ، عن نعيم بن ميسرة النحوى ، عن عنبسة بن غصن قال كان وهب بن منبه على بيت مال اليمن : فكتب إلى عمر بن عبد العزيز، رضى الله عنه: « إنى فقدت من بيت مال المسلمين ديناراً » . قال : فكتب إليه :

« إنى لا أتهم دينك ولا أمانتك ، ولكن أتهم تضييعك وتفريطك. وأنا حجيج المسلمين فى أموالهم ، ولأخسهم عليك أن تحلف . والسلام » .

قال : حدثنا أشهب ، عن مالك قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب اليه بعض ولاته :

« إن الناس ، لما سمعوا بولايتك ، تسارعوا إلى أداء الزكاة، زكاة الفطر ، فقد اجتمع من ذلك شيء كثير . ولم أحب أن أحدث فيها شيئاً حتى تكتب إلى برأيك » .

فكتب إليه عمر :

«لعمرى ، ما وجدونى وإياك على ما ظنوا ، وما حسبك إياها إلى اليوم . فأخرجها حين تنظر فى كتابى » .

لا حاجة لى برجل صبغ يده بدماء المسلمين :

قال : حدثنا عبد الرحمن بن حسن الزرقى ، عن أبيه قال : كان الجراح بن عبد الله ، عامل عمر بن عبد العزيز على خرسان كلها ـ حربها وصلاتها ومالها ـ قال : فكتب إليه عمر : « إنه بلغنى أنك استعملت عبد الله بن الأهتم ، وأن الله لم يبارك لعبد الله بن الأهتم فى العمل فاعزله وإنه على ذلك لذو قرابة لأمير المؤمنين ، وبلغنى أنك استعملت عمارة ، ولا حاجة لي بعمارة ، ولا بضرب عمارة ، ولا برجل قد صبغ يده فى دماء المسلمين ، فاعزله » .

قال : حدثنى إبراهيم بن زيد أن عمر بن عبد العزيز خرج على حلقة من حرسه ـ وقد نهاهم قبل ذلك أن يقفوا له [1] إذا خرج عليهم ـ فوسعوا له ، فجاس . فقال : أيكم

---

(١) فى المختصر : « أن يقوموا له » .

يعرف الرجل الذى بعثناه إلى مصر ؟ قالوا : كلنا نعرفه . قال : فليذهب إليه أحدثكم سناً فليدعه ـ قال : وذلك فى يوم جمعة ـ فذهب اليه الرجل ، فظن الرسول أن عمر بن عبد العزيز قد استبطأه ، فقال له : لاتعجلنى حتى أشد على ثيابى . فشد عليه ثيابه . فأتى عمر فقال : لا روع عليك ، إن اليوم يوم الجمعة ،فلا تبرح حتى تصلى الجمعة . وقد بعثناك لأمر عجلة من أمر المسلمين ، فلا يحملنك استعجالنا إياك أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها ، فإنك لا محالة مصليها ، فإن الله قال لقوم أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات .﴿ **فسوف يلقون غيا** ﴾. ولم تكن إضاعتهم أن تركوها ، ولكن أضاعوا المواقيت .

توزيع صدقات الأغنياء على الفقراء :

قال : حدثنا يحيى بن حمزة ، عن زيد بن وافد ، أن ابن جحذم حدثه أن عمر بن عبد العزيز بعثه على صدقات بنى تغلب ، وكان عهد إليه أن يقبضها ثم يردها على فقرائهم ، قال : فكتب :

« آتى الحى وأدعوهم بأموالهم ، فأقبض ما كان فيهم ، ثم أدع فقراءهم وأقسمها فيهم حتى إنه ليصيب الرجل الفريضتين أو الثلاث ، فما أفارق الحى وفيهم فقير ، ثم آتى الحى الآخر فأصنع بهم كذلك ، فما أنصرف إليه بدرهم » .

قال : حدثنا خالد بن حسين ، عن الأوزاعى ، عن سليمان بن حبيب المحربى ـ وكان قاضياً لعمر بن عبد العزيز ـ قال : كتب إلى عمر بن عبد العزيز أن أجز للأسير ما صنع فى ماله ، فهو ماله يفعل به ما يشاء . قال حنبل ، وحدثنا الهيثم بن خارجة قال : أخبرنا شهاب ابن خراش ، عن الفضل بن سويد قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة .

« أما بعد ، فإنه بلغنى أن قوماً إذا رفعت طساس من بين أيدهم قبل أن تمتلئ ، وذلك من زى الأعاجم أخذوه ، فإذا أتاك كتابى هذا فلا ترفعوا طستاً حتى يمتلئ أو يفرغ من آخر القوم » .

قال : حدثنا ضمرة ، عن الوليد بن راشد قال : زاد عمر الناس فى أعطياتهم عشرة عشرة : العربى والمولى سواء .

قال : الغلابى ، عن ابن عائشة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له :

« اتق الله ، فإن التقوى هى التى لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثاب إلا عليها ، وأن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل » .

نهيه عماله عن صنائع الحجاج :

قال : حدثنا محمد بن حمزة قال : حدثنا الثقة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدى ابن أرطاة :

« أما بعد ، فإنى كتبت إليك بكتب كثيرة أرجو بذلك الخير من الله تعالى ، والثواب عليه ، وأنهاك فيها عن أمور الحجاج بن يوسف ، وأرغب عنها وعن اقتدائك بها ، فإن الحجاج كان بلاء وافق خطيئة قوم بأعمالهم ، فبلغ الله ، عز وجل ، فى مدته ما أحب من ذلك ، (ثم انقطع ذلك) [1] وأقبلت عافية الله ، عز وجل ، فلو لم يكن ذلك إلا يوماً واحداً ، أو جمعة واحدة ، كان ذلك عطاء من الله ، عز وجل ، ونهيتك عن فعله فى الصلاة ، فإنه كان يؤخرها تأخيراً لا يحل له ، ونهيتك عن فعله فى الزكاة ، فإنه كان يأخذها فى غير حقها ثم يسىء مواقعها [2] فاجتنب ذلك منه ، واحذر العمل به ، فإن الله عز وجل ، قد أراح منه ، وطهر العباد والبلاد من شره، والسلام » .

قال : حدثنا عمرو بن عثمان ، قال : حدثنا أبى ، قال : سمعت جدى . قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة :

« بلغنى أنك تستن بسنن الحجاج ، فلا تستن بسننه ، فإنه ذلك أضيع » .

قال : حدثنا مبشر بن أبى الفرات قال : كنت عاملاً لعمر بن عبد العزيز ، فكنت أختم على بيادر أهل الذمة ، فجاءنى كتاب عمر بن عبد العزيز أن لا تفعل ، فإنه بلغنى أنها كانت من صنائع الحجاج ، وأنا أكره أن أتأسى به .

قال : حدثنا أبو إسحاق الفزارى ، عن الأوزاعى أن أبا مسلم ، لما خرج فى بعث المسلمين ، رده عمر بن عبد العزيز من دابق ، وقال : ليس بمثله يستعين المسلمون فى قتال

---

(١) من المختصر .　　(٢) فى المختصر : « مواضعها » .

عدوهم . وكان عطاؤه ألفين ، فرده عمر إلى ثلاثين . فرجع من دابق إلى طرابلس ، لأنه كان سيافاً للحجاج ، وكان ثقفيا .

وقال : حدثنا خالد بن يزيد ، عن جعونه ، قال : استعمل عمر عاملاً ، فبلغه أنه عمل للحجاج ، فعزله . فأتاه يعتذر إليه ، فقال : لم أعمل له إلا قليلاً .

قال : حسبك من صحبة شر يوم أو بعض يوم . قال : حدثنا عبد الله بن رجاء عن هشام بن حسان ، قال : قال عمر : لو أن الأمم تخابثت يوم القيامة ، فأخرجت كل أمة خبيثها ، ثم أخرجنا الحجاج لغلبناهم .

ما أعجب عمر من الحجاج :

قال : حدثنا « ... عن إبراهيم بن هشام قال حدثنى »[1] أبى ، عن جدى قال - يعنى عمر بن عبد العزيز - :

ما حسدت الحجاج ، عدو الله ، على شىء حسدى إياه على حبه القرآن ، وإعطائه أهله ، وقوله حين حضرته الوفاه : اللهم اغفر لى فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل .

قال : حدثنا عبد العزيز ، عن محمد بن المنكدر ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يبغض الحجاج ، وكان ينفس عليه بكلمة تكلم بها عند موته : اللهم اغفر لى ، فإنهم زعموا أنك لا تفعل .

قال : عباد بن إسحاق ، عن الزهرى قال : قال عمر بن عبد العزيز :

لو أن الأمم تخابثت ، فجاءوا بأخبثها رجلاً ، وجئنا بالحجاج ، لظننا أنا سنغلبهم ، وإنى أظن كلمة تنجيه عندى ، قوله عند الموت : رب اغفر لى فإن الناس يزعمون أنك لا تغفر لى .

نهي عمر عن سب الظالم :

قال : حدثنى رياح بن عبيدة قال : كنت قاعدا عند عمر بن عبد العزيز ، فذكر الحجاج ، فشتمته ، ووقعت فيه .

(١) بن الحسين.

فقال عمر : مهلاً يا رياح ، إنه بلغني أن الرجل ليظلم ، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه ، حتى يستوفي حقه ، ويكون للظالم الفضل عليه .

قال : حدثنا على بن مسعدة ـ وذكره ـ .

قال : حدثنا ضمرة ، عن الريان بن مسلم قال : بعث عمر بن عبد العزيز بآل أبى عقيل ، أهل بيت الحجاج ، إلى صاحب اليم وكتب إليه :

« أما بعد ،فإني قد بعثت اليكم بآل أبي عقيل ، وهم شر بيت في العرب ، ففرقتهم في عملك على قدر هوانهم على الله . وعلينا وعليك السلام » .وإنما نفاهم .

حصّن مدينتك بالعدل :

قال : حدثنا محمد بن عيسى ، عن عبد العزيز . قال كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه : « أما بعد ، فإن مدينتنا قد خربت ، فإن يرى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نرمها به فعل » .

فكتب له عمر : « أما بعد ؛ فقد فهمت كتابك ، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت . فإذا قرأت كتابى هذا فحصنها بالعدل . ونقِّ طرقها من الظلم فإنه مرمتها . والسلام » .

قال :حدثنا الأوزاعى قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى خزان بيوت الأموال : إذا أتاكم الضعيف بالدينار لا ينفق عنه ، فأبدلوه من بيت المال .

قال : حدثنا عبيد الله بن يزيد بن أبى مسلم الثقفى أن أباه خرج فى بعض الصائفة (١) على ديوانه .

قال : وخرجت معه ، فلما كان بمرج اللاج لقيه كتاب أميرالمؤمنين عمر بن عبد العزيز : أن انصرف من حيث يلقاك كتاب أمير المؤمنين، فإن الله لا ينصر جيشاً أنت فيهم .

---

(١) الصائفة : الغزو فى فصل الصيف وكانوا يستحبون الغزو فيه .

الجزء الرابع

قال : حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب ، قال : كتب صالح بن عبد الرحمن وصاحب له - وكانا قد ولاهما عمر شيئاً من أمر العراق - يعرضان له أن الناس لا يصلحهم إلا السيف . فكتب إليهما :

« خبيثين من الخبث ، رديئين من الردىء تعرضان لى بدماء المسلمين ؟ ما أحد من الناس إلا ودماؤكما أهون على من دمه » .

كتاب عمر إلى بعض الأجناد :

قال : أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة الأنصارى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض الأجناد :

« أما بعد ، فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته ، والتمسك بأمره ، والمعاهدة على ما حملك الله : عز وجل من دينه ، وأستحفظك من كتابه ، فإن بتقوى الله ، عز وجل ، نجاء أولياء الله ، عز وجل ، من سخطه ، وبها تحق لهم ولايته ، وبها رافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم ، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ، والمخرج من كرب يوم القيامة . ولن يقبل ممن بقى إلا مثل ما رضى به عن من مضى ، ولمن بقى عبرة فيمن مضى ، وسنة الله ، عز وجل فيهم واحدة بادر بنفسك قبل أن يؤخذ بكظمك ، ويخلص إليك كما خلص إلى من كان قبلك . فقد رأيت الناس كيف يموتون وكيف يتفرقون ، ورأيت الموت كيف يعجل لتائب توبته ، وذا الأهل أهله ، وذا السلطان سلطانه ، وكفى بالموت موعظة بالغة ، وشاغلا عن الدنيا ، ومرغباً فى الآخرة . فنعوذ بالله عزوجل ، من شر الموت وما بعده ، ونسأل الله تعالى خيره . لا تطلبن شيئا من عرض الدنيا ، بقول ولا فعل ، تخاف أن يضر بآخرتك ، ويزرى بدينك ، ويمقتك عليه ربك .

واعلم أن القدر سيجرى إليك برزقك ، ويوافيك أكلك من دنياك غير مزيد فيه بحول منك ولا قوة ، ولا منقوص منه بضعف . إن ابتلاك الله بفقر فتعفف فى فقرك . واعتبر بما قسم الله عزوجل ، لك من الإسلام ، وما زوى [1] عنك من نعمة دنياك ، فإن فى الإسلام خلفاً من الذهب والفضة ، والدنيا الفانية .

واعلم أنه لن يضر عبداً صار إلى رضوان الله ، عز وجل ، وإلى الجنة ما أصابه فى الدنيا من فقر وبلاء . وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله ، عز وجل ، وإلى النار ، ما أصاب فى الدنيا من نعمة ورخاء ، ما يجد أهل الجنة مس مكروه أصابهم فى الدنيا ، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها فى دنياهم . كأن سائر ذلك لم يكن . فمن كان راغباً فى الجنة أو هارباً من النار ، فالآن فى هذه الأيام الخالية ، والتوبة مقبولة ، والذنب مغفور قبل نفاد الأجل ، وانقضاء المدة [2] ، وفراغ من الله عز وجل للثقلين [3] ليدينهم بأعمالهم فى موطن لا تقبل فيه الفدية ولا تنفع فيه الحيلة . تبرز فيه الخفيات ، ويبطل فيه الشفاعات ، يَرِدُه الناس جميعا بأعمالهم ، وينصرفون منه أشتاتاً إلى منازلهم . فطوبى يومئذ لمن أطاع الله ، عز وجل ، وويل يومئذ لمن عصى الله عز وجل ، فإن ابتلاك الله بالغنى فاقتصد فى غناك ، وضع للّه نفسك ، وأدّ للّه عز وجل ، فرائض حقه من مالك ، وقل عند ذلك ما قال العبد الصالح :

﴿هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم﴾ [4] . وإياك أن تفخر بطولك وأن تعجب بنفسك ، أو يخيل إليك أن ما رزقته لكرامتك على ربك ، عز وجل ، وتفضيله إياك على غيرك ممن لم يرزق مثل غناك فإذا أنت أخطأت باب الشكر ، ونزلت منازل أهل الفقر ، وكنت ممن أطغاه الغنى ، وتعجل طيباته فى الدنيا ، فإنى أعظك بهذا ، وإنى لكثير الإسراف على نفسى ، غير محكم لكثير من أمرى ، ولو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم نفسه ، ويعمل فى الذى خلق له من عبادة ربه ، عز وجل ، إذن لتواكل كل الناس الخير ، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإذن لاستحلت المحارم ، وقلّ الواعظون والساعون لله ،

---

(١) زوى : قبض وجمع . (٢) فى المختصر : «العمر» . (٣) فى المختصر : «للمتقين» .

(٤) سورة النمل آية : ٤٠

عز وجل « النصيحة فى الأرض » .

قال : حدثنا كدير بن سليمان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله عبد الله بن عوف على فلسطين أن : اركب [1] إلى بيت يقال له : المكس، فاهدمه ، ثم احمله إلى البحر ، فانسفه في اليم نسفاً .

امتحان الذين يريد توليتهم :

قال : حدثنا ابن عائشة ، عن جويرية بن أسماء قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، وفد عليه بلال بن أبى بردة فهنأة فقال : من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين شرفته فقد شرفتها، ومن كانت زلته فقد زنتها، وأنت، والله، كما قال مالك بن أسماء.

وتزيدين طيّب الطيب طيباً	إن تمسسيه أين مثلك أينا ؟
وإذا الدر زان حسن وجوه	كان الدر حسن وجهك زينا !

فجزاه عمر خيراً . ولزم بلال المسجد يصلى ، ويقر ليلة ونهاره ، فهمّ عمر أن يوليه العراق ، ثم قال : هذا رجل له فضل ، فدس إليه ثقة له ، فقال له : إن عملت لك في ولاية فى العراق ما تعطينى؟ فمن له مالاً جليلاً . فأخبر بذلك عمر ، فنفاه وأخرجه . وقال: يا أهل العراق إن صاحبكم أعطى مقولا [2] ولم يعط معقولا ، وزادت بلاغته ونقصت زهادته .

قال: حدثنا عكرمة بن عمار قال : سمعت كانت عمر بن عبد العزيز يقول : « أما بعد فأمر أهل العلم أن ينتشروا فى مساجدهم ، فإن السنة كانت قد أميتت » .

قال : حدثنا يحيى بن يمان قال : بلغنى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله : « أما بعد فالزم الحق ، ينزلك الحق منازل أهل الحق ، يوم لا يقضى بين الناس إلا بالحق ، وهم لا يظلمون » .

وقال يحيى بن يمان: وكتب عمر إلى عامل له: (أما بعد ، فلتجف يداك من دماء المسلمين، وبطنك من أموالهم، ولسانك من أعراضهم . فإذا فعلت ذلك فليس عليك

---

(١) فى المختصر : « إذا ركب »

(٢) فى المختصر : « منقولاً » .

سبيل : ﴿ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ﴾ [1] الآية .

قال حدثنا إسحاق بن عبد الملك قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل مكة : (لا تدع أهل مكة يأخذوا على بيوت مكة أجراً فإنه لا يحل لهم) .

لا قليل من الإثم :

قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن محمد بن طلحة ، عن داود بن سليمان الجعفى ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن : « سلام عليك. فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة ، وجور فى أحكامهم ، وسنن خبيثة سنها عليهم عمال السوء ، وإن أقوم الدين العدل والإحسان ، فلا يكونن شىء أهم إليك من نفسك ، أن توطنها لطاعة الله ، فإنه لا قليل من الإثم » .

قال : حدثنا أبو أسامة ، عن جرير ، قال : قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عدى : « واعلم أن أحداً لا يستطع إنقاذ قضايا ما بين الناس حتى لا يبقى منها شىء ، لا بد من أن تسأجر قضايا ليوم الحساب » .

لا تجمع للمسلمين إلا الحلال الطيب :

قال : حدثنا يعقوب بن سفيان قال : قلت ليزيد بن عبد ربه :حدثكم بقية ، عن ابن أبى مريم ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى والى حمص :

« انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه ، وحبسوها فى المسجد عن طلب العلم ، فأعط كل منهم مائة دينار ، يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابى هذا ، وإن خير الخير أعجله . والسلام عليك » .

قال : فكان عمر بن قيس ، وأسد بن وداعة فيمن أخذها ؟

فقال يزيد بن عبد ربه : نعم .

قال بقية ، عن زرعة بن عبد الله الزبيدى ، عن عبد الله بن كريز [2] قال : كتب عامل إفريقية إلى عمر بن عبد العزيز ، يشكو إليه الهوام والعقارب فكتب إليه .

---

(١) سورة الشورى آية ٤٢ (٢) المختصر : « كرين » .

« وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول : **﴿ ومالنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾** [1] .

قال : زرعة وهي تنفع من البراغيث . قال نصر بن عدى [2] : كتب ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز يستعفيه من الخراج فكتب اليه عمر : « يا بن مهران إنى لم أكلفك بغياً فى حكمك ، ولا فى جباياتك ، فاجب ما جبيت من الحلال . ولا تجمع للمسلمين إلا الحلال الطيب » .

أنت يا أمير المؤمنين الأم التى فرشت فأنامت :

قال : حدثنا عبد الرحمن بن حسن [3] عن أبيه ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الجراح بن عبد الله .

« أما بعد ؛ فإنه بلغنى أنك كتبت لمخاد بن يزيد الملهب ، ولآل الملهب ، أمَّا فرشت فأنمت » .

فكتب إليه الجراح :

« أما بعد ؛ يا أمير المؤمنين ، فإنك كتبت إلى فى عهدك أن لا أوثق أحداً من خلق الله وثاقاً يمنع صلاة ، ولا أبسط على أحد من خلق الله عذاباً . فأنت يا أمير المؤمنين الأم التى فرشت ـ أو قال الذى فرشت فأنامت ـ لمخلد بن يزيد ، ولآل الملهب ، ولجميع رعيتك » .

قال : فدعا مخلداً فقال : إن شئت أن تقيم عندنا ، على حالك التى أنت عليها ، وإن شئت أن ألحقك بأمير المؤمنين ولا أراه إلا خيراً لك . قال : فألحقنى بأمير المؤمنين . قال : فدفعه إليه ، فأطلقه عمر بن عبد العزيز .

قال : وكتب إليه :

« إنه بلغنى أنك قد استعملت عبد الله بن الأهتم ، وأن الله عز وجل ، لم يبارك لعبد الله ، ولا لأهل بيته فى العمل . فإذا أتاك كتابى فاعزله ، وإنه مع ذلك لذو قرابة لأمير المؤمنين . ويلغنى أنك استعملت عمارة الطويل ، فإنه لا حاجة لى بعمارة ، ولا بضرب عمارة ، ولا برجل غمس يده فى دماء المسلمين ، فإذا أتاك كتابى هذا فاعزله . وبلغنى

(٢) سورة إبراهيم آية : ١٢ (٢) المختصر : « عربى » . (٣) المختصر : « الحسن » .

أنك استعملت السيال بن المنذر، وإنى لا أدرى ما سيالك، هذا » .

قال : فكتب إليه :

« إن قد جاءنى كتابك فى عبد الله ، وإنى أستعمله ، يا أمير المؤمنين ، فأجزأ ثغره ، وهابه عدوه ، وحمد أهل عمله ، ولم يكن جزاؤه العزل . وكتبت إلىّ فى عمارة ، إنه رجل شام الحورية ثم رجع عن ذلك أحسن رجوع ، وتاب منه أحسن توبة . قال : واعتذر إليه فى السيّال بشىء آخر فعذره » .

قال : عن أيوب بن موسى ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عروة ، عامله على اليمن :

« أما بعد فإنى أكتب إليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم ، وتراجعنى وأنت تعرف بعد مسافة ما بينى وبينك ، ولا تعرف أخذات الموت ، حتى لو كتبت إليك اردد على مسلم مظلمة لكتبت إلىّ أردها عفراء أو سوداء . انظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعنى » .

قال أيوب بن موسى : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : أن عاقبوا الناس على قدر ذنوبهم ، وإن بلغ ذلك سوطاً واحداً . وإياكم أن تبلغوا حدا من حدود الله .

كيف أصلحت الموصل ؟

قال : عن ابن يحيى الغسانى ، قال : حدثنى ، عن جدى قال :

لما ولانى عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها ، فوجدتها من أكثر البلاد سرقاً ونقباً . فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد ، وأسأله آخذ الناس بالظنة ، وأضربهم على التهمة ، أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة ، فكتب إلىّ أن خذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة ، فإن لم يصلحهم الحق . فلا أصلحهم الله .

فقال يحيى : ففعلت ذلك ، فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقاً ونقباً .

قال : حدثنا الأوزاعى قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عروة بن

محمدعامله على اليمن :

« انظر من قبلك من بنى فلان ، فأقصـهم عنك ، ولا تشركهم فى شىء من عملك ، فإنه بئس أهل البيت كانوا » .

قال الشيخ : قد سبق ذكر هذا مفسراً ، وأنهم أهل بيت الحجاج [1].

قال : حدثنا جعفر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير الجزيرة . فكان فيما كتب إليه :

« وكن لمن ولاك الله أمره : ناصحاً فيما تعيب عليهم من أمورهم ، ساتراً لما استطعت من عوراتهم ، إلا شيئاً أبداه [2] الله لا يصلح ستره . وتمسك نفسك عنهم إذا غضبت وإذا رضيت ، حتى يكون ذلك فيما بينك وبينهم مستوياً حسناً جميلاً . ،لا تبتغين لحق أديته إليهم ، ولا لخبر سددتهم له منهم حظاً ولا مدحة، وليكن ذاك لمن لا يعطى الخير إلا هو ، ولا يصرف السوء إلا هو . واغتنم كل يوم وليلة مضت عليك وأنت سالم » .

قال : حدثنا حسين بن على ، عن عمر الدمشقى قال : « بلغ » عمر بن عبد العزيز عن جند له شىء فكتب اليهم :

﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا﴾.

كفى بالقدر حاجزاً وبالأمل حارساً :

قال : حدثنا الحكم بن عمير الرعينى قال : عمر يقول لحراسه :

« إن بى عنكم لغنى، كفى بالقدر حاجزاً وبالأجل حارساً ، ولا أطرحكم من مراتبكم ، من أقام منكم فله عشرة دنانير ، ومن شاء فليلحق بأهله » .

وكان لعمر ثلاثمائة شرطى وثلاثمائة حرسى .

وكتب إلى عمر عامل من عماله يشكو قلة القراطيس فأجابه عمر : « أدق قلمك ،

---

(١) تقدم فيماسبق . (٢) فى المختصر : « أبله » .

وأقل كلامك تكتفى بما قبلك من القراطيس » .

قال : وشهدت رسالة عمر خرجت إلى أهل الأمصار [(١)] :

« لا يركب نصرانى سرجاً ، ولا يلبس قباء ولا طيلساناً ، ولا سراويل ذات خدمة ، ولا يمشين بغير زنارمن جلد ، ولا يمش إلا مفروق الناصية ، ولا يوجد فى بيت نصرانى سلاح إلا أُخذ » [(٢)] .

قال : حدثنى هارون بن محمد [(٣)] البربرى أن عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة ، على قضائها وعلى خراجها ، فكتب إليه ميمون يستعفونه وقال : كلفتنى ما لا أطيق ، أقضى بين الناس وأنا شيخ كبير ضعيف رقيق فكتب إليه :

«أجب الخراج الطيب ، واقض ما استبان لك ، وإذا التبس عليك أمر فارفعه إلىّ ، فإن الناس ، لو كانوا إذا كثر عليهم شىء تركوه ، ما قام لهم دين ولا دنيا ».

قلة الخراج بكثرة الداخلين فى الإسلام :

قال : حدثنا جابر بن حنظلة الضبى قال: كتب عدى بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز :

«أما بعد ؛ فإن الناس قد كثروا فى الإسلام . وخفت أن يقل الخراج » .

فكتب إليه عمر:

« فهمت كتابك ، والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا » .

قال : حدثنا أبو عبد الله بن درست ، يرفعه إلى عبد الوهاب بن الورد قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله : إياكم أن تستعملوا على شىء من أعمالنا إلا أهل القرآن ، فكتبوا إليه : يا أمير المؤمنين ، إنا استعملنا أهل القرآن فوجدناهم خونة . فكتب

(١) فى المختصر : « خرجت إلى الديوان إلى أقصاء الشام » .

(٢)هذه أوامر كان لها ما يبررها فيما سبق وإلا فإن الإسلام ورسول الإسلام يوصيان بأهل الذمة ومن نقض لهما عهداً لا يرح رائحة الجنة . (٣) فى المختصر : « أبى محمد » .

لهم : إياكم أن يبلغنى عنكم أنكم استعملتم على شيء من أعمالنا إلا أهل القرآن »[1] فإنه لم يكن عند أهل القرآن خير فغيرهم أحرى بأن لا يكون عندهم خير.

تخويفه عماله من عقاب الله :

قال : حدثنا الفضل بن الربيع قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : بلغنى أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا اليه ، فكتب إليه عمر :

« يا أخى ؛ أذكرك طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد . وإياك أن ينصرف بك من عند الله ، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء ».

فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر فقال له : ما أقدمك ؟ قال خلعت قلبى بكتابك .لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله تعالى .

قال : حدثنا مخلد بن الحسن ، عن الأوزاعى ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله أن فادوا بأسارى المسلمين ، وإن أحاط ذلك بجميع مالهم .

قال : حدثنا أبو منصور بن عبد العزيز العكبرى ، عن ابن شهاب ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : « أما بعد ؛ فاتق الله فيمن وليت أمره، ولا تأمن مكره فى تأخير عقوبته ، فإنه إنما يعجل بالعقوبة من يخاف الفوت . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

قال : حدثنا عيسى بن سليمان ؛ عن ضمرة ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله :

« أما بعد ؛ فإذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكر قدرة الله عليك ، فى نفاذ ما يأتى اليهم وبقاء ما يؤتى إليك » .

قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة، وكان قد استخلفه على البصرة :

---

(١) من المختصر .

« أما بعد ، فإنك غررتنى بعمامتك السـوداء ، ومجالستك القراء ، وإرسالك العـمامة من ورائك ، وإنك أظهرت لى الخير فأحسنت بك الظن .وقد أظهر الله ما كنتم تكتمون . والسلام » .

ثناؤه على الحسن البصرى :

قال : حدثنا عبد الملك بن بزيع قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة :

« أما بعـد ؛ فإنك لن تـزال تعنى إلى رجلاً من المسلمين ، فى الحـر والبرد يسـألنى عن السنة ، كأنك إنمـا تعظنى بذلك . وايم الله لحسبك بالحسن [1] فإذا أتاك كتـابى هذا فسل الحسن لى ولك وللمسلمين فرحم الله الحسن ، فإنه من الإسلام بمنزل ومكان . ولا تقرئنه كتابـى هـذا » .

نهيه عن النبيذ :

قال : حـدثنا الصعق بن حـزن قال : شهـدت قراءة كـتاب عمـر بن عبـد العزيز إلى عدى بن أرطاة بالبصرة :

« أما بعد ؛ فإنه قد كان فى الناس من هذا الشراب أمر ساءت فيه رعيتهم ، وغشوا فيه أمـوراً انتهكوها عند ذهاب عـقولهـم ، وسفـه أحلامـهم بلغت بهم الدم الحرام ، والفـرج الحرام ، والمال الحرام . وقد أصبح جلّ من يصـيب من ذلك الشراب يقول : شربنا شراباً لا بأس به ، ولعمـرى إن ما حمل على هذه الأمور ، وضـاع الحرام لبأس شديد ، وقـد جعل الله عنه مندوحة وسعة من أشـربة كثيرة طيبة ، ليس فى الأنفس منهـا جائحة : الماء العذب الفرات ، واللبن والعـسل والسويق . فمن انتـبذ نبيذاً فـلا ينبذه إلاّ فى أسقـية الأدم التى لا زفت فيـها . وقد بلـغنا أن رسول الله ﷺ نهى عن نبيـذ الحـر والدباء والظروب المزفتـة . وكان يقال : كل مسكـر حرام . فاستغنوا بما أحل الله عن ما حرم ، فإنا من وجدناه يشرب من هذه ، بعدمـا تقدمنا إليه ، أوجعناه عـقوبة شديدة ومن اسـتخفى ، فالله أشـد تنكيلاً ، وقـد أردت بكتابى هذا اتخـاذ الحجـة عليكم اليـوم وفيـما بعـد اليوم ، أسـأل الله أن يزيد

---

(١) يقصد الحسن البصرى .

المهتدى منا ومنكم هدى ،وأن يراجع بالمسيء منا ومنكم التوبة فى يسر [1] وعافية . والسلام » .

قال : حدثنا الأوزاعى قال : كتب عمر إلى عماله :

« اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلوات ،فمن أضاعها فهو ، لما سواها من شرائع الإسلام ، أشد تضييعاً »

قال : حدثنى الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى ابن أرطاة :

« أما بعد ؛ فإنى أذكرك ليلة تمخض بالساعة ، فصباحها القيامة : يا لها من ليلة ، ويا له من صباح ، كان على الكافرين عسيراً » .

قال: حدثنا الفضل بن العباس الحلبى قال : قال بشر بن الحارث : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله :

« اعمل للدنيا على قدر مقامك فيها . واعمل للآخرة على قدر مقامك فيها »

خطأ الوالى فى العفو خير من تعديه فى العقوبه :

قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح ، عن أبى عقبة ، أن عمر بن عبد العزيز قال :

« ادرءوا الحدود ما استطعتم فى كل شبهة ، فإن الوالى ، إذا أخطأ فى العفو ، خير من أن يتعدى فى العقوبة » .

قال : حدثنا ابن عيسى ، عن أبى بكر بن أبى مريم ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى والى حمص أن مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث . قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله:

---

(١) فى المختصر : « عن يسر » .

« أما بعد ؛ فإذا أمكنك القدرة من ظلم العباد ، فاذكر قدرة الله عليك ، وذهاب ما تأتي إليهم . واعلم أنك ما تأتي إليهم أمراً إلا كان زائلاً عنهم باقياً عليك . وأن الله تعالى أخذ للمظلوم من الظالم ، فمهما ظلمت من أحد فلا تظلمن من لا ينتصر عليك إلا بالله ، عز وجل » .

قال : حدثنا سفيان ، عن جعفر بن برقان ، قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : « أما بعد : فإن هذا الرجف شيء يعاتب الله تعالى به العباد . وقد كتبت إلى الأمصار أن يخرجوا يوم كذا وكذا ، فمن عنده شيء فليتصدق به ، فإن الله تعالى يقول ﴿ **قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ (١) .

وقولوا كما قال أبوكم آدم عليه السلام : ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ (٢) وقولوا كما قال يونس : ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** ﴾ (٣) .

إن منزلتين أحسنهما الكذب لمنزلتا سوء :

قال : حدثنا أبو المليح ، عن ميمون ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وعنده عامله على الكوفة ، فإذا هو متغيظ عليه . فقلت : ما له يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلغنني أنه قال : لا أجد شاهد زور إلا قطعتُ لسانه . قال : فقلت : يا أمير المؤمنين : إنه لم يكن بفاعل . قال :فقال : انظروا إلى هذا الشيخ ، إن منزلتين ، أحسنهما الكذب ، لمنزلتا سوء .

الباب التاسع عشر
في ذكر رده المظالم

قال :حدثنا محمد بن راشد عن سليمان ـ يعني ابن موسى ـ أنه بلغه أن قوماً من الأعراب خاصموا إلى عمر بن عبد العزيز قوماً من بني مروان ، في أرض كانت الأعراب

---

(١) سورة الأعلى الآيتان : ١٤ ـ ١٥ . (٢) سورة الأعراف آية : ٢٣ . (٣) سورة الأنبياء آية : ٨٧ .

أحيـوها ، فأخذها الوليـد بن عبد الملك ، فأعـطاها أهله ، فقال عمـر بن عبد العـزيز : قال رسول الله ﷺ « البلاد بلاد الله ، والعباد عبـاد الله ، من أحيا أرضاً ميتة فـهى له » فردّها على الأعراب.

ابن عمر يعظ عمر :

قال : حـدثنى سهل بن يحـيى المروزى : أخبرنى ، عن عـبد العزيـز بن عمر بن عـبد العزيز قال : لما دفن عمـر سليمان ، صعد إلى المنبر فقـال : « إنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعـتى فاختاروا لأنفسـكم » فصاح الناس صيـحة واحدة : قد اختـرناك ، فنزل فدخل فأمر بالستور فهتكت ، والثياب التى كانت تبسـط للخلفاء فحملت ، وأمر ببيعها وإدخالها ـ أو قال إدخال ثمنها ـ بيت المال ، ثم ذهب يتبوأ مقيلاً ، فقال ابنه عبد الملك : تقيل ولا ترد المظالم ... قال : من لك أن تعيش إلى الظهر ؟ فخرج ولم يقل ، فأمر مناديه أن ينادى : ألا من كانت له مظلمة فليرفعها . فـقام إليه رجل ذمى من أهل حمص ، أبيض الرأس واللحية فقال : يا أمـير المؤمنين أسألك كتاب الله، قـال : وما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليـد بن عبد الملك اغتـصبنى أرضى ـ والعبـاس جالس ـ فقـال ! ما تقول ؟ قـال : أقطعنيها أمـير المؤمنين الوليـد بن عبـد الملك ، وكتب لى بـها سـجلاً ، فـقال : مـا تقول يا ذمى ؟ : قـال : يا أمـير المؤمنين: أسألك كتاب الله عز وجل . فقال عمر : كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ابن عبد الملك ، أردد عليه يا عباس بيته ، من المظالم إلاّ ردها ، مظلمة مظلمة .

قال : حدثنا أبـو المليح : عن ميمون ـ يعنى ابن مـهران ـ قال : بعث إلى عمـر بن عبد العزيز ، وإلى مكحول ، وإلى أبى قلابة ، فـقال : ما ترون فى هذه الأموال التى أخذت من الناس ظلماً ؟ فقـال مكحول : يومئذ قولاً ضـعيفاً كرهه قـال : أرى أن تستأنف . فنظر إلى عمر كـالمستغيث بى فقلت : يا أمـير المؤمنين ! ابعث إلى عبد الملك فأحـضره ، فإنه ليس بدون من رأيت . قال : يا حارث ! ادع لى عبد الملك . فلمـا دخل عليه قال : يا عبد الملك مـا ترى فى هذه الأموال التى أُخذت من الناس ظلـماً قـد حضـروا يطلبـونهـا وقد عـرفنا مواضعها ؟ قال : أرى أن تردها ، فإن لـم تفعل ، كنت شريكاً فى أخذها .

قال : حـدثنا هشام بن حـسان قـال : قال عـمر بن عـبد العزيز: أروح إلـى الصلاة ، فأصعـد المنبر فأرد ما أصبنا من أموال المسلمين على رؤوس الناس . فقال ابنـه عبد الملك :

ومن لك أن تعيش إلى الصلاة ؟ قال : فمه ؟

قال : الساعة . فخرج ، ونودى فى الناس الصلاة جامعة فصعد المنبر ، فرده على الناس.

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن حليم ، قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فلما تفرقنا نادى مناد بالصلاة جامعة . قال : فجئت المسجد ، فإذا عمر على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

« أما بعد ؛ فإن هؤلاء أعطونا عطايا ما كان ينبغى لنا أن نأخذها ، وما كان لهم أن يعطوناها . وإنّى قد رأيت ذلك ليس على فيه دون الله محاسب ، وإنى قد بدأت بنفسى وأهل بيتى . اقرأ يا مزاحم » فجعل مزاحم يقرأ كتاباً كتباً ، ثم يأخذه عمر وبيده الجلم (١) يقصه حتى نودى بالظهر .

قال : حدثنا على بن عبد الله قال : دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه وهو فى قائلته ، فأيقظه وقال : ما يؤمنك أن تؤتى فى منامك وقد رفعت إليك مظالم لم تقض حق الله فيها ؟ قال : يا بنى إن نفسى مطيتى ، إن لم أرفق بها لم تبلغنى . إنى لو أتعبت نفسى وأعوانى ، لم يك ذلك إلا قليلاً ، حتى أسقط ويسقطوا ، وإنى لأحتسب فى نومتى من الأجر مثل الذى أحتسب فى يقظتى . إن الله ، جل ثناؤه ، لو أراد أن ينزل القرآن جملة لأنزله ، ولكنه أنزل الآية والآيتين ، حتى استكن الإيمان فى قلبهم . ثم قال : يا بنى :أما مما أنا فيه أمر هو أهم إلى من أهل بيتك ، هم أهل العدة والعدد ، وقبلهم ما قبلهم ، فلو جمعت ذلك فى يوم واحد خشيت انتشاره على ، ولكنى أنصف من الرجل والاثنين فيبلغ ذلك من وراءه فيكون أنجع له . فإن يرد الله تمام هذا الأمر أتمه ، وإن تكن الأخرى فحسب عبد أن يعلم الله أنه يحب أن ينصف جميع رعيته .

إما أن تردى حليك إلى بيت المال وإما أن تأذنى لى فى فراقك :

قال : حدثنا الفرات بن السائب : أن عمر بن عبد العزيز قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك ـ وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها ، لم ير مثله ـ : اختارى ، إما أن تردى حليك

(١) الجلم : المقراض يقصد: المقص .

إلى بيت المال ، وإمـا أن تأذني لى فى فـراقك ؟ فـإنى أكـره أن أكـون أنـا وأنت فى بيت واحد. قالت : لا بل اختارك يا أمير المؤمنين عليـه ، وعلى أضعافه لو كـان لى . فأمر به ، فحمل حتى وضع فى بيت مال المسلمين ، فلما هلك عـمر واستخلف يزيد قال لفاطمة : إن شئت رددته عليك ؟ قالت : فـإنى لا أشاؤه ، طبت عنه نفساً فى حياة عـمر وأرجع فيه بعد موته ؟ لا والله أدباً فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده .

بين الابن وأبيه :

قال : حدثنا سعـيد ، عن جويرية ، عن اسماعيل بن أبى حكيم ، قـال : كنا عند عمر ابن عبد العزيز حتى تفرق الناس ، ففزعنا فزعاً شديداً مخافة أن يكون قد جاء فتق من وجه من الوجوه أو حدث حدث . قال جويرية : وإنما كان أنه دعـا مزاحماً فقال : يا مزاحـم إن هؤلاء القوم قد أعطونا عطايا ، والله ما كان لهـم أن يعطوناها ، وما كان لنا أن نقبلها ، وإن ذلك قد صار إلى ، ليس على فيه دون الله محاسب ، فقال له مزاحم :يا أمير المؤمنين : هل تدرى كم ولدك ؟ هم كذا وكـذا . قال : فذرفت عيناه ، فـجعل يستـدمع ويقول : أكلهم إلى الله . قال : ثم انطلق مزاحم من وجهه ذلك ، حتى استأذن على عبد الملك ، فأذن له ـ وقد اضطجع للقائلة ـ فقال له عبد الملك : ما جاء بك يا مزاحم هذه الساعة ؟ هل حدث حدث ؟ قـال : نعم ، أشد الحدث عليك وعلى بنى أبيك . قال : وما ذاك ؟ قـال : دعانى أمير المؤمنين ـ فذكر له ما قال عمر ـ فـقال عبد الملك : فما قلت له ؟ قال : قلت له : يا أمير المؤمنين ؛ أتدرى كم ولدك ؟ هم كـذا وكذا ؟ قـال فمـا قال لك ؟ قـال : جعل يستـدمع ، ويقول : أكلهم إلى الله تعالى . قال عبد الملك : بئس وزير الدين أنت يا مزاحم ! ثم وثب فانطلق إلى باب أبيه عمر ، فاستأذن عـليه ، فقال له الآذن : إنّ أمير المؤمنين قد وضع رأسه للقائلة . قال: استأذن لى . فـقال له لآذن : أما ترحـمونه ؟ ليس له من الليل والـنهار إلا هذه الوقعة . قال عبد الملك : استأذن لى لا أم لك ! فسمع عمر الكلام ، فقال : من هذا ؟ قال هذا عبد الملك . قال : ائذن له فـدخل عليه وقد اضطجع عمر للقائلة ، فقـال : ما حاجتك يا بني في هذه الساعة ؟ قـال : حديث حدثنيه مزاحم . قـال : فأين وقع رأيك من ذلك ؟ قال :وقع رأيى على إنفاذه . قـال : فرفع عمـر يديه ، ثم قال : الحمد للـه الذى جعل لى من ذريتى من يعيننى على أمر دينى نعم يا بنى . أصلى الظهر ثم أصعد المنبر ، فأردها علانية على رؤوس الناس .

فقال عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! ومن لك بالظهر ؟ قال : فقال عمر : قد تفرق الناس ورجعوا للقائلة، فقال عبد الملك : تأمر مناديك ينادي : الصلاة جامعة فيجتمع الناس قال إسماعيل : فنادى المنادى : الصلاة جامعة : فخرجت ، فأتيت المسجد ، فجاء عمر ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد . فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا، والله ، ماكان لهم أن يعطوناها وما كان لنا نقبلها . وإن ذلك قد صار إليّ ليس عليّ فيه دون الله محاسب . ألا وإني قد رددتها بنفسي وأهل بيتي :

اقرأ يا مزاحم » .

قال : وقد جيء بسفط قبل ذلك ـ أو قال جونة ـ فيها تلك الكتب .

قال : فقرأ مزاحم كتاباً منها ، فلما فرغ من قراءته ، ناوله عمر وهو قاعد على المنبر وفي يده جلم ، قال : فجعل يقصه بالجلم واستأنف مزاحم كتاباً آخر ، فجعل . يقرؤه ، فلما فرغ منه دفعه إلى عمر فقصه ، ثم استأنف كتاباً آخر ، فما زال حتى نودى بصلاة الظهر .

ألا ترحمونه !

قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم ـ وكان مزاحم مولاه وكان فاضلاً ـ قال :إن هؤلاء القوم ـ يعني أهله ـ أقطعوني ما لم يكن لي أن آخذ ، ولا لهم أن يعطوني ، وإني قد هممت بردها على أربابها . قال : فقال مزاحم : فكيف تصنع بولدك ؟ قال : فجرت دموعه على وجنتيه .وجعل يمسحها بأصبعه الوسطى ويقول : « أكلهم إلى الله » . قال عبد الله : وكأن مزاحماً ، مع فضله ، لم يقنع بقوله : فخرج مزاحم ، فدخل على عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، فقال : إن أمير المؤمنين قد هم بأمر لهو أضر عليك وعلى ولد أبيك من كذا وكذا ، إنه قد هم برد السهلة ـ قال عبد الله : وهي باليمامة ، وهي أمر عظيم ـ قال وكان عيش ولده منها . قال عبد الملك : فماذا قلت له : قال : قال : كذا وكذا . قال : بئس ، لعمر الله ، وزير الخليفة أنت . قال : ثم قام ليدخل على عمر بن عبد العزيز وقد تبوأ مقيله .قال : فاستأذن. فقال له البواب : إنه قد تبرأ مقيله . قال : ما منه بد . قال: سبحان الله ، ألا ترحمونه ؟ إنما هي قال : فسمع عمر صوته

فقال: عبد الملك ؟ قال : نعم . قال : ادخل . فدخل . قال : ما جاء بك ؟قال : إنّ مزاحماً أخبرني بكذا وكذا . قال : فما رأيك ؟ فإني أريد أن أقوم بالعشية . قال : أرى أن تعجله ، فما تأمن أن يحدث الله بك حدثاً . قال : فرفع يديه وقال الحمد لله الذى جعل من ذريتى من يعينني على ديني . قال : ثم قام من ساعته ، فجمع الناس وأمر بردها . قال يعقوب بن سفيان ، وحدثنى سليمان أن عمر نظر فى مزارعه ، فخرق سجلات بها غير مزرعتين : « خيبر » و « السويداء » ،فسأل عن خيبر من أين كانت لأبيه ؟ قيل : كانت فيئاً على عهد رسول الله ﷺ فتركها رسول الله ﷺ فيئاً على المسلمين حتى كان عثمان بن عفان ، فأعطاها مروان بن الحكم ، وأعطاها مروان عبد العزيز أبا عمر وأعطاها عبد العزيز عمر ، فخرق سجلها وقال : إنما أتركها كما تركها رسول الله ﷺ . وبلغنى أنها كانت « فدك » .

خبر (فدك) وتنازل عمر عنها :

.قال : حدثنا ابراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : كانت فدك فيئاً لرسول الله ﷺ فكانت لابن السبيل . فسألته ابنته إياها ،فأبى رسول الله ﷺ أن يعطيها . فولى أبو بكر ، فسلك ما كان رسول الله ﷺ يفعل . ثم عمر ، ثم عثمان كذلك ، فلما كانت الجماعة [1] على عهد معاوية ، ولى مروان ، فكتب إلى معاوية يطلب فدكاً فأعطاه إياها ، فكانت بيد مروان يبيع ثمرها كل سنة بعشرة آلاف درهم . ثم نزع مروان وغضب فنزعها من يده ، فكانت بيده وكيله بالمدينة ،فلما ولى مروان المدينة للمرة الأخيرة ردها عليه ، فأعطى عبد الملك نصفها وعبد العزيز نصفها ، فوهب عبد العزيز حقه لعمر ولده ، فلما توفى عبد الملك طلب عمر إلى الوليد حقه فوهبه له ، وطلب إلى سليمان حقه فوهبه له ، ثم من بقى من أعيان بنى عبد الملك ، حتى حصلت له .

قال جعفر : فلقد ولى عمر الخلافة وما يقوم به وبعياله إلا وهى تغل كل سنة عشرة آلاف أو أقل أو أكثر ، فسأل عنها حفص ، فخبر بما كان أمرها فى عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان ، فكتب إلى أبى بكر بن حزم كتاباً يقول فيه :

« إنى نظرت في أمر فدك ، فإذا هو لا يصلح ، فرأيت أن أردها على ما كانت عليه

(١) « ج ٢ص ٢٣٥» :راجع العقد الفريد لابن عبد ربه .

في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ، فاقبضها ووليها رجلاً يقوم فيها بالحق وسلام عليك » .

قال حدثنا يعقوب ، عن أبيه ، قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خرج مما كان في يده من القطائع ، وكان في يده « المكيدس » و « جبل الورس » باليمن ، و « فدك » وقطائع باليمن ، فخرج من ذلك كله ورده إلى المسلمين إلا أنه ترك عيناً بالسويداء ، وكان استنباطها بعطائه ، فكانت تأتيه غلتها كل سنة مائة وخمسون ديناراً أو أقل أو أكثر ، فذكر له مزاحم يوماً أن نفقة أهله قد فنيت فقال : حتى تأتينا قال : فلم ينشب أن قدم قيمة بغلته وبجراب تمر صيحاني ، وبجراب تمر عجوة ، فنثره بين يديه . وسمع أهله بذلك ، فأرسلوا ابناً له صغيراً فحفن له من التمر فانصرف ، فلم ينشب أن سمعنا بكاءه قد ضرب ، ثم أقبل بأم الدنانير ، فقال : امسكوا يديه ، ثم رجع يديه فقال اللهم بغضها اليه كما حببتها إلى موسى بن النضر . ثم قال : خلوه ، فكأنما رأى به عقارب ، ثم قال : انظروا الشيخ الجزري المكفوف الذي كان يغدو بالأسحار فخذوا. ثم قال لمزاحم: شأنك ما بقي فأنفقه على أهلك .

قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : قال أبو بكر بن أبي سبرة : لما رد عمر المظالم قال : إنه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي ، فنظر إلى ما في يديه من أرض أو متاع ، فخرج منه حتى نظر إلى فص خاتم ، فقال : هذا مما كان الوليد أعطانيه مما جاء من أرض المغرب فخرج منه .

احترام الناس لعمر بعد وفاته :

قال حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني قال : حدثني أبي ، عن جدي قال : كنت عند هشام بن عبد الملك جالساً ، فأتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين : إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة ، فأقرها الوليد وسليمان ، حتى إذا استخلف عمر ، رحمه الله ، نزعها فقال له هشام : أعد مقالتك ، فقال : يا أمير المؤمنين: إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة ؛ فأقرها الوليد وسليمان ، حتى إذا استخلف عمر ، رحمه الله ، نزعها . فقال : والله إن فيك لعجباً إنك تذكر من أقطع جدك القطيعة ومن أقرها ، فلا تترحم عليه ، وتذكر من نزعها فتترحم عليه ، وإنا قد أمضينا ما صنع عمر رحمة الله عليه .

الباب العشرون

فى ذكر نفور بنى مروان من عدله وجوابه لهم

كتاب عمر بن الوليد فى تأنيب عمر :

قال : حدثنى سهل بن يحيى المروزى قال : أخبرنى أبى ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز ،جعل لا يدع شيئاً مما كان فى يده ويد أهل بيته من المظالم إلا ردها ، مظلمة مظلمة ، فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب اليه

« إنك أزريت [1]على من كان قبلك من الخلفاء ، وعبت عليهم ، وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم وشنآناً لمن بعدهم من أولادهم ، قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم ، فأدخلتها بيت المال جوراً وعدواناً . يا بن عبد العزيز اتق الله وراقبه إن شططت ، لم تطمئن على منبرك حتى خصصت أول قرابتك بالظلم والجور . فوالذى خص محمداً ﷺ بما خصه به ، لقد ازددت عن الله بعداً فى ولايتك هذه إذ زعمت أنها عليك بلاء ، فاقصر بعض ميلك ، واعلم بأنك بعين جبار وفى قبضته ، ولن تترك على هذا » .

جواب عمر بن عبد العزيز لعمر بن الوليد :

فلما قرأ عمر بن عبد العزيز كتابه ، كتب اليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر ، أمير المؤمنين ، إلى عمر بن الوليد . السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أما بعد ؛ فإنه بلغنى كتابك وسأجيبك بنحو منه ، أما أول شأنك ، يا بن الوليد كما زعم ، فأمك بنانة أمة السكون ، كانت تطوف فى سوق حمص ، وتدخل فى حوانيتها ، ثم الله أعلم بما اشتراها ذبيان بن ذبيان من فىء المسلمين ، فأهداها لأبيك ، فحملت بك ،

---

(١) فى المختصر : « رزئت » .

فبئس المحمول وبئس المولود . ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً ، تزعم أنى من الظالمين ، لما حرمتك وأهل بيتك فىء الله ، عز وجل الذى فيه حق القرابة والمساكين والأرامل ، وإن أظلم منى ، وأترك لعهد الله من استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين تحكم بينهم برأيك ، ولم تكن له فى ذلك نية إلا حب الوالد لولده ، فويل لك وويل لأبيك ما أكثر خصماء كما يوم القيامة ؟ وكيف ينجو أبوك من خصمائه ؟ وإن أظلم منى ، وأترك لعهد الله ، من استعمل الحجاج بن يوسف على خمس [1] العرب يسفك الدم الحرام ، ويأخذ المال الحرام ، وإن أظلم منى، وأترك لعهد الله ، من استعمل قرة بن شريك أعرابياً جافيا على مصر ، أذن له فى المعازف واللهو والشرب ، وإن أظلم منى ، وأترك لعهد الله ، من جعل لعابية البربرية سهماً فى خمس العرب ، فرويداً يا بن بنانة ، فلو التقت حلقتا البطان ، ورد الفىء إلى أهله ، لتفرغت لك ولأهل بيتك ، فوضعتهم على المحجة البيضاء ، فطالما تركتم الحق وأخذتم فى بينات الطريق ، وما وراء هذا من الفضل ، ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل ، فإن لكل فيك حقاً والسلام علينا ولا ينال سلام الله الظالمين »

قال : حدثنا ضمرة ، عن أبى حملة وابن شوذب ، قال : كتب عمر بن الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً يغلظ له ، فكتب عمر :

« إن أظلم منى وأجور ، من ولى عبد ثقيف العراق ، فحكم فى دمائهم وأموالهم . وإن أظلم منى وأجور ، وأترك لعهد الله ، من ولى قرة مصر : جلفاً جافياً ، وإن أظلم منى وأجور ، وأترك لعهد الله ، من ولى عثمان بن حيان الحجاز ، فأنشد الأشعار على منبر رسول الله ﷺ وإنما أمك تختلف إلى حوانيت حمص ، فاشتراها ذبيان بن ذبيان ، فبعث بها إلى أبيك فحملت . فبئس الجنين وبئس المولود . ثم وضعتك جباراً شقياً . لقد هممت أن أبعث اليك من يحلق جمتك فبئس الجمة » .

كان إذا وقع فى أمر مضى فيه:

قال : حدثنا جويرية بن أسماء ، عن إسماعيل بن أبى حكيم ، قال : أتى عمر بن

(١) فى المختصر : « خمسى »

عبد العزيز كتاب بنى مروان ، فأغضبه ، فاستشاط ثم قال : إن الله من [1] بنى مروان يوماً ـ وقال نعيم : ذبحاً ـ وايم الله ،لئن كان ذلك الذبح على يدى ».

فلما بلغهم ذلك ، كفوا وكانوا يعلمون صرامته ، وأنه إذا وقع فى أمر مضى فيه .

قال : حدثنا المسيب بن واضح ، عن الأوزاعى ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد كتاباً فيه :

« ... وقسم أبوك الخمس كله، وإنما سهم أبيك كسهم رجل من المسلمين ، وفيه حق الله، وحق الرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فما أكثر خصماء أبيك يوم القيامة ، فكيف ينجو من كثرة خصمائه ؟ وإظهارك المعازف والمزامير بدعة فى الإسلام ، لقد هممت أن أبعث اليك من يجز جمتك ، جمة السوء ... »

قال : حدثنا الوليد بن مسلم . عن الأوزاعى ، قال : لما قطع عمر بن عبد العزيز على أهل بيته ما كان يجرى عليهم من أرزاق الخاصة ، وأمرهم بالانصراف إلى منازلهم ، تكلم فى ذلك عنبسة بن سعد فقال : يا أمير المؤمنين ! إن لنا قرابة ، قال : « لن يتسع مالى لكم ، وأما هذا المال فحقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد ، فلا يمنعه من أخذه إلا بعد مكانه . والله إنى لأرى أن الأمور ، لو استحالت حتى يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم ، لنزلت بهم بائقة من عذاب الله » .

لولا أن تستعينوا على بمن أطلب هذا الحق له لأضرعت خدودكم :

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لحاجبه : لا يدخل على اليوم إلا مروانى .

وأخبرنا سعيد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء ، عن إسماعيل بن أبى حكيم ، فيما أعلم ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لآذنه : لا يدخل على « اليوم إلا مروانى فلما اجتمعوا عنده ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا بنى مروان : إنكم قد أعطيتم حظاً وشرفاً وأموالاً . إنى لأحسب شطر أموال هذه

(١) فى المختصر : « فى » .

الأمة أو ثلثيها [1] فى أيديكم » .

فسكتوا . فقال عمر : ألا تجيبونى ؟ فقال رجل من القوم :

« والله ، لا يكون ذلك حتى يحال بين رؤوسنا وأجسادنا . والله لا نكفِّر آباءنا ، ولا نفقر أبناءنا .

فقال عمر :

« والله ، لولا أن تستعينوا علىّ بمن أطلب هذا الحق له لأضرعت خدودكم ، قوموا عنى » .

قال : حدثنا ابن وهب قال :حدثنى مالك أن عمر بن عبد العزيز ذكر ما مضى من الجور والعدل ، وعنده هشام بن عبد الملك ، فقال هشام : إنا والله لا نعيب آباءنا ، ولا نضع شرفنا فى قومنا . فقال عمر : وأى عيب أعيب ممن عابه القرآن ؟ .

لأكسرن تلك السواقى حتى أجريه مجراه الأول :

قال : حدثنا ابن غنية ، عن نوفل بن الفرات ، أن عمر بن عبد العزيز قال لعمته : « يا عمة ! إن رسول الله ﷺ قُبِض ، وترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهر بعده رجل فلم يستخص منه شيئا ، ثم ولى ذلك النهر بعد ذلك رجل آخر فكرى منه ساقية ، ثم لم يزل الناس يكرون منه السواقى حتى تركوه يابساً ليس فيه قطرة ، وايم الله ، لئن أبقانى لأسكرن تلك السواقى حتى أجريه مجراه الأول » .

قالت : فلا يسبوا عندك إذن ، قال: ومن يسبهم ؟ إنما يرفع الرجل مظلمته ، فأردها عليه .

قال الشيخ الإمام : هكذا وقع فى هذه الرواية : « ثم ولى رجل فكرى منه ساقية » إشارة منه إلى عمر ، وهوغلط ،وإنما الصواب ذكر ذلك فى حق عثمان .

وقد أخبرنا به على الصواب محمد بن عبد الباقى بن أحمد ، قال : حدثنا نوفل بن

(١) فى المختصر : « أو ثلثها » .

أبى الفرات قال : كانت بنو أمية ينزلون فلانة بنت مروان على أبواب القصور فلما ولى عمر بن عبد العزيز قال : لا يلى إنزالها أحد غيرى ، فأدخلوها على دابتها إلى باب قبته فأنزلها ، ثم طبق لها وسادتين : إحداهما على الأخرى ، ثم أنشأ يمازحها ، ولم يكن من شأنها المزاح ، فقال : أما رأيت الحرس الذى على الباب ، قالت :بلى فربما رأيتهم عند من هو خير منك ، فلما رأى الغضب لا يتحلل عنها ، أخذ فى الجد وترك المزاح ، فقال : يا عمة ! إن رسول الله ﷺ قبض فترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهر رجل فلم يستنقص منه شيئا ، ثم ولى بعد ذلك رجل آخر فكرى منه ساقية ، ثم لم يزل الناس يكرون منه السواقى حتى تركوه يابساً ليس فيه قطرة .وايم الله ، لئن أبقانى الله لأكسرن السواقى حتى أعيده إلى مجراه الأول . قالت فلا يسبُّوا عندك ؟ إذن ؟ قال : من يسبهم ؟ إنما يرفع لى الرجل مظلمته ، فأردها عليه .

كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقانى الله شره:

قال : حدثنا عبيد الله بن محمد التميمى ـ أو قال التيمى ـ قال : سمعت أبى وغيره يحدث أن عمر بن عبد العزيز ، لما ولى منع قرابته ما كان يجرى عليهم ، وأخذ منهم القطائع التى كانت فى أيديهم ، فشكوه إلى عمته ، أم عمر ، فدخلت عليه فقالت : إنّ قرابتك يشكونك ، ويزعمون أنك أخذت منهم خبرغيرك . قال : ما منعتهم حقاً أو شيئاً كان لهم ، فقالت إنى رأيتهم يتكلمون ، وإنى أخاف أن يهيجوا عليك يوماً عصيباً . فقال : كل يوم أخافه ، دون يوم القيامة ، فلا وقانى الله شره . قال : ودعا بدينار وجنب ومجمرة ، فألقى ذلك الدينار فى النار ، وجعل ينفخ على الدينار ، حتى إذا احمر تناوله بشىء ، فألقاه على الجنب ، فنش وقتر ، فقال : أى عمة ! أما تأوين لابن أخيك من مثل هذا ؟ فقامت على قرابته فقالت : تزوجون آل عمر ، فإذا نزعوا إلى الشبه جزعتهم . اصبروا له .

قال : حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس ، عن وهيب بن الورد ، قال : اجتمع بنو مروان على باب عمر بن عبد العزيز ، وجاء عبد الملك بن عمر ليدخل على أبيه ، فقال له : إما

أن تستأذن لنا ، وإما أن تبلغ عنا الرسالة . قال : قولوا ، قالوا : إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ، ويعرف لنا مواضعنا ، وإن أباك قد حرمنا ما في يده . قال : فدخل إلى أبيه فأخبره عنهم ، فقال له عمر : قل لهم : إن أبي يقول لكم : إني أخاف إن عصيت الله - أو قال ربي - عذاب يوم عظيم .

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن أسماء بن عبيد ، قال : دخل عنبسة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ! إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطونا العطايا منعتناها ، ولي عيال وضيعة ، أفتأذن لي أن أخرج إلى ضيعتي وما يصلح عيالي ؟ فقال عمر : أحبكم إلينا من كفانا مؤنته . فخرج من عنده ، فلما صار إلى الباب قال عمر : أبا خالد ! أبا خالد ! فرجع ، فقال : أكثر ذكر الموت فإن كنت في ضيق من العيش وسعه عليك ، وإن كنت في سعة من العيش ضيقه عليك .

إنها نفسي أحاول عنها :

قال : حدثنا عمر بن علي بن مقدم قال : قال ابن سليمان بن عبد الملك لمزاحم : إن لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر ، قال: فاستأذنت له فقال : أدخله ، فأدخله على عمر ، فقال ابن سليمان : يا أمير المؤمنين ! علي ما ترد على قطيعتي ؟ قال : معاذ الله أن أرد قطيعة رسخت في الإسلام ، قال : فهذا كتابي فأخرج كتاباً من كمه ، فقرأه عمر ، فقال : لمن كانت هذه الأرض ؟ قال : للفاسق ابن الحجاج . قال عمر: فهو أولى بماله . قال : يا أمير المؤمنين ؛ فإنها من بيت مال المسلمين ، قال : فالمسلمون أولى بها. قال : يا أمير المؤمنين رد علي كتابي قال : لو لم تأتني به لم أسلكه فأما إذا جأتني به، فلا ندعك تطالب بباطل قال : فبكى ابن سليمان . قال مزاحم : فقلت :يا أمير المؤمنين ؛ ابن سليمان تصنع به هذا ؟ قال ؛ ويحك يا مزاحم ! إنها نفسي أحاول عنها وإني لأجد له من اللوط ما أجد لولدي .

قال : حدثنا شعيب - يعني ابن صفوان - عن بشر بن عبد الله بن عمر ، عن بعض آل عمر أن هشام بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! إني رسول قومك إليك ، وإن في أنفسهم ما أكلمك به ، إنهم يقولون استأنف العمل برأيك فيما تحت يدك ، وخل بين من سبقك وبين ما ولوا ، بما عليهم ولهم .فقال له عمر: أرأيت إن أتيت بسجلين :

أحدهما من معاوية ، والآخر من عبد الملك بأمر واحد ، فبأى السجلين آخذ ؟ قال : بالأقدم . فقال عمر : فإنى وجدت كتاب الله الأقدم . فأنا حامل عليه من أتانى ممن تحت يدى وفيما سبقنى .

فقال له سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان : يا أمير المؤمنين ! امض لرأيك فيما وليت بالحق والعدل وخل عمن سبقك وعن ما ولى ، خيره وشره ، فإنك مكتف بذلك . فقال له عمر : أنشدك الله الذى إليه نعود ، أرأيت لو أن رجلاً هلك ، وترك بنين صغاراً وكباراً ، فغر الأكابر الأصاغر فى أموالهم ، فأدرك الأصاغر فجاؤوك بهم وبما صنعوا فى أموالهم ، ما كنت صانعاً ؟ قال : كنت أرد عليهم حقوقهم حتى يستوفوها . قال فإنى وجدت كثيراً ممن قبلى ، من الولاة ، غروا الناس بقوتهم وسلطانهم ، وغرهم بها أتباعهم ، فلما وليت أتونى بذلك فلم يسعنى إلا الرد على الضعيف من القوى ، وعلى المستضعف من الشريف فقال : وفقك الله يا أمير المؤمنين.

قال : حدثنا عبديس بن يحيى أبو نباتة قال : سمعت مالك بن أنس يقول : قال : عمر ابن عبد العزيز لابن لسليمان بن عبد الملك : صحبت أباك ، فما رأيت حرصاً يشبه حرصهم على الدنيا ، ماتوا وتركوها أقدر ما كانوا عليها .

أتأمرنى بالزنا ؟

قال : حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب ، قال : عرض على عمر بن عبد العزيز جوارٍ وعنده العباس بن الوليد بن عبد الملك ، قال : فجعل كلما مرت جارية تعجبه قال : يا أمير المؤمنين ! اتخذ هذه . فلما أكثر ، قال له عمر بن عبد العزيز : أتأمرنى بالزنا ؟ قال فخرج العباس ، فمر بأناس من أهل بيته ، فقال : ما يجلسكم بباب رجل يزعم أن آباءكم كانوا زناة ؟

ما كان أشده على بنى أمية :

قال : وبلغنى عن اسماعيل بن أبى حكيم قال : كان عند عمر بن عبد العزيز ناس من بنى مروان ، فحبسهم وقال لخبازه : إذا دعوت بالطعام فلا تعجل به ، فحبسهم حتى تعالى النهار - قال : وهم قوم لم يعتادوا ذلك - فمر به الخباز فقال : ويحك ! ائتنا بطعامك . قال

نعم يا أمير المؤمنين الآن . قال : فلما أبطأ ، قال لهم :فهل لكم فى سويق فأمسكوا ، فقال : ألا تأكلون ؟ قالوا : والله ، يا أمير المؤمنين ، ما نقدر عليه فقال لهم ذلك غير مرة ، فأبوا أن يأكلوا ، فقال : ويحكم يا بنى مروان ففيم التقحم [1] فى النار ؟ فبكى والله وأبكى .

قال : حدثنا أبو بكر المروزى قال : سمعت أحمد بن حنبل ـ وذكر عمر بن عبد العزيز ـ قال : ما كان أشده على بنى أمية .

الجزء الخامس :

الباب الحادى والعشرون
فى ذكر ما وُعظ به

سياق مواعظ الحسن البصرى لعمر بن عبد العزيز رحمهما الله

الموعظة الأولى

ما لى والدنيا ؟

قال : حدثنا أبو صالح ، كاتب الليث بن سعد ، قال : أخذتها من الليث بن سعد، رسالة الحسن بن أبى الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله :

«أما بعد ؛ اعلم يا أمير المؤمنين أن الدنيا دار ظعن وليست بدار إقامة ، وإنما أهبط اليها آدم من الجنة عقوبة ، وقد يحسب من لا يدرى ما ثواب الله أنها ثواب ، ومن يدرى ما عقاب الله أنها عقاب . ولها فى كل حين صرعة ، وليست صرعة كصرعة ، هى تهين من أكرمها ، وتذل من أعزها وتصرع من آثرها ، ولها فى كل حين قتلى ، فهى كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه ، فالزاد فيها تركها ، والغنى فيها فقرها . فكن فيها ، يا أمير المؤمنين ، المداوى جرحه ، يصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء ، يحتمى قليلاً مخافة ما يكره طويلاً . فإن أهل الفضائل كانوا ، منطقهم فيها بالصواب ، ومشيهم بالتواضع ، ومطعمهم

---

(١) كذا فى المختصر .

الطيب من الرزق ، مغمضى أبصارهم عن المحارم ، فخوفهم فى البر كخوفهم فى البحر ، ودعائهم فى السراء كدعائهم فى الضراء ، لولا الآجال التى كتبت لهم ما تقاوت أرواحهم فى أجسادهم خوفاً من العقاب وشوقاً إلى الثواب ، عظم الخالق فى نفوسهم فصغر المخلوقين فى أعينهم . واعلم ، يا أمير المؤمنين ، أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به ، وأن الندم على الشر يدعو إلى تركه ، وليس ما يفنى ، وإن كان كثيراً ، بأهل أن يؤثر على ما بقى ، وإن كان طلبه عزيزاً ، واحتمال المؤنة المنقطعة ، التى تعقب الراحة الطويلة ، خير من تعجيل راحة منقطة تعقب مؤنة باقية وندامة طويلة ، فاحذر هذه الدنيا الصارعة ، الخاذلة القاتلة ، التى تزينت بخدعها ، وفتكت بغرورها ، وخدعت بآمالها ، فأصبحت كالعروس لها عاشقة ، وهى لأزواجها كلهم قاتلة ، فلا الباقى بالماضى معتبر ، ولا الآخر لما رأى من أثرها على الأول مزدجر ، ولا العارف بالله المصدق له حين أخبره عنها مدكر ، قد أبنت القلوب لها إلا حباً . وأبت النفوس لها إلا عشقاً ، ومن عشق شيئاً لم يلهم غيره ، ولم يعقل سواه ، مات فى طلبه وكان أثر الأشياء عنده ، فهما عاشقان طالبان مجتهدان .

فعاشق قد ظفر منها بحاجته فأغنته ، وطغى ونسى ، ولها فغفل عن مبتدإ خلقه ، وضيع ما إليه معده فقل فى الدنيا لبثه ، حتى زالت عنه قدمه ، وجاءته منيته على أسر ما كان منها حالاً ، وأطول ما كان فيها أملاً ، فعظم ندمه . وكثرت حسرته ، مع ما عالج من سكرته ، فاجتمعت عليه سكرة الموت بكربته ، وحسرة الفوت بغصته ، فغير موصوف ما نزل به .

وآخر مات من قبل أن يظفر منها بحاجته ، فمات بغمه وكمده ولم يدرك فيها ما طلب ، ولم يرح نفسه من التعب والنصب ، فخرجا جميعاً بغير زاد ، وقدما على غير مهاد ، فاحذرها ، يا أمير المؤمنين ،الحذر كله ، فإنما مثلها كمثل الحية لين مسها تقتل بسمها فأعرض يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها لما قد أيقنت من فراقها ، واجعل شدة ما اشتد منها رجاء ما ترجو بعدها ، وكن ، عند أسر ما تكون فيها ، أحذر ما تكون لها . فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور صحبته من سرورها بما يسوؤه وكلما ظفر منها بما يحب انقلبت عليه بما يكره . فالسار منها لأهلها غار ،والنافع منها غداً ضار .وقد وصل الرخاء فيها بالبلاء وجعل البقاء فيها ... فسرورها بالحزن مشوب ،

والناعم فيها مسلوب فانظر يا أمير المؤمنين اليها انظر الزاهق المفارق ولا تنظر نظر المبتلى العاشق . واعلم أنها تزيل الثاوى بالساكن ، وتفجع المترف فيها الآمن ، ولا ترجع ما تولى وأدبر ، ولا بد ما هو آت منها ينتظر ، ولا يتبع ما صفا منها إلا كدر فاحذرها ، فإن أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وعيشها نكد ، وصفوها كدر . وأنت منها منية قاضية فلقد كدرت المعيشة لمن عقل ، فهو من نعيمها على خطر ، ومن بليتها على حذر . ومن المنية علي اليقين فلو كان الخالق . تبارك وتعالى ، لم يخبر عنها بخبر ، ونبهت العاقل ، فكيف وقد جاء عن الله ، عز وجل منها زاجر وفيها واعظ ، فما لها عنده قدر ولا وزن من الصغر ، فلهى عنده أصغر من حصاة فى الحصى ، ومن مقدار نواة فى النوى ، ما خلق الله ، عز وجل فيما بلغنا أبغَ إلى الله منها ما نظر إليها منذ خلقها ، ولقد عرضت على نبينا محمد ﷺ بمفاتيحها وخزائنها ، ولا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة . فأبى أن يقبلها ، وما منعه من القبول لها ـ مع ما لا ينقصه الله شيئاً مما عنده كما وعده ـ إلا أنه علم أن الله، عز وجل ، أبغض شيئاً فأبغضه ، وصغر شيئاً فصغر ،ولو قبلها كان الدليل على محبته قبوله إياها ، ولكنه كره أن يخالف أمره ، أو يحب ما أبغض خالقه ، أو يرفع ما وضع مليكه » .

قال محمد بن الحسين : وكان فى آخر هذه الرسالة :

« ولا تأمن أن تكون هذا الكلام حجة عليك . نفعنا الله وإياك بالموعظة ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» .

الموعظة الثانية

قال : حدثنا إبراهيم البسقا .عن أصرم الخرسانى ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : «عظنى » فكتب إليه الحسن :

أما بعد ؛ يا أمير المؤمنين ! فكن للمثل من المسلمين أخاً ، وللكبير ابناً ، وللصغير أباً وعاقب كل واحد منهم بذنبه على قدر جسمه ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتدخل النار » . (١)

(١) سبق هذاالقول فيما تقدم .

الموعظة الثالثة

قال : حدثنا إسحاق بن سعيد بن الحسن النسائي قال : حدثنا جدى الحسن بن سفيان قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : كتب الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز :

« ... واعلم أن الهول الأعظم ، ومفظعات الأمور أمامك لم يقطع منها بعد وأنه لا بد والله ، لك من مشاهدة ذلك ومعاينته ، إما بالسلامة والنجاة منه ، وإما بالعطب .. » .

الموعظة الرابعة

الزهد رأس الإصلاح :

قال : حدثنا أبو عبد الله الصوفى قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : « عظنى وأوجز » فكتب اليه :

« أما بعد ؛ فإن رأس ما هو مصلحك ، ومصبح به على يدك ، الزهد فى الدنيا ، وإنما الزهد باليقين ، واليقين بالتفكر ، والتفكر بالاعتبار . فإذا أنت تفكرت فى الدنيا لم تجدها أهلاً أن تبيع بها نفسك ، ووجدت نفسك أهلاً أن تكرمها بهوان الدنيا ، فإنما الدنيا دار بلاء ومنزل غفلة » .

الموعظة الخامسة

لا بد من اقتحام العقبة ومن ورائها الجنة أو النار .

قال : حدثنا الجنيد قال : سمعت سرياً يقول : كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ؛ فلو كان لك عمر نوح ، وملك سليمان ، ويقين إبراهيم ، وحكمة لقمان ، فإن أمامك هول الموت .ومن ورائه داران ، إن أخطأتك هذه ، صرت إلى هذه » .

قال : فبكى عمر بن عبد العزيز بكاء شديداً .

قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب بن بشر ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى فقهاء العراق أن يأتوه ، فاعتل الحسن بفتق [1] فى بطنه ، وكتب اليه :

« يا أمير المؤمنين ! إن استقمت استقاموا ، وإن ملت مالوا يا أمير المؤمنين ! لو أن لك عمر نوح ، وسلطان سليمان ، ويقين إبراهيم ، وحكمة لقمان ما كان لك بد من أن تقتحم العقبة ، ومن وراء العقبة الجنة والنار ، من أخطأته هذه دخل هذه » .

فلما أتاه الكتاب أخذه ، فوضعه على عينيه ثم بكى . ثم قال : « من لى بعمر نوح ، ويقين إبراهيم ، وسلطان سليمان ، وحكمة لقمان ؟ ولو نلت ذلك لم يكن بد من أن أشرب بكأس الأولين » .

الموعظة السادسة

خذ من فنائك الذى لا يبقى لبقائك الذى لا يفنى :

قال : حدثنا داود بن المحبر وشعيب بن محرز ، عن عبد الواحد بن زيد ، قال : كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ؛ يأمير المؤمنين ، فإن طول البقاء إلى فناء ما هو ، فخذ من فنائك الذى لا يبقى لبقائك الذى لا يفنى . والسلام » .

فلما قرأ عمر الكتاب بكى وقال : « نصح أبو سعيد وأوجز » .

الموعظة السابعة

قال : حدثنا عون بن معمر قال : كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : « سلام عليك ، أما بعد ؛ فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل » .

وقد رويت لنا هذه الحكاية على وجه آخر :

---

(١) فى المختصر : « يفيق » .

قال : حدثنا عون بن معمر قال : كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد فكأن آخر من كتب عليه الموت قد مات » .

فكتب إليه عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ؛ فكأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تزل ، والسلام عليك ».

موعظة طاوس لعمر بن عبد العزيز :

قال : حدثنا قحدم أبو بشر قال : حدثنى أبى ، عن رياح بن عبيدة ، قال : كتب عمر ابن عبد العزيز إلى طاووس كتاباً يسأله عن بعض ما هو فيه فأجابه بعشر كلمات لم يزد عليها حرفاً ، قال : فما رأيت عمر أتاه كتاب كان أعجب إليه منه ، كتب إليه :

سلام عليك يا أمير المؤمنين ! فإن الله عز وجل أنزل كتاباً ، وأحل فيه حلالاً ، وحرم فيه حراماً ، وضرب فيه أمثالاً ، وجعل بعضه حكماً وبعضه متشابهاً . فأحلّ حلال الله ، وحرم حرام الله ، وتفكرْ فى أمثال الله ، واعمل بمحكمه ، وآمن بمتشابهه . والسلام عليك » .

موعظة سالم بن عبد الله لعمر بن عبد العزيز

رأيت أن أسير فى الناس بسيرة عمر بن الخطاب :

قال : حدثنا الثقة يونس بن جعفر الرقى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب :

« أما بعد ؛ فإن الله تبارك اسمه وتعالى جده ، ابتلانى بما ابتلانى به من أمركم من غير مشورة منى فيه ولا طلب ، إلا قضاء من الرحمن الرحيم فأسأل الذى ابتلانى بما ابتلانى به من أمر عباده وبلاده ، أن يحسن عونى وعاقبتى ، وعاقبة من ولانى أمره . وقد رأيت أن أسير فى الناس بسيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، إن قضى الله ذلك واستطعت إليه سبيلا . فابعث إلىّ بكتب عمر بن الخطاب وقضائه فى أهل القبلة وأهل العهد ، فإنى متبع أثره ، وسائر بسيرته إن شاء الله تعالى . وأسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى » .

فأجابه سالم :

« أما بعد ؛ فإن الله عز وجل ، خلق الدنيا لما أراد أن يخلقها له ، فجعل لها مدة قصيرة ، كأن ما بين أولها وآخرها ساعة من نهار ، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء فقال ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ (1) لا يقدر أهلها منها ، يا عمر ، على شيء حتى تفارقهم ويفارقونها ، بعث بذلك رسوله ، وأنزل كتابه ، ضرب في ذلك الأمثال وضرب فيه الوعيد ، جعل في الأولين ديناً واحداً ، فلم يختلف رسوله ولم يبدل قوله . ثم إنك ، يا عمر ، لن تعدو أن تكون رجلاً من بني آدم ، يكفيك ما يكفي لرجل منهم ـ أو قال رجلاً منهم ـ من الطعام والشراب ، فاجعل فضل ذلك فيما بينك وبين الرب الذي توجه إليه شكر النعم ، فإنك « وليت » أمراً عظيماً ليس يلي عليك أحد دون الله عز وجل ، إن استطعت أن لا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل ، فإنه قد كان رجال ، ونشأوا فيه ، وظنوا أنها السنة ، فسدوا على الناس أبواب الرخاء ، فلم يسدوا منها باباً إلا فتح عليهم باب بلاء ،فإن استطعت ـ ولا قوة إلا بالله ـ أن تفتح على الناس أبواب الرخاء ، فافعل ، فإنك لن تفتح منها باباً إلا سدّ الله الكريم عنك باب بلاء ، ولا يمنعك من نزع عامل أن تقول : لا أجد من يكفيني عمله ؟ فإنك إذا كنت تنزع لله ، وتستعمل لله ، أتاح الله لك أعواناً فأتاك بهم ، وإنما قدر عون الله إياك بقدر نيتك ، فإن تمت نيتك تم عون الله الكريم إياك ، وإن قصرت نيتك ، قصر من الله العون بحسب ذلك .

واعلم أنه كان قبلك رجال عاينوا هول المطلع ، وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون ، فانشقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون بها ، وانفقأت أعينهم التي كانوا لا تنقطع لذتها ، واندقت رقبهم غير موسدين بعد ما تعلم من تظاهر الفرش والمرافق ، والسرور والخدم فصاروا جيفاً في بطون الأرض تحت مهادها . والله لو كانوا إلى جانب مسكين لتأذى بريحهم بعد انفاق ما لا يحصى عليهم وعلى خواصهم من الطيب، كل ذلك إسرافاً . فإنا لله وإنا إليه راجعون . ما أعظم الذي ابتليت به وأفظع الذي سيق إليك ، أهل العراق ! أهل العراق أبرّهم منك منزلة من لا فقر بك إليه ولا بك عنه فمن بعثت من عمالك إلى العراق فانهه نهياً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا

(1) سورة القصص آية : 88 .

بحقها ، المال المال ،يا عمر ! يا عمر! والدم ، فإنه لا نجاة لك من هول جهنم من عامل بلغك ثم لم تغيره . وإنه من بعثت من عمالك ، أن يعملوا بمعصية أو أن يحكموا بشبهة، أو أن يحتكموا على المسلمين بيعاً ، فإنك إن اجترحت على ذلك ، أُتى بك يوم القيامة ذليلاً صغيراً ، وإن تجنبت عنه ، عرفت راحته في سمعك وبصرك وقلبك . كتبت إلى تسألنى أن أبعث إليك بكتب عمر وبقضائه فى أهل القبلة وفى أهل العهد ، وإن عمر ، رضى الله عنه عمل في غير زمانك ، وعمل بغير رجالك ، وإنك عملت فى زمانك على النحو الذى عمل عمر بن الخطاب في زمانه ، بعد الذى رأيت وبلوت ، رجوت أن تكون أفضل عند الله منزلة من عمر بن الخطاب ، فقل كما قال العبد الصالح : ﴿ **وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ .(١)

قال : حدثنا موسى بن عقبة ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه :

« من عبد الله ، عمر ، أمير المؤمنين ، إلى سالم بن عبد الله . سلام عليك. فإنى أحمد الله اليك الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ، فإن الله ابتلانى بأمر هذه الأمة ، من غير مشاورة منى فيها ، ولا طلبة منى لها إلا قضاء الرحمن وقدره، فأسأل الذى ابتلاه من أمرهذه الأمة ، بما ابتلانى به ، أن يعيننى على ما ولانى وأن يرزقنى منهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة ، وأن يرزقهم منى الرأفة والمعدلة . فإذا أتاك كتابى هذا فابعث إلى بكتب عمر بن الخطاب وسيرته ، إن أعاننى الله على ذلك ، والسلام » .

فكتب سالم بن عبد الله إلى عبد الله ، عمر ، أمير المؤمنين :

﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ من سالم بن عبد الله بن عمر ، إلى عبد الله عمر ، أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ؛ فإن الله خلق الدنيا لما أراد . وجعل لها مدة قصيرة على كل شيء فقال : ﴿ **كل شي هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون** ﴾ (٢) لا يقدر منها أهلها على

(١) سورة هود آية : ٨٨ . (٢) سورة القصص آية : ٨٨ .

شيء حتى تفارقهم ويفارقونها . أنزل بذلك كتابه ، وبعث به رسله ، وقدم فيه دينه بالوعيد ، وضرب فيه الأمثال . ووصل به القول ، وشرع فيه دينه الأولين والآخرين ديناً واحداً ، فلم يفرق بين كتبه ، ولم يختلف رسله ، ولم يشق أحداً من أمره بشيء سعد به أحد ، ولم يسعد أحداً من أمره بشيء شقى به أحد وإنك اليوم يا عمر ، لم تعد أن تكون إنساناً من بنى آدم ، يكفيك من الطعام والشراب والكسوة ما يكفي رجلاً منهم . فاجعل فضل ذلك فيما بينك وبين الرب الذى توجه إليه شكر النعم ، فإنك قد وليت أمراً عظيماً ليس يليه أحد دون الله قد أقصى فيما بينك وبين الخلائق ، فإن استطعت أن تغنم نفسك وأهلك ، ولا تخسر نفسك وأهلك فافعل ، ولا قوة إلا بالله . فإنه قد كان قبلك رجال عملوا ماعملوا ، وأماتوا ما أماتوا من الحق ، وأحيوا ما أحيوا من الباطل حتى ولد رجال ونشأوا فيه وظنوا أنها ستفتح عليهم أبواب الرخاء ، فإنك لا تفتح منها باباً إلا سد به عليك باب بلاء ولا يمنعك من نزع عامل أن تقول : لا أجد من يكفينى عمله . وإنك إذا كنت تنزع لله ، وتعمل لله ، أتاح الله لك رجالاً وجاءك بأعوان ، وإنما العون من الله على قدر النية ، فإذا تمت نية العبد تم عون الله له ، ومن قصرت نيته قصر من الله له بقدر ذلك ، فإن استطعت أن تأتى الله يوم القيامة ، لا يتبعك أحد بظلم ، ويجيء من كان قبلك وهم غابطون لك بقلة أتباعك ، وأنت غير غابط لهم بكثرة أتباعك ، فافعل ولا قوة إلا بالله ، فإنهم قد عانوا وعالجوا نزع الموت الذى كانوا منه يفرون ، وانشقت بطونهم التى كانوا فيها لا يشبعون ، وانفقأت أعينهم التى كانت لا تنقضى لذتها ، واندقت رقابهم فى التراب غير موسدين ، بعدما تعلم من تظاهر الفرش والمرافق ، فصاروا جيفاً فى بطون الأرض تحت آكامها ، لو كانوا إلى جنب مسكين تأذى بريحهم بعد إنفاق ما لا يحصى عليهم من الطيب . كان إسرافاً وفراراً عن الحق ، فإنا لله وإنا اليه راجعون . ما أعظم يا عمر ، أفظع الذى سيق إليك من أمر هذه الأمة ، وأهل العراق يكونون من صدرك بمنزلة من لا فقر بك إليه ، ولا غنى بك عنه ، فإنهم قد وليتهم عمالاً ظلمة ، قسموا المال ، وسفكوا الدماء ، فإنه من تبعث من عمالك كلهم يأخذوا بجنة ، ويعملوا بعصبية ، وأن تجبرو فى أعمالهم ، وأن يحتكروا على المسلمين بيعاً ، الله الله يا عمر فى ذلك ، فيوشك

إن اجترأت على ذلك أن يؤتى بك صغيراً ذليلاً ، وإن أنت أتيت ما أمرتك به ، وجدت راحته على ظهرك وسمعك وبصرك .

ثم إنك كتبت إلى تسأل أن أبعث اليك بكتب عمر بن الخطاب ، وسيرته وقضائه بين المسلمين وأهل الذمة . وإن عمر ، رحمه الله ، عمل فى غير زمانك ، وأنا أرجو ، إن عملت بمثل ما عمل به عمر ، أن تكون عند الله بمنزلة من عمر . وقل كما قال العبد الصالح : ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ (١) والسلام عليك .

قال : حدثنا معمر بن سليمان الرقى ، عن الفرات بن سليمان ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى سالم بن عبد الله :

« سلام عليك ؛ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو.

أما بعد ؛ فإن الله عز وجل ابتلانى بما ابتلانى به من أمر هذه الأمة ، من غير مشورة منى فيها ، ولا طلب منى لها ، إلا قدر من الرحمن قدره على ، فأسأل الذى ابتلانى أن يعيننى على ما ولانى من عباده وبلاده ، ، وأن يرزقنى فيهم العمل بطاعته ، وأن يرزقهم منى الرأفة والرحمة ، ويرزقنى منهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة .

فإذا جاءك كتابى هذا فابعث إلى بكتب عمر وسيرته ، وقضائه فى أهل القبلة وأهل الذمة ،فإنى سائر بسيرته ، ومتبع أثره إن الله أعاننى على ذلك ، إن شاء الله ، والسلام »

فكتب إليه سالم :

« من سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ، فإن الله تعالى خلق الدنيا لما أراد ، فجعل لها مدة قصيرة ، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء . ثم إنك ، يا عمر ، قد وليت أمراً عظيماً ، فإن استطعت أن تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل ، فإنه كان فيما مضى قبلك رجال أماتوا ما أماتوا ، وأحيوا

---

(١) سورة هود : آية ٨٨

ما أحيوا ، حتى ولد فى ذلك رجال ونساء ، وظنوا أنها السنة ، فلا يمنعك من نزع عامل أن تقول : لا أجد من يكفينى عمله . فإنك إن كنت تعمل لله ، أتاح الله لك أعواناً ، وإنما قدر العون بقدر النية . وإن استطعت أن تجيء يوم القيامة لا يتبعنك أحد بمظلمة ، ويجيء من قبلك وهم غابطون لك ، فافعل ؛ فإنهم قد عالجوا نزع الموت ، وعاينوا أهوال المطلع ، وانفقأت أعينهم التى كانت لا تنقضى لذّتها ، وانشقت بطونهم التى كانوا لا يشبعون فيها ، واندقت رقابهم غير متوسدين بعد تظاهر الفرش والمرافق والسرر والخدم ، وصاروا جيفاً فى بطون الأرض تحت آكامها ، لو كانوا إلى جنب مساكين تأذوا من ريحهم بعد إنفاق ما لا يحصى من الطيب . فإنا لله وإنا إليه راجعون . ما أعظم ما ابتليت به ياعمر فمن بعثت من عمالك فازجره زجراً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال ، وسفك الدماء إلا بحقها . المال يا عمر . الدم الدم يا عمر . كتبت إلى أن أبعث اليك بكتب عمر وسيرته

وإن عمر عمل فى غير زمانك ، وبغير رجالك ، ووليت فى زمن تعلم بعدما عمل . وأنا أرجو إن عملت على النحو الذى عمل به عمر ، بعدما بلوت من الظلم ، أن تكون أفضل من عمر عند الله . وقل كما قال العبد الصالح : ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه** ﴾ - **إلى قوله** - ﴿ **أنيب** ﴾ (1)

وقد روى هذا الحديث إسحاق بن سليمان ، عن حنظلة بن أبى سفيان ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم : أن اكتب إلى ببعض رسائل عمر - فذكر المعنى - .

ورواه على بن ثابت ، عن جعفر بن برقان ، قال : كتب عمر إلى سالم - فذكره فاقتصرت على ما ذكرت ، لأن المعانى متقاربة - .

موعظة سالم ومحمد بن كعب لعمر

كن كالمداوى جرحاً يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء :

قال : حدثنا روح بن عبادة ، عن عمر بن ذر ، قال : لما استخلف عمر ، دخل عليه سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب ، وهو مكتئب حزين ، فأقبل على أحدهما فقال :

(1) سورة هود : آية ٨٨

« عظنى » . فقال :

« يا أمير المؤمنين ! إن الله لم يجعل أحدا من خلقه فوقك ، فلا ترض لنفسك أن يكون أحد من خلقه أطوع له منك . واجعل الناس أصنافاً ثلاثة : الكبير بمنزلة الأب ، والوسط بمنزلة الأخ ، والصغير كمنزلة الولد . فبر أباك ، وصل أخاك ، واعطف على ولدك . واعلم أنك لست أول خليفة يموت » .

فأقبل على الآخر فقال : « عظنني » فقال :

يا أمير المؤمنين ! إن الدنيا عطن مهجور ، وأكل منزوع ، وعرض بلاء ، ومستقر آفات يحيط بها الذل ويفنيه الثكل ، لكل فرحة منها ترحة ، ولكل سرور منها غرور ، وقد رغب عنها السعداء ، وانتزعت من أيدى الأشقياء . فكن فيها ، يا أمير المؤمنين ، كالمداوى جرحه ، يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء » .

فبكى عمر وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

موعظة محمد بن كعب لعمر

افتح الأبواب وسهل الحجاب :

قال : حدثنا حاتم بن الليث ـ وأخبرنا شيخ من بنى سليم ـ أن عمر بن عبد العزيز كان عنده هشام بن مصاد ، وكانا يتحدثان ، فذكر عمر شيئاً فبكى ، فأتاه مولاه مزاحم فقال : إن محمد بن كعب القرظى بالباب ، فقال : أدخله . فدخل وعمر يمسح عينيه من الدموع فقال له محمد بن كعب . ما أبكاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال هشام بن مصاد :أبكاه كذا وكذا ، فقال له محمد :

يا أمير المؤمنين ! إنما الدنيا سوق من الأسواق ، فمنها خرج الناس بما ضرهم ، ومنها خرجوا بما نفعهم . . وكم من قوم غرهم منها مثل الذى أصبحنا فيه ، حتى أتاهم الموت فاستوعبهم ، فخرجوا منها ملومين ، لم يأخذوا منها لما أحبوا من الآخرة عدة ، ولا لما كرهوا جنة . وأقسم ما جمعوا من لم يحمدهم ، وصاروا إلى من لا يعذرهم ، فنحن

محقوقون ، يا أمير المؤمنين ، إن ننظر إلى تلك الأعمال التى تتخوف عليهم منها فتكف عنهم . فاتق الله ، يا أمير المؤمنين ، واجعل فى قلبك سبيل اثنتين : انظر الذى تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك ، عز وجل ، فابتغ به البدل حيث لا يؤخذ البدل ، ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك . فاتق الله يا أمير المؤمنين وافتح الأبواب وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم ورد الظالم . ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله ، عز وجل : من إذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل ، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له » .

موعظة أخرى لمحمد بن كعب لعمر

قال : حدثنا مروان بن زند الشامى ، عن هشام بن مصار ، قال : كنت جالساً مع عمر ابن عبد العزيز ، فدخل عليه محمد بن كعب فقال له :

« ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان : من إذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل ، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ، ،إذا قدر لم يتناول ما ليس له » .

موعظة أبى حازم لعمر

قال أبو الحسن على بن أحمد بن على ، وأخبرنا يعقوب بن محمد بن عيسى الزهرى عن عبد العزيز بن أبى حازم ، عن أبيه ، قال : قال لى عمر بن عبد العزيز : « عظنى » فقلت : «اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ، ثم انظر ما تحب ما يكون فيك تلك الساعة ، فخذ فيه الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة ، فدعه الآن » .

قال : حدثنا عبد بن محمد القرشى قال : حدثنى الحسين بن على بن عبد الله بن موسى قال : كتب أبو حازم إلى عمر بن عبد العزيز :

« اتق أن تلقى محمدا ﷺ ، وأنت بتبليغ الرسالة له مصدق ، وهو عليك ، بسوء الخلافة فى أمته ، شهيد » .

موعظة القاسم بن مخيمرة لعمر

قال : حدثنا القاسم بن سليمان ، عن القاسم بن مخيمرة ، قال ، : دخلت على عمر ابن عبد العزيز ، وفى صدرى حديث يتجلجل فيه ، أريد أن أقذفه إليه ، فقلت له : بلغنا أن من ولى على الناس سلطاناً فاحتجب عن فاقتهم وحاجتهم ، احتجب الله عن فاقته وحاجته يوم يلقاه ، قال : فقال : ما تقول ؟ ثم أطرق طويلاً فعرفتها فيه ، وبرز للناس .

موعظة ابن الأهتم لعمر

رحمه الله تعالى

حال العرب قبل الإسلام وبعده :

قال : حدثنا محمد بن يزيد بن حنديس قال : قال سفيان بن عيينة : دخل ابن الأهتم على عمر بن عبد العزيز فقال : أطريك ؟ قال : لا . قال : فأعظك ؟ قال : نعم ، قال : فافتح الباب وادخل الناس . قال : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ، غنياً عن طاعتهم ، آمناً لمعصيتهم أن تنقصه ، فالناس يومئذ فى الحالات والمنازل مختلفون : فالعرب منهم بشر تلك الحال - أهل الوبر والشعر والحجر - لا يتلون كتاباً ، ولا يصلون جماعة ، ميتهم فى النار، وحيهم أعمى بشر حال ، مع الذى لا يحصى من عيشهم المزهود فيه والمرغوب عنه ، فلما أراد الله أن ينشر فيهم حكمته ، بعث فيهم رسولاً من أنفسهم : ﴿ **عزيزٌ عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ (١) فبلغ محمد رسالة ربه ونصح لأمته ، وجاهد فى الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين . ثم ولى أبو بكر من بعده . فارتدت العرب - أو من ارتد منها - فحرصوا على أن يقيموا الصلاة ، ولا يؤتوا الزكاة ، فأبى أبو بكر أن يقبل منهم إلا ما كان رسول الله ﷺ قابلاً لو كان حياً ، فلم يزل يخرق أوصالهم ، ويسقى الأرض من دمائهم ،

---

(١) سورة التوبة آية : ١٢٨.

حتى أدخلهم فى الباب الذى خرجوا منه ، وقررهم علـى الأمر الذى نفروا منه ، وأوقد فى الحرب شعلها ، وحمل أهل الحق على رقاب أهل البـاطل ، ثم حضرته الوفـاة وقد أصاب من فيء المسلمـين سناً لقـوحـاً كـان يرتضع من لبنهـا ، وبكـراً كان يـروى عليـه أهله الماء وحبشيـة كانت ترضع ابناً له ، فلم يزل ذلك غـصة فى حلقـه ، وثقلاً على كاهـله ، حتى خرج منه إلى ولى الأمـر من بعده عمر بن الخطاب ، ثم ولى عـمر ، فحسـر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقه ، وأعد للأمور أقرانها فراضهـا ، فأذل صعابها ، وترك الأمر فيها إلى يسر ، ثم حضرته الوفاة ، وكان قد أصـاب من فىء المسلمين شيئاً ، فلم يرض فى ذلك بكافة من أحـد من ولده ، حـتى باع فى ذلك ربعـه ، وضم إلى بـيت مـال المسلمين . وايم الله ! مـا اجتمعن من بعدهما « إلا على ظلم » .

امض رحمك الله ولا تلتفت :

ثم أقبل على عمر بن عبد العزيز فقال :

« وأنت يا عمـر ! بنى الدنيا ، غـذتك بأطايبها ، وألـقمتك ثديهـا تطلبهـا من مظانها ، تعادى فيها وترضى لها ، حتى إذا ما أفضت إليك بأركانها من غير طلب منك لها ، رفضتها ورميت بها حيث رمى الله بها . فامض رحمك الله ، ولا تلتفت .

فالحـمد لله الذى فرج بك كربنا و نفـس بك غمنا ، فإنه لا يذل مع الحق حقـير ، ولا يكبر مع الباطل عزيز . أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم » .

قال : حدثـنا داود بن محبر ، عن المبـارك بن فضالة ، قال : دخل عـبد الله بن الأهتم على عمـر بن عبـد العزيز وهو جالس على سـرير ، فحـمد الله، وأثنى عليـه ، ثم أخذ فى موعظته الطويلة .

فنزل عمر عن سريره حتى استوى بالأرض ، وجـثا على ركبتيه ، وابن الأهـتم يقول « وأنت يا عـمر ! وأنت يا عـمـر ! وأنت يا عمـر من أولاد الملوك وأبناء الدنيـا ، ولدوا فى النعيم وغذوا به ، لا يعرفون غيره » وعـمر يبكى ويقول:« هيه . هيه ، يا ابن الأهتم هيه ! » فلم يزل يعظه وعمر يبكى حتى غشى عليه .

موعظة خالد بن صفوان لعمر

لأخافنّه مخافة ولأحبنّه محبة :

قال حدثنا إبراهيم بن بشار قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : بلغنى أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد بن صفوان : « عظنى وأوجز » فقال خالد بن صفوان :

« يا أمير المؤمنين ! إنّ أقواماً غرهم ستر الله ، وفتنهم حسن الثناء ، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك . أعاذنا الله ، وإياك أن نكون بالستر مغرورين ، وبثناء الناس مفتونين ، وعما افترض الله علينا متخلفين ، وإلى اللهو مائلين » .

قال : فبكى ، ثم قال : أعاذنا الله ، وإياك من اتباع الهوى .

قال حدثنا إبراهيم بن بشار قال : سمعت الفضيل يقول بلغنى أن خالد بن صفوان دخل على عمر بن عبد العزيز ، فقال له : « عظنى يا خالد » فقال :

« إن الله لم يرض أحداً فوقك ، فلا ترض أن يكون أحداً أولى بالشكر منك » .

قال ، فبكى عمر حتى غشى عليه ، ثم أفاق ، فقال : هيه يا خالد ، لم يرض أن يكون أحد فوقى ؟

فوالله لأخافنّه خوفاً ، ولأحذرنّه حذراً ، ولأرجونّه رجاء ، ولأحبنّه محبة ، ولأشكرنّه شكراً ، ولأحمدنّه حمداً يكون ذلك كله غاية طاقتى ، ولأجتهدن فى العدل والنصفة ، والزهد فى فانى الدنيا لزوالها ، والرغبة فى بقاء الآخرة ودوامها ، حتى ألقى الله عز وجل ، فلعلى أنجو مع الناجين ، وأفوز مع الفائزين .

وبكى عمر حتى غشى عليه . قال : فتركته مغشياً عليه ، وانصرفت .

موعظة زياد لعمر

ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك :

قال حدثنا عمر بن على ، عن جويرية بن أسماء ، قال : قدم زياد العبد على عمر فقال له عمر : يا زياد ! ألا ترى ما ابتليت به من أمر أمة محمد ﷺ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! لا تعمل نفسك فى الوصف ، واعمل نفسك فى المخرج مما وقعت فيه ، فلو أن كل شعرة منك نطقت ، ما بلغت كنه ما أنت فيه . ثم قال زياد : يا أمير المؤمنين ! أخبرنى عن رجل له خصم ألدّ ما حاله ؟ قال سيىء الحال ! قال : فإن كانا خصمين ألدّين ؟ قال : ذلك أسوأ لحاله . قال : فإن كانوا ثلاثة ؟ قال : ذاك حين لا يهنئه عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ، ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك . قال : فبكى عمر ، حتى تمنيت أن لا أكون قلت له .

قال : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن زياد مولى ابن عياش ، قال : لو رأيتنى ، ودخلت على عمر فى ليلة شاتية ، وبين يديه كانون ، وعمر على كتابه ، فجلست أصطلى ، فلما فرغ من كتابه مشى إلىّ حتى جلس معى على الكانون ، وهو خليفة ، فقال : زياد ؟ قلت : نعم . قال :

قص على ، قلت : ما أنا بقاص . قال : فتكلم . قلت : زياد ، قال : وما له ؟قلت : لا ينفعه من دخل الجنة إذا أدخل النار ، ولا يضره من دخل النار إذ أُدخل الجنة . قال : صدقت ، والله لا ينفعك من دخل الجنة إذا دخلت النار ، ولا يضرك من دخل النار إذا دخلت الجنة . قال : فلقد رأيته يبكى حتى أطفأ ذلك الجمر الذى على الكانون .

موعظة سالم مولى ا بن كعب لعمر

أخاف عليك أن لا تخاف :

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى قال : حدثنى أبى ، عن جدى قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب يسأله أن يبيعه غلامه سالماً ـ وكان عابداً خيراً ـ

فقال : إنى قد دبرته ، قال : فأزرنيه ، قال : فأتاه سالم ، فقال عمر : إنى قد ابتليت بما ترى وأنا والله أتخوف أن لا أنجو . فقال له سالم : إن كنت كما تقول فهذا نجاتك ، وإلا فهو الأمر الذى تخاف. فقال : يا سالم ، عظنا قال : ليم آدم ﷺ على خطيئة واحدة فأخرج من الجنة ، وأنتم ، تعملون الخطايا ترجون تدخلون بها الجنة ؟ ثم سكت .

قال : حدثنا النضر بن زرارة ، عن الثقة ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز أخ ، وأخاه فى الله سبحانه عبدٌ مملوك يقال له سالم . فلما استخلف ، دعاه ذات يوم فأتاه ، فقال له :

يا سالم إنى أخاف أن لا أنجو . قال : إن كنت تخاف فنعماً ، لكنى أخاف عليك أن لا تخاف قال سالم : إن الله أسكن عبداً داراً ، فأذنب فيها ذنباً واحداً ، فأخرجه من تلك الدار ، فنحن أصحاب ذنوب كثيرة نريد أن نسكن تلك الدار ؟

موعظة مزاحم لعمر

أحذرك ليلة تمخض بالقيامة :

قال : حدثنى نوفل بن عمارة قال : قال عمر بن عبد العزيز : إن أول من أيقظنى لهذا الشأن مزاحم : حبست رجلاً فجاوزت فى حبسه القدر الذى يجب عليه ، فكلمنى فى إطلاقه .

فقلت : ما أنا بمخرجه حتى أبلغ فى الحيطة عليه بما هو أكثر مما مر عليه ، فقال مزاحم : « يا عمر بن عبد العزيز ! إنى أحذرك ليلة تمخض بالقيامة ، فى صبيحتها تقوم الساعة . يا عمر ! ولقد كدت أنسى اسمك مما أسمع قال : الأمير، قال الأمير » .

فوالله ما هو إلا أن قال ذلك ، فكأنما كشف عن وجهى غطاء ، فذكروا أنفسهم ، رحمكم الله ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

موعظة رجل لعمر
رحمه الله

خاف العالم فلم ينطق ، وجهل الجاهل فلم يسأل :

قال : حدثنا عبد الوهاب قال : سمع عمر بن عبد العزيز برجل من بقايا المسلمين قد فر بدينه ، فسكن الشام ، فكتب إليه يشكو إليه ما ابتلى به من أمر هذه الأمة ، وقلة الأعوان على الحق ويطلب المعاونة والمؤازرة على الحق ، فكتب إليه :

« وصل إليّ كتابك ، يا أمير المؤمنين ، وفهمت ماذكرت ، واعلم أنك أصبحت فى خلق بال ورسم دارس ، خاف العالم فلم ينطق ، وجهل الجاهل فلم يسأل ، وطلبت منى المعاونة والمؤازرة فيما أنعم الله على ، فلن أكون ظهيراً للمجرمين » .

فلما قرأ عمر الكتاب قال : نظر المسلم لنفسه ، إذ لم ينظر عمر لنفسه ، وأساء إلى نفسه .

موعظة رجل آخر

قال : حدثنى فياض بن محمد الرقى ، عن عبيدة بن حسان السنجاوى ، أن رجلاً من أهل أذربيجان أتى عمر بن عبد العزيز ، فقام بين يديه ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ! اذكر بمقامى هذا مقاماً لا تشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق ، يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب » .

قال : فبكى بكاء شديداً ، ثم قال : ويحك ! اردد عليّ كلامك هذا ، فجعل يردده عليه ، وعمر يبكى وينتحب . ثم قال : ما حاجتك ؟ قال : إن عامل أذربيجان عدا عليّ ، فأخذ منى اثنا عشر ألف درهم ، فجعلها فى بيت المال . فقال عمر : اكتبوا له الساعة إلى عاملها ، حتى يرد عليه (١) .

(١) سبق هذا فيما مضى .

ذكر ما وُعظ به عمر بن عبد العزيز

من الشعر

قصيدة سابق البربرى :

قال حدثنا أحمد بن جعفر المنادى قال : استرويت من أبى سليمان أحمد بن عبد الله الجواليقي قال : قال سابق البربرى لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه :

باسم الذى أُنزلت من عنده السُّوَر ... والحمد لله . أما بعد يا عمر
إن كنت تعلم ما تأتى وما تذر ... فكن على حذر ، قد ينفع الحذر
واصبر على القدر المجلوب وارض به ... وإن أتاك بما لا تشتهى القدر
فما صفا لامرئ عيشٌ يُسرُّ به ... وإلا سيتبع ، يوماً ، صفوه كدر
واستخبرِ الناس عمّا أنت جاهله ... إذا عميت ، فقد يجلو العمى الخبر
قد يرعوى المرء يوماً بعد هفوته ... وتحكم الجاهل الأيامَ والغيرِ
إنّ التقى خير زاد أنت حامله ... والبر أفضل شىء ناله بَشَر
من يطلب الجور لا يظفر بحاجته ... وطالب الحقّ قد يهدى له الظفر
وفى الهدى عبرٌ تشفى القلوب بها ... كالغيث ينضر عن وسميّه الشجر
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ... ولا البصير كأعمى ما له بصر
والرشد نافلة تُهدى لصاحبها ... والغىُّ يكره منه الورد والصدر
قد يوبق المرء أمرٌ وهو يحقره ... والشىء ، يا نفس ينمى وهو يُحتقر
لا يشبع النفس شىء حين تحرزه ... ولا يزال لها فى غيره وطَر
ولا تزال ، وإن كانت لها سعةٌ ... لها إلى الشىء لم تظفر به نظر
وكل شىء له حال قد تغيِّره ... كما تغير لون اللّمة الغِيَر
والذكر فيه حياة القلوب كما ... يُحيى البلاد ، إذا ما تت المطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه … كما يجلّي سوادَ الظلمة القمر
لا ينفع الذكر قلباً قاسياً أبداً … وهل يلين لقولِ الواعظِ الحجر ؟
والموت جسرٌ لمن يمشي على قدمٍ … إلى الأمور التي تُخشى وتُنتظر
فهم يمرون أفواجاً وتجمعهم … دار إليها يصير البدوُ والحضرُ
من كان في معقل للحرز أسلمه … أو كان في خمرٍ ، لم ينجه خمر
حتى متى أنا في الدنيا أخو كلف … ولا أرى في الخد مني إلى لذاتها صَعَرُ
أثرٌ كان للذكر في جسدي(٢) … والماء في الحجر القاسي ، له أثرُ
لو كان يسهرُ عيني ذكرُ آخرتي … كما يؤرقني للعاجل السهرُ
إذاً لداويت قلباً قد أضرّ به … طولُ السقّام ووهنُ العظم ينجبرُ
ما يلبث الشيء أن يبلى إذا اختلفت … يوماً على نقضه الروحات والبكرُ
والمرء يصعد ريعانُ الشباب به … وكل مصعدة يوماً ستنحدرُ
وكل بيت خراب بعد جدته … ومن وراء الشباب الموت والكبرُ
بينا يُرى الغصنُ لدناً في أرومته … ريان ، أضحى حطاماً جوفه نخرُ
كم من جميع أشتّ الدهر شملهم … وكل شملٍ جميع سوف ينتثرُ
وربّ أصيدَ سامي الطرف معتصب … بالتاج ، نيرانه للحرب تستعرُ
يظلّ مفترشَ الديباج ، محتجباً … عليه تبنى قباب الملك والحجرُ
قد غادرته المنايا وهو مستلبٌ … مجدلٌ ، تراه على الخدّين ، منعفرُ
أبعد آدم ترجون البقاء ؟ وهل … تبقى فروعٌ لأصلٍ حين ينعقرُ
لهم بيوت بمستن السيول ، وهل … يبقى على الماء بيت أسُّه مدرُ ؟
إلى الفناء ، وإن طالت سلامتُهُم … مصيرُ كل بني أنثى ، وإن كثروا
إنّ الأمورَ إذا استقبلتها اشتبهت … وفي تدبرها التبيان والعبرُ
والمرء ما عاش في الدنيا له أملٌ … إذا انقضى سفرٌ منها ، أتى سفرُ
لها حلاوةُ عيشٍ غير دائمةٍ … وفي العواقب منها المر والصبرُ

إذا انقضت زُمرٌ آجالها نزلتْ ... عُلى منازلها من بعدها ، زُمرُ
وليس يزجركم ما تُوعظون به ... والبُهم يزجرها الراعى فتنزجرُ
أصبحتم جزراً للموت يقبضكم ... كما البهائم فى الدنيا لها جزرُ
لا تبطروا ، واهجروا الدنيا فإنّ لها ... غبّاً وخيماً ، وكفرُ النعمة البطرُ
ثم اقتدوا بالأولى كانوا لكم غرراً ... وليس من أمّةٍ إلا لها غُرَرُ
حتى تكونوا على منهاج أولكم ... وتصبروا عن هوى الدنيا كما صبروا
ما لى أرى الناس والدنيا مولّيةً ... وكل حبل عليها سوف ينبتر ؟
لا يشعرون بما فى دينهم نقصوا ... جهلاً ، وإن نقصت دنياهم شعروا

قال : حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة ، عن عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن أبيه ، قال : كتب عبيد الله بن عبد الله ، عن عتبة ، إلى عمر بن عبد العزيز :

باسم الذى أنزلت من عنده السور ....

فذكر أربعة أبيات من أول هذه القصيدة .

من شعر سابق البربرى فى موعظة عمر :

قال : حدثنا حماد بن الوليد قال : سمعت عمر بن ذر بلغه عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر بن العزيز يوماً ، وعنده سابق البربرى وهو ينشده شعراً ، فانتهى في شعره إلى هذه الأبياتِ:

فكم من صحيح بات للموت آمناً ... أتته المنايا بغتة بعدما هجعْ
فلم يستطع ، إذ جاءه الموت آمناً ... فراراً ، ولا منه بقوته امتنعْ
فأصبح تبكيه النساء مقنّعاً ... ولا يسمع الداعى ، وإن صوته رفعْ

وقُرِّب من لحـد ، فـصار مـقـيلُهُ   وفارق ما قد كان فى أمسه جمعْ
فـلا يتـرك الموتُ الـغنىّ لمالِهِ   ولا معدماً فى المال ، ذا حاجة ، يدعْ

زاد أبو نعيم : فلم يزل عمر يبكى ويضطرب ، حتى غشى عليه ، فقمنا فانصرفنا عنه

قال : حدثنا عثمان بن عبد الحميد قال : دخل سابق البربرى على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : « عظنى يا سابق ، وأوجز » قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، وأبلغ إن شاء الله تعالى . قال : هات ، فأنشده هذه الأبيات :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التُّقى   ووافيتَ بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون شريكه   وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا

فبكى عمر حتى سقط مغشياً عليه . والله أعلم وأحكم .

* * *

الباب الثانى والعشرون [1]
فى ذكر لباسه وهيئته
رحمه الله

قال : حدثنى أحمد بن الحارث بن المبارك ، عن على بن محمد البصرى ، عن شيخ من قريش ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول قبل الخلافة : « لقد خفت أن يعجز ما قسم الله لى عن كسوتى ، وما لبست ثوباً قط فرآه الناس على خيل لى أنه قد بلى » فلما ولى خرج من ذلك كله .

أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند المقدرة :

قال أبو بكر عن عبيد : وحدثنى سعيد بن سويد ، عن حرس عمر بن عبد العزيز ، قال : صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ، ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ! إن الله ، عز وجل ، قد أعطاك ، فلو لبست !؟ فنكس ملياً ثم رفع رأسه « فقال » : « إن أفضل القصد عند الجدة، وأفضل العفو عند المقدرة » .

قال : حدثنا خالد بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد ، عن سفيان بن عاصم ، قال : كان عمر بن عبد العزيز دقيق الوجه حسنه ، نحيف الجسم ، حسن اللحية ، غائر العينين ، بجبهته شجة [2] قد وخطه الشيب .

قال : حدثنا جرير بن حازم ، عن يعلى بن حكيم ، قال : كانت . أردية عمر بن عبد العزيز ستة أذرع وشبراً فى سبعة أشبار .

قال : أخبرنى رجاء بن حيوة قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قوموا ثيابه اثنا

---

(١) هذاالباب محذوف من المختصر .　　(٢) تقدم أول الكتاب .

عشر درهماً : كمته وعمامته وقميصه وقباءه وقرطقه وخفيه ورداءه .

قال : وحدثنا أبو بكر بن عياش قال : قال عاصم : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعليه ثياب غسيلة قومتها بستين درهماً .

قال : حدثنا ، هقل [1] عن الأوزاعى ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : « قص الشارب إلى الإطار » .

قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، قال : كان عمر يؤم الناس فى جبة وساج ليس عليه إزار .

قال : حدثنا عبيد الله ـ هو ابن عمر ـ قال : سمعت شيخاً كان فى حرس عمر بن عبد العزيز قال : رأيت عمر بن عبد العزيز « حين ولى » وبه من حسن اللون وجودة الثياب والبزة ، ثم دخلت عليه بعد وقد ولى ، فإذا هو قد احترق واسود ، ولصق جلده بعظمه ، حتى ليس بين الجلد والعظم لحم ، وإذا عليه قلنسوة بيضاء قد اجتمع قطنها ، يعلم أنها قد غسلت ، وعليه سحق أنبجانية قد خرج سداها ، وهو على شاذكونة قد لصقت بالأرض ، تحت الشاذكونة عباءة قطوانية من مشاقة الصوف [2] .

قال : حدثنا حازم قال : حدثنى رجل يقال له زيد ، قال : جاء عمر بن عبد العزيز يوم راكباً ، فنزل ثم جاء يمشى ، وعليه جبة محشوة بيضاء ، وعليه شامية صفيقة ، وسراويل يمنية ، وخفان ساذجان .

قال : حدثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعى ، عن عمر بن مهاجر ، قال : كان قميص عمر بن عبد العزيز فيما بين الكعب والشراك .

يكفى الرجل من الكلام قدر ما يسمع :

قال : حدثنا عاصم بن بهدلة قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وعليه ثياب غسيلة ، فقومتها ثمانين درهماً مع عمامة كانت عليه ، وعنده رجل رافع صوته فقال له

---

(١) هو هقل بن زياد السكسكى ، ، كاتب ، الأوزاعى راجع. « الكاشف : ٣/١٩٨ »

(٢) سبق هذا فيما تقدم .

عمر : اخفض من صوتك ، فإنما يكفي الرجل من الكلام قدر ما يسمع .

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعنى ، أبو سليمان ، قال : شهدت عمر بن عبد العزيز وأنا ابن عشرين سنة - وقد هلك عمر منذ اثنتين وسبعين سنة - ورأيت عمر قد وخطه الشيب ولم يخضب ، ورأيته لا يخفى شاربه ، ورأيت خاتم عمر بن عبد العزيز من فضة ، وفصه من فضة مربع ، قال الحكم : درس فنقشته أنا كلأ البر يعزه عمر .

قال : ورأيت على عمر قلنسوة بيضاء لاطية برأسه ، وعمامة غليظة يعتم بها ، ورأيته وعليه قميص قطرى كتان ، ثمن دينار ودرهمين ، وملاءة قرقيتة مثل ذلك فى الصيف . وكان عليه فى الشتاء طيلسان ، لا أراه إلا دباوندى سخيف . ورأيت عليه جبة مبطنة بفراء مكان القطن ، وفوق الجبة ثوب أبيض ظهارة وبطانة .

كان نقش خاتمه « لكل عمل ثواب » :

قال : حدثنا الحكم بن عمر قال : رأيت خاتم عمر بن عبد العزيز من فضة ، وفصه من فضة مربع .

قال : حدثنا الضحاك بن زمل قال : كان نقش خاتم عمر بن عبد العزيز « لكل عمل ثواب » .

قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عمر بن مهاجر ، قهرمان عمر بن عبد العزيز ، قال : كان خاتم عمر بن عبد العزيز : « الوفاء » .

قال : حدثنا عبيد الله بن يعقوب بن يونس الكاهلى قال : كان عمر بن عبد العزيز يلبس الفرو الغليظ ، وكان سراجه على ثلاث قصبات ، فوقهن طين .

قال : حدثنا ابن شوذب ، عن رياح بن عبيدة قال : كنت أتجر ، فقال لى عمر بن عبد العزيز :

يا رياح ، اتخذ لى كساءين خزاً ، أتخذ أحدهما مجلساً ، والآخر شعاراً ، ففعلت ، فصبغتهما بالبصرة فلم آل ، ثم قدمت بهما عليه ، فأمر بقبضهما .

فلما أصبح غدوت عليه فقال لى يا رياح ! ما أجود ثوبيك لولا خشونة فيهما . فلما ولى قال لى : يا رياح اتخذ لى من هذه الجباب الهروية ، فاشتريت له ثلاث شقاق ، فقطعت من الثلاث جبتين ، ثم أتيت بهما إليه ، فقبضهما .

فقال : يا رياح ! ما أحسن ثوبيك لولا لين فيهما ، قال : فذكرت قوله الأول وقوله الآخر .

قال : حدثنا محمد بن صالح قال : رأيت على عمر بن عبد العزيز ، بدير سمعان ، قميصاً من شعر مما يلى جسده ، طوله إلى الركبتين ، كميه إلى المرفقين .

أنتظر ثيابى تغسل لأصعد بها المنبر :

قال : حدثنا نعيم : قال : قلت لعمر بن عبد العزيز : ما يقعدك هاهنا؟

قال: أنتظر ثيابى تغسل لأصعد بها المنبر ، قلت : وما هى ؟ قال : قميص وإزار ورداء قيمتهن أربعة عشر درهماً .

قال : حدثنا يحيى بن سعيد العطار ، عن عتبة بن المنذر ، قال : رأيت أبا أمامة ، وأبا رهم ، وعمر بن عبد العزيز ، عليهم قلانس بيض صغار .

قال : حدثنا إسماعيل بن عياش قال : قلت لعمر بن مهاجر ، صاحب حرس عمر : ما كان عمر يلبس فى بيته ؟ قال : جبة سوداء مبطنة .

قال : حدثنا ابن هلال قال : رأيت عمر بن عبد العزيز لا يحفى شاربه جداً ، يأخذ منه أخذاً حسناً .

قال : حدثنا محمد بن إبراهيم ، أبو أمية ، غلام عمر بن عبد العزيز ، قال : دخلت مع عمر الحمام يوماً ، فأطلى ، فولى مغابنه بيده .

* * *

الباب الثالث والعشرون

فى ذكر زهده

قال : حدثنا عبد الله بن كثير قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : ما كان بدء إنابتك ؟ قال : أردت ضرب غلام لي ، فقال لى : يا عمر ! اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة .

قال : حدثنا ابن عياش ، عن محمد بن المهاجر ، عن العباس بن سالم اللخمى ، قال : بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبى سلام الحبشى ، فحمل إليه على البريد ليسأله عن الحوض فقدمت إليه فسألته ، فقال : سمعت ثوبان يقول : سمعت رسول الله يقول ﷺ: « إن حوضى ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأكاويبه عدد النجوم ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً أول الناس وروداً عليه : فقراء المهاجرين . فقال عمر بن الخطاب :من هم يا رسول الله : قال : هم الشعث رؤوساً الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المنعمات ، ولا تفتح لهم أبواب السدد » . فقال عمر بن عبد العزيز : لقد نكحت المتنعمات ، وفتحت لى أبواب السدد ، إلا أن يرحمنى الله ، لا جرم ، لا أدهن رأسى حتى يشعث ، ولا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ(1) .

قال : حدثنا مروان بن معاوية ، عن أبى داود الروقى قال : قال رجل لعمر : ألا نصنع لك دواء يشهيك الطعام ؟ قال : وما أصنع به ؟ فوالله إنى لأخرج المخرج فيؤذينى ما يخرج منى . قيل : أفلا نصنع لك دواء يشهيك النساء ؟ قال : وما أصنع به ؟ فوالله لربما كان ذلك فأجد لذلك غفلة وشرة .

تلك حال وهذه حال :

قال : حدثنى يعقوب ، عن أبيه ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يذيل ثيابه ، ويسرف فى عطره ، فلقد كان يدخل فى طيبه حمل القرنفل ، ولقد رأيت العنبر على لحيته كالملح .

فلما أفضت اليه الخلافة ترك ذلك وتبذل . قال : فأخبرنى رياح بن عبيدة ، وكان تاجراً من أهل البصرة يعامل عمر بن عبد العزيز ، يأمر وهو بالمدينة أن يشترى له جبة خز ، قال : فاشتريتها بعشرة دنانير ، ثم أتيته بها فمسها ، وقال : إنى لأستخشنها ، فلما ولى الخلافة أمرنى فاشتريت له جبة صوف بدينار ، فأتيته بها فجعل يدخل يده فيها ويقول : ما ألينها ، فقلت : عجباً ! تستخشن الخز أمس وتستلين الصوف اليوم : قال : تلك حال ، وهذه حال .

أين عيشنا اليوم من عيشنا إذ كنا بمصر :

قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثنى مالك ، عن أبى صعصعة أنه كان يحدث عمر ابن عبد العزيز عن مغازى القسطنطينية . قال : فبكى عمر بكاء شديداً قال : وقال مالك : إنّ عمر بن عبد العزيز قال ذات ليلة ، ومعه مزاحم ، ورجل يقال له : ابن مافنة ، قال : فدخل عمر بيته ، ثم قال لمزاحم : ائذن لابن مافنة ، فأذن له ، قال : فدخلت عليه . فإذا بمائدة عليها صحفة مخمرة بمنديل ، وعمر قائم يركع ، قال : فركع ركعتين ، ثم أقبل فجلس ، فاجتذب المائدة بيده ، ثم قال لى : كل ، أين عيشنا اليوم من عيشنا إذ كنا بمصر ؟ قال : فقلت له : لا شىء . يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : لقد رأيتنى وكنا ، لو ضايفنى أهل قرية لو جدت ما يعمهم ، ثم قال : أين عيشنا هذا من عيشنا بالمدينة ؟ ثم استبكى ، قال : فناداه أن : قم . قال : فقمت . قال : فأخبرنى من الغد أنه إذا أصابه مثل لم يعد إلى طعامه قال مالك : وهذا يعجبنى من فعل عمر ، أن يخدم الإنسان نفسه .

قال : حدثنا يعقوب قال : أخبرنى رجاء بن حيوة قال : كان عمر بن عبد العزيز من أعطر الناس ، وألبسهم ، وأخيلهم فى مشيته . فلما استخلف قوموا ثيابه اثنا عشر درهماً : كمته وعمامته وقميصه وقباءه وقرطقه وخفيه ورداءه .

قال : حدثنا أبو بكر بن عياش قال قال : قال عاصم : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعليه ثياب غسيلة ، فقومتها ستين درهما .

قال : حدثنا حماد ، عن حميد ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز بكى ، وقال : يا قلابة ! هل تخشى على ؟ قال : كيف حبك الدرهم ؟ قال : لا أحبه . قال : فلا تخف !

إن الله سيغيثك .

قال حنبل بن إسحاق : وأنبأنا أبو أسامة ، عن عيسى بن سنان ، قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يبنى بناء ويقول : سنة رسول الله ﷺ ، خرج من الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة .

يا بنى هذا طعام مولاك أمير المؤمنين :

قال عقل عن الأوزاعى ، عن نعيم بن سلامة ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو يأكل ثوماً بدقة وزيت .

قال : حدثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعى ، عن أبى عبيد ، حاجب سليمان ، عن نعيم بن سلامة ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز فوجدته يأكل ثوماً مسلوقاً بزيت وملح .

قال ضمرة ، عن ابن شوذب قال : دخلت امرأة من المهالبة على فاطمة ، امرأة عمر بن عبد العزيز ، فلما رأتها ورأت حالها ، قالت لها : هل تهيأ المرأة لزوجها إلا بما يجب ؟ قالت : لا . قالت فإنه يحب هذا منى .

قال : حدثنا سهل بن عاصم ، عن خلاد بن بزيع ، عن سهيل أخى حرم قال سمعت مالك بن دينار يقول : قال عمر بن عبد العزيز : ما تركت من الدنيا شيئاً إلا عقبنى فى قلبى ما هو أفضل منه ـ يعنى من الزهد ـ وما أنعم الله على فى دينى أفضل .

قال : حدثنا أبو أمية ، غلام عمر بن عبد العزيز ، قال : دخلت يوماً على مولاتى، فغدتنى عدساً ، فقلت : « كل يوم عدس » ؟ قالت : « يا بنى ! هذا طعام مولاك أمير المؤمنين » .

قال : حدثنا يونس بن أبى شبيب قال : شهدت عمر بن عبد العزيز وهو يطوف بالبيت ، وإن ازاره لغائبة فى عكنه ، [1] ثم رأيته بعد ما استخلف ، ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت .

(١) مفردها عكنة وهى الطى الذى فى البطن يظهر من السمن .

الجزء السادس :

والله ما له قميص غيره

قال : حدثنا محمد بن عبد الله العبدى قال : كتب إلى أبو حارثة أحمد بن إبراهيم ابن هشام بن يحيى بن الغسانى قال : حدثنى أبى ، عن أبيه عن جده ، عن مسلمة ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده فى مرضه ، فإذا عليه وسخ ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك : يا فاطمة ! اغسلى قميص أمير المؤمنين ، قالت : نفعل إن شاء الله ، ثم غدوت فإذا القميص على حاله ، فقلت : يا فاطمة ! ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين ؟ فإن الناس يعودونه .قالت : « والله ما له قميص غيره » .

قال : حدثنا عمارة بن أبى حفصة قال : دخلت على عمر فى مرضه وعليه قميص قد اتسخ جيبه ، وتخرق . فدخل فقال لأخته فاطمة امرأة عمر :ناولينى قميصاً غير هذا حتى يلبسه أمير المؤمنين ، فإن الناس يدخلون عليه ، فقال عمر : « دعها يا مسلمة ، فما أصبح ولا أمسى لأمير المؤمنين ثوب غير الذى يرى عليه » .

قال : حدثنا سعيد بن مسلمة ، عن أبى بشر ، مولى مسلمة بن عبد الملك ، عن مسلمة ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز فى اليوم الذى مات فيه ، وفاطمة بنت عبد الملك جالسة عند رأسه ، فلما رأتنى تحولت وجلست عند رجليه ، وجلست أنا عند رأسه ، فإذا عليه قميص وسخ ، مخرق الجيب ، فقلت لها : لو أبدلتم هذا القميص . فسكتت . ثم أعدت القول عليها مراراً حتى غلظت ، فقالت : « والله ما له قميص غيره » قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن أزهر ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز بخناصرة يخطب الناس عليه قميص مرقع .

. قال : حدثنا ربيعة بن عطاء ، عن عمر بن عبد العزيز أنه أخر الجمعة يوماً عن وقته الذى كان يصلى فيه ، فقلت له : أخرت الجمعة عن وقتك ؟ فقال : إن الغلام ذهب بالثياب يغسلها ، فحبس بها . فعرفنا أن ليس له غيرها ، ثم قال : أما إنى قد رأيتنى ، وأنا

بالمدينة ، وإنى لأخاف أن يعجز ما رزقنى الله عن كسوتى فقط . ثم تمثل بهذا البيت :

قضى ما قضى فيما مضى ثم لم تكن　　　له عـودة أخرى الليالى الغوابر [١]

قال : حدثنى سعيد بن سويد أن عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة ، ثم جلس وعليه قميص مرقع الجيب من بين يديه ومن خلفه . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ! إن الله قد أعطاك ، فلو لبست ، فنكس ملياً ، ثم رفع رأسه ، فقال : إن أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند المقدرة [٢] .

يا فاطمة عندك درهم أشترى به عنباً ؟

قال : حدثنا سعيد بن عامر ،عن عون بن المعمر ، قال : دخل عمر بن عبد العزيز على امرأته فقال : يا فاطمة عندك درهم أشترى به عنباً ؟ قالت لا . قال : فعندك ثمنه ـ يعنى الفلوس ـ نشترى به عنباً ؟ فأقبلت عليه فقالت : أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم ولا ثمنه تشترى به عنباً فقال : هذا أهون علينا من معالجة الأغلال فى جهنم .

قال: حدثنا الحكم بن عمز الرعينى قال : شهدت عمر حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوفة ورزق خدمه قال : وكم هى ؟

قالوا : هى كذا وكذا . قال :ابعث بها إلى أمصار الشام يبيعونها فيمن يريد ، واجعل أثمانها فى مال الله ، عز وجل ، تكفينى بلغتى هذه الشهبا. وجاءه صاحب الرقيق يسأل أرزاقهم وكسوتهم وما يصلحهم .

فقال عمر : كم هم ؟ قال : هم وكذا وكذا ألفاً . فكتب إلى أمصار الشام أن : ارفعوا إلى كل أعمى فى الديوان ، أو مقعد ، أو من به فالج ، أو من به زمانة ، تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة ، فرفعوا إليه . فأمر لكل أعمى بقائد ، وأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم . وفضل من الرقيق ، فكتب أن ارفعوا إلى كل يتيم ومن لا أحد له ممن قد جرى على والده الديوان ، فأمر خمسة يتوزعون بينهم بالسوية .

---

(١) سبق هذابلفظ آخر .　　(٢) سبق هذا فيما تقدم .

أويس القرنى أزهد أم عمر ؟

قال : حدثنا قطر بن حماد بن واقد قال : سمعت مالك بن دينار يقول : الناس يقولون مالك بن دينار زاهد . إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذى أتته الدنيا فتركها .

قال : حدثنا أحمد بن أبي الحوارى قال : سمعت أبا سليمان الداراني ، وأبا صفوان يتناظران فى عمر بن عبد العزيز ، وأويس القرنى ، قال أبو سليمان لأبى صفوان : كان عمربن عبد العزيز أزهد من أويس قال له : ولم ؟ قال : لأن عمر ملك الدنيا فزهد فيها . فقال له أبو صفوان : وأويس ، لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر فقال أبو سليمان : لا تجعل من جرب كمن لم يجرب . إن من جرت الدنيا على يديه ليس لها فى قلبه موقع ، أفضل ممن لم تجر على يديه ، وإن لم يكن لها فى قلبه موقع . قال : حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقى : حدثنى الزبير بن بكار قال : أتى عمر بن عبد العزيزمنزله فقال : هل عندكم من طعام ؟ فأصاب تمراً وشرب ماء وقال : من أدخله النار فأبعده الله .

أين موجدتك بى يا أمير المؤمنين :

قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، عن الهيثم بن عدى ، قال : كانت لفاطمة ، ابنة عبد الملك بن مروان ، زوجة عمر بن عبد العزيز ، جارية ذات جمال فائق ، وكان عمر رحمه الله ، معجباً بها قبل أن تفضى إليه الخلافه ، فطلبها منها ، وحرص فأبت دفعها إليه ، وغارت من ذلك ، فلم تزل فى نفس عمر ، فلما استخلف أمرت فاطمة بالجارية فأصلحت ثم حليت ، فكانت حديثاً فى حسنها وجمالها ، ثم دخلت فاطمة بالجارية على عمر فقالت : يا أمير المؤنين ! إنك كنت معجباً بفلانة . جاريتى ، سألتنيها فضننت ذلك عليك ، فإن نفسى طابت لك بها اليوم ، فدونكها . فلما قالت ذلك ، استبانت الفرح فى وجهه ، ثم قال : ابعثى بها إلى ففعلت ، فلما دخلت عليه ، نظر إلى شىء أعجبه ، فازداد بها عجباً فقال لها : ألقى ثوبك . فلما همت أن تفعل . قال : على رسلك ، اقعدى أخبرينى لمن كنت ؟ ومن أين أنت لفاطمة ؟ قالت : كان الحجاج بن يوسف أغرم عاملاً كان له من أهل الكوفة مالاً ، وكنت فى رقيق ذلك العامل ، وأنا يومئذ صبية ، فوهبنى عبد الملك

لابنته فاطمة . قال : وما فعل ذلك العامل ؟ قالت هلك . قال : وماترك ولداً ؟ قالت بلى : قال : وما حالهم ؟ قالت سيئة .قال : شدى عليك ثيابك . ثم كتب إلى عبد الحميد ، عامله أن سرح إلى فلاناً ابن فلان علي البريد . فلما قدم قال له : ارفع إلى جميع ما أغرم الحجاج أباك . فلم يرفع إليه شيئاً إلا دفعه إليه ، ثم أمر بالجارية فدفعت إليه ، فلما أخذ بيدها قال : إياك وإياها ، فإنك حديث السن ، ولعل أباك أن يكون قد وطئها . فقال الغلام يا أمير المؤمنين ! هى لك فقال : لا حاجة لى فيها . قال : فابتعها منى قال : لست إذن ممن ينهى النفس عن الهوى . فمضى بها الفتى فقالت الجارية : فأين موجدك بى ياأمير المؤمنين ؟ فقال : إنها لعلى حالها ولقد ازدادت ، فلم تزل الجارية فى نفس عمر حتى مات

قال : حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى قال : حدثنى أبى ، عن جدى ، قال : كانت لفاطمة بنت عبد الملك ، امرأة عمر بن عبد العزيز ، جارية ، فبعثت بها إليه وقالت : إنى قد كنت أعلم أنها تعجبك ، وقد وهبتها لك ، فتناول منها حاجتك . فقال عمر : اجلسى يا جارية ، فوالله ما من شىء من الدنيا كان أعجب إلى أن أنال منك ، فأخبرينى ما كان من سببك ، قالت : كنت جارية من البربر،حتى أتى حسان فهرب من موسى بن نصير ، عامل عبد الملك على إفريقية ، فأخذنى موسى بن نصير ، فبعثنى إلى عبد الملك ، فوهبنى عبد الملك لفاطمة ، فأرسلت بى إليك ، فقال : كدنا والله أن نفتضح فجهزها وأرسل بها إلى أهلها . قال : حدثنا أبو داود الروقى قال : كان لعمر بن عبد العزيزدرجة، فيها مرقاة ، فيها لبنة تحرك . فكان كلما صعد عمر أو نزل ارتاع منها فعمد مولى له فشدها بطين . فلما صعد عمر لم يرها ، فسأل عنها ، فقال له مولاه : رأيتك ترتاع منها ، فشددتها بطين ، فقال عمر : اقلع الطين ، فإنى أعطيت الله عهداً إن وليت هذا الأمر أن لا أضع لبنة على لبنة ، ولا آجرة على آجرة .

الناس كلهم بخير غيرى وغيرك :

قال : حدثنا أحمد بن إسحاق ، عن ضمرة ، عن حفص بن عمر قال : احتبس عمر ابن عبد العزيز غلاماً له يحتطب عليه ، ويلقط له البعر ، فقال له الغلام : الناس كلهم بخير غيرى وغيرك . قال : فاذهب ، فأنت حر .

قال ابن سعد ، وقال ابن دينار « لم » يرتزق عمر من بيت مال المسلمين شيئاً ، ولم يرز أه حتى مات . والله أعلم .

الباب الرابع والعشرون

في ذكر كرمه

قال : حدثنا جزيمة ، أبو محمد بن العابد ، أن عمر بن عبد العزيز قال : ما أعطيت أحداً مالاً إلا وأنا أستقله . وإني لأستحي من الله عز وجل ، أن أسأله الجنة لأخ من إخواني وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قيل لي : لو كانت الجنة بيدك ، كنت بها أبخل .

الباب الخامس والعشرون

في ذكر ورعه رحمه الله

لئن عدت إلى مثلها لا تعمل لي عملاً :

قال : حدثنا حماد قال : قال أبو شيبان : بعث معي عمارة بن نسي إلى عمر بسلتين من رطب ، أول ما جاء الرطب ، فأتيته بهما فقال : علامَ جئت بهما ؟ قلت : على دواب البريد. قال : فاذهب فبعهما بثمانية عشر درهماً ، فاشتراهما مني رجل من بني مروان ، فأهداهما إلى عمر ، فلما أتي بهما قال : يا أبا شيبان ! كأنهما السلتان اللتان أُتينا بهما قلت : نعم . فوضع إحداهما بين أيدينا فأكلنا منها ، وبعث الأخرى إلى امرأته وألقى ثمنهما في بيت المال .

قال : حدثنا ابن بكير قال : حدثني يعقوب قال : سمعت أبي يقول : قال عمر بن عبد العزيز : وددت أن عندى عسلاً من عسل (سنير) أو (لبنان) فسمعت فاطمة بنت عبد الملك ، فحمّلت بعض غلمانها ، أو بعض مواليها ، إلى ابن معدى كرب ، وهو عامل ذلك المكان . إن أمير المؤمنين قد تشهى من عسل سنير أو لبنان ، فأرسل إليه بعسل كثير ، فلما انتهى العسل إليها أرسلت به إلى عمر ، فقالت : هذا الذى تشهيت . فقال : كأني بك يا فاطمة ، قد بعثت بعض مواليك إلى ابن معدى كرب فأمر بذلك العسل فأخرج إلى السوق

فبيع وأدخل ثمنه إلى بيت مال المسلمين . ثم كتب إلى ابن معدى كرب : إن فاطمة بعثت إليك تخبرك أني اشتهيت عسلاً من عسل سنير أو لبنان فبعثت إليها ، وايم الله ، لئن عدت إلى مثلها لا تعمل لى عملاً أبداً ، ولا أنظر إلى وجهك .

أفسدت علينا عسلك :

قال : حدثنا رياح بن عبيدة قال : كان عمر بن عبد العزيز يعجبه أن يتأدم بالعسل ، فطلب من أهله يوماً عسلاً فلم يكن عنده ، فأتوه بعد ذلك بعسل فأكل منه فأعجبه ، فقال لأهله : من أين لكم هذا ؟

قالت امرأته : بعثت مولاى بدينارين على بغل البريد فاشتراه لى . فقال : أقسمت عليك لما أتيتنى به . فأتته بعكة فيها عسل ، فباعها بثمن زهيد ، ورد عليها رأس المال ، وألقى بقيته فى بيت مال المسلمين ، وقال : نصبت دواب المسلمين فى شهوة عمر ؟ .

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغسانى قال : حدثنى أبى ، عن جدى ، قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يحمل على البريد إلا فى حاجة المسلمين ، فكتب إلى عامل له يشترى عسلا . وأن عامله حمله على مركب من البريد ، فلما أتى عمر قال : علام حمله ؟ قالوا : على البريد . فأمر بذلك العسل فبيع ، وجعل ثمنه فى بيت مال المسلمين ، وقال : أفسدت علينا عسلك .

قال جرير بن حازم ، عن رجل ، عن فاطمة بنت عبد الملك قالت : اشتهى عمر بن عبد العزيز يوماً عسلاً ، فلم يكن عندنا ، فوجهنا رجلاً على دابة من البريد إلى بعلبك فأتي بعسل ، فقلنا يوماً . إنك ذكرت عسلاً ، وعندنا عسل ، فهل لك فيه : قال : نعم فأتينا به ، فقرب ثم قال : من أين لكم هذا العسل ؟ قالت : وجهنا رجلا ، على دابة من دواب البريد بدينارين إلى بعلبك ، فاشترى بها لنا عسلا .

قال : فأرسل إلى الرجل ، فجاءه فقال : انطلق بهذا العسل إلى السوق ، فبعه ، فاردد إلينا رأس مالنا ، وانظر إلى الفضل ، واجعله فى بيت مال المسلمين علف دواب البريد ، ولو ينفع المسلمين قيئى لتقيأت .

كانت الهدية للنبى هدية ولنا اليوم رشوة :

قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عمر بن مهاجر ، قال : اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحاً فقال : لو كان لنا ـ أو عندنا ـ شىء من التفاح ؟ فإنه طيب الريح طيب الطعم . فقام رجل من أهل بيته فأهدى إليه تفاحاً . فلما جاء به الرسول ، قال عمر: ما أطيب ريحه وأحسنه ! ارفعه يا غلام ، فأقرئ فلانا السلام وقل له : إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث تحب . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ابن عمك ورجل من أهل بيتك ، وقد بلغك أن النبى ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة . قال : ويحك؟ إن الهدية كانت للنبى ﷺ هدية وهى لنا اليوم رشوة .

قال : حدثنا أبو المليح ، عن ميمون بن مهران ، قال :أهدى .... إلى عمر بن عبد العزيز تفاحاً وفاكهة ، فردها وقال : لا أعلم أنكم بعثتم إلى أحد من أهل عملى شيئاً . قيل له : ألم يكن رسول الله ﷺ يقبل الهدية ؟ قال : بلى ! ولكنها لنا ولمن بعدنا رشوة .

قال : حدثنا أبو المليح ، عن فرات بن مسلم ، قال : اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحاً فطلب له فلم يوجد ، فركب وركبنا معه ، فتلقاه غلمان من الديارنة بأطباق فيها تفاح ، فوقف على طبق منها ، فتناول منه تفاحة فشمها ثم أعادها فى الطبق ، ثم قال : ادخلوا دياركم ، لا أعلم أنكم بعثتم إلى أحد من أصحابى بشىء . قال : فحركت بغلتى فلحقته فقلت : يا أمير المؤمنين ! اشتهيت التفاح وطلب لك فلم يوجد ، ثم أهدى إليك فرددته ، ألم يكن رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما يقبلون الهدية ؟ قال : إنها كانت لرسول الله ﷺ ولأبى بكر وعمر رضى الله عنهما هدية وللعمال بعدهم رشوة .

رحمك الله والله إن كنت لأشتهيه :

قال : حدثنا الفهرى ، عن أبيه ، كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفىء ، فتناول ابن له صغير تفاحة ، فانتزعها من فيه ، فأوجعه . فسعى إلى أمه مستعبراً ، فأرسلت إلى السوق فاشترت له تفاحاً ، فلما رجع عمر وجد ريح التفاح ، فقال : يا فاطمة ! هل أتيت شيئا من هذا الفىء ؟ قالت : لا ـ وقصت عليه القصة ـ فقال : والله ، لقد انتزعتها من ابنى

لكأنما انتزعتها من قلبى ، لكن كرهت أن أضيع نفسى من الله عز وجل ، بتفاحة من فىء المسلمين .

قال : حدثنا ابن السماك قال : كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاحاً بين المسلمين ، فجاء ابن له فأخذ تفاحة من ذلك التفاح ، فوثب إليه ففك يده ، فأخذ تلك التفاحة ، وطرحها فى التفاح ، فذهب إلى أمه مستعبراً ، فقالت له : ما لك أى بنى ؟ فأخبرها ، فأرسلت بدرهمين ، فاشترت له تفاحاً وأطعمته ، ورفعت لعمر . فلما فرغ مما بين يديه دخل إليها فأخرجت له طبقاً من تفاح ، فقال : من أين هذا ؟ فأخبرته ، فقال : رحمك الله والله إن كنت لأشتهيه .

قال : حدثنا أبو عوانة ، عن خالد بن أبى الصلت ، قال : أتى عمر بن عبد العزيز بماء قد سخن فى فحم الإمارة ، فكرهه ، ولم يتوضأ منه .

قال : حدثنا ابن بكير . قال : حدثنى يعقوب قال : سمعت أبى يقول : قال عمر بن عبد العزيز : أسخنوا لى ماء أغتسل به للجمعة . قال : قيل له : يا أمير المؤمنين ! لا والله ما عندنا عود حطب نوقده به . قال فذهبوا بالقمقم إلى المطبخ ، مطبخ المسلمين ، قال : ثم جاءوا بالقمقم ، فقالوا : هذا القمقم ، يا أمير المؤمنين ! وهو يفور . فقال : ألم تخبرونى أنه ليس عندكم حطب ؟ لعلكم ذهبتم به إلى مطبخ المسلمين ؟ قالوا : نعم . قال : ادعوا لى صاحب المطبخ ، فلما جاءه ، قال له : قيل لك هذا قمقم أمير المؤمنين فأوقدت تحته عوداً واحداً ، وإن هو إلا جمر لو تركته لخمد حتى يصير رماداً . قال : بكم أخذت الحطب ؟ قال : بكذا ، قال : أدوا إليه ثمنه .

قال : حدثنا حنبل بن إسحاق قال : حدثنى أبو عبد الله قال : حدثنى رجاء بن حيوة ، أبى سلمة ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يصنع طعاماً لمن حضره فلا يأكل منه ، فكانوا لا يأكلون ، فقال : ما شأنكم لا تأكلون ؟ فقالوا : إنك لا تأكل ، فلا نأكل ، قال : فأمر بدرهمين من صلب ماله ، كل يوم ، فأنفقا فى المطبخ ، فأكل وأكلوا .

قال : حدثنا معاوية بن عمرو ، عن أبى إسحاق الفزارى ، عن الأوزاعى ، قال : كان عمر بن عبد العزيز جعل فى كل يوم درهماً من خاصة ماله فى طعام العامة ، ثم يأكل معهم

قال الأوزاعى : ولم يكن عمر يرتزق دون المسلمين .

كُلها يابنى فإنك رزقتها ولم أرزقها :

قال : حدثنا الحكم بن عمرو الرعينى قال : شهدت عمر بن عبد العزيز وأرسل غلاماً يشوى له كبكبة من لحم ، فعجل بها . فقال : أسرعت بها قال : شويتها فى نار المطبخ - وكان للمسلمين مطبخ يغديهم ويعشيهم - فقال لغلامه : كُلها يا بنى ! فإنك رزقتها ولم أرزقها .

قال : حدثنا إسحاق الفزارى ، عن الأوزاعى ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يجعل فى كل يوم من ماله درهماً فى طعام المسلمين ، ثم يأكل معهم ، وكان ينزل بأهل الذمة ، فيقدمون إليه من الحلبة والبقول وأشباه ذلك ، مما كانوا يصنعون من طعام . فيعطيهم أكثر من ذلك ويأكل منه ، فإن أبوا أن يقبلوا ذلك منه ، لم يأكل منه فأما من المسلمين فلم يكن يقبل شيئا .

وهل ينتفع منه إلا بريحه ؟

قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن رياح بن عبيدة ، وأبى سنان ، عن عمر بن العزيز ، أنه وضعت بين يديه مسكة عظيمة ، فأخذ بأنفه ، فقيل : يا أمير المؤمنين ! إنما هو ريح ، قال : وهل ينتفع منها إلا بريحها ؟ .

قال : حدثنا رياح بن عبيدة قال : أخرج مسك من الخزائن ، فوضع بين يدى عمر بن عبد العزيز ، فأمسك بأنفه مخافة أن يجد ريحه . فقال له رجل من أصحابه : يا أمير المؤمنين! ما ضرك إن وجدت ريحه ؟ قال : وهل ينتفع من هذا إلا بريحه ؟

قال : حدثنا الهيثم بن عمر قال : سمعت حيان بن نافع البصرى قال : بعثنى عروة بن محمد السعدى إلى سليمان بن عبد الملك - وهو بدابق - بهدايا - ، قال : فوافينا وقد مات ، واستخلف عمر بن عبد العزيز ، فدخلنا عليه وقد هيأنا له تلك الهدايا ، كما كانت تهيأ لسليمان ، قال : ومعنا عنبرة فيها نحو خمسمائة رطل أو ستمائة رطل ، ومسك كثير ، فأخذوا يعرضون على عمر تلك الهدايا ، وفاح ريح المسك ، فجعل عمر كمه على أنفه ،

ثم قال : يا غلام ارفع هذا ، فإنه إنما يستمتع من هذا بريحه .

قال محمد بن إسحاق : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله العمرى ، عن ربيعة بن عطاء قال : أُتي عمر بعنبرة من اليمن ، فوضع يده على أنفه بثوبه ، فقال له مزاحم : إنما هى ريحها ، يا أمير المؤمنين ! قال : ويحك يا مزاحم ! وهل ينتفع من الطيب إلا بريحه قال : فما زالت على أنفه حتى رفعت .

قال : حدثنا أبو عوانة ، عن عبد الله بن راشد ، صاحب الطيب ، قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بالطيب ، الذى كان للخلفاء من بيت المال ، فأمسك أنفه وقال : إنما ينتفع بريحه .

قال : حدثنى عبد العزيز الماجشون ، عن أبى عبيد ، قال : ما رأيت رجلا قط ، أشد تحفظاً فى منطقه من عمر بن العزيز . رحمه الله .

احتاج أهل أمير المؤمنين إلى نفقة ولا أدرى من أين آخذها :

قال : أخبرنى شيخ ، عن عبد الله بن أبى زكريا أنه دخل على عمر بن عبد العزيز ، وقد توجع له ، مما بلغه مما خلص إلى أهل عمر بن عبد العزيز من الحاجة ، فتحدثا ثم قال : يا أمير المؤمنين! أرأيتك شيئاً تعمل به ، بأي شيء استحللته . قال : وما هو ؟ قال : ترزق الرجل من عمالك مائة دينار فى الشهر ، ومائتى دينارفى الشهر ، وأكثر من ذلك . قال : أراه لهم يسيراً إن عملوا بكتاب ربهم وسنّة نبيهم ، وأحب أن أفرغ قلوبهم من الهم بمعايشهم وأهليهم . قال ابن أبى زكريا : فإنك قد أصبت . وقد ذكر لى أنه قد خلص إلى أهلك حاجة ، وأنت أعظمهم عملا ، فانظر ما قد رأيته حلالاً لرجل منهم ، فارتزق مثله ، فوسّع به على أهلك . فقال يرحمك الله ، قد عرفت أنك لم ترد إلا خيراً ، وأنك توجعت من بعض ما يبلغك من حالنا . ثم قال بيده اليمنى على ذراعه اليسرى ، فقال : إن هذا اللحم والعظم إنما نبت من مال الله ، فإنى والله إن استطعت لا أعيد فيه منه شيئاً أبدا .

قال : وحدثنى الليث ، عن محمد بن قيس ، قاصّ عمر بن عبد العزيز ، قال : خرج علينا يوماً مزاحم فقال : لقد احتاج أهل أمير المؤمنين إلى نفقة ، ولا أدري من أين آخذها ،

ولا أدرى من أين أستلفها . قال : قلت : لولا قلة ما عندى لعرضته عليك . قال : وكم عندك ؟ قلت : خمسة دنانير قال : والله ، إن فى خمسة دنانير لبلاغاً فأعطنيها فدفعتها إليه ثم أتاه مال من أرض عمر باليمن ، قال : فمر عليَّ مزاحم مسروراً وقال : قد جاءنا مال من أرض لنا ، نقضيك الآن تلك الخمسة دنانير . قال : فدخل ثم خرج وإحدى يديه على رأسه وهو يقول : أعظم الله أجر أمير المؤمنين ، قلت وما ذاك ؟ قال : أمر بهذا المال الذى جاء من أرضه أن يدخل بين مال المسلمين . فلا أدرى كيف تحيل [1] لى فى الخمسة حتى قضانى . قال : حدثنا أبو المليح ، عن فرات بن مسلمة ، قال : كنت أعرض على عمر بن عبد العزيز كتبى فى كل جمعة مرة ، فعرضتها عليه ، فأخذ منها قرطاساً نقياً قدر أربع أصابع ، أو شبر ، فكتب فيه حاجة له ، فقلت : غفل أمير المؤمنين ، فبعث إليَّ من الغد ، فقال : جئ بكتبك ، قال : فبعثنى فى حاجة ، فلما جئت قال لى : ما آن لنا أن ننظر فيها ؟ فقلت : إنما نظرت فيها أمس . قال : فاذهب حتى أبعث إليك ، فلما فتحت كتبى وجدت فيها قرطاساً بقدر القرطاس الذى أخذ .

يمنعنى من كثير من الكلام مخافة المباهاة :

قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن رجاء أبى المقدام ، عن نعيم بن عبد الله ، كاتب عمر بن عبد العزيز ، أن عمر بن عبد العزيز قال : إنّه ليمنعنى من كثير من الكلام مخافة المباهاة . قال : حدثنا الشافعى قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : ما تقول فى أهل صفين ؟ قال : تلك دماء طهر الله يدى منها ، فلا أحب أن أخضب لسانى بها . قال : حدثنا على بن مسعدة قال : حدثنى رياح بن عبيدة قال : كنت قاعداً عند عمربن عبد العزيز ، فذكر الحجاج فشتمته ، ووقعت فيه ، فقال عمر : مهلاً يا رياح ! إنه بلغنى أن الرجل ليظلم المظلمة ، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم ويتنقصه ، حتى يستوفى حقه ، ويكون للظالم عليه الفضل [2] .

لا حاجة لي بجرتك :

(عن أبى بكير وأبى زيد قال) [3] : حدثنا يعقوب قال : سمعت أبى يحدث : أن

---

(١) فى مختصر : « تمحل » . (٢) سبق فيما تقدم . (٣) من المختصر .

عمـر بن عبـد العزيز جاءه ثلاثون ألف درهم من مـاله بالبحـرين ، فجاءه الـذى يقوم على طعام أهله فـقال : يا أمير المؤمنين ! قد جـاءك الله بنفقـة . قال : من أين ؟ قـال : من مالك الذى بالبحرين ، جاءتك ثلاثون ألفاً فاسترجع عمر ، وقال : ادع لى مزاحـماً ، فلما جاءه مزاحم قـال : أى مزاحم ! ما رددت ذلك المال الذى جاءنا من البـحرين فى مال الله فـيما أحسب - شك ابـن بكير قال مـزاحم : سقط علىَّ يا أمير المؤمنين - قـال : فاردده ، وصِلْ بهذا المال فى بيت مال المسلمين ، قال : فدخل عليـه قيم ذلك المال فقال : يا أمير المؤمنين ! اعتق رقبتى من الرق أعتقك الله من النار . قال : فنظر إليه ثم قال : إنما أنت وذلك المال من مال الله ، فلا سبيل إلى عتقك . فقـال : يا أمير المؤمنين ! جرة زنجبيل مربت ، كنت أهديها لك كل عام ، وقد جئت بها . قال : ائت بها . قال : فأخـرج منها عوداً فوضعه على شفتيه ثم قال : مه ! إذا شككت فى الشىء فدعه . لا حاجة لى بجرتك .

خذها ، فإن شئت فاحمد ، وإن شئت فذم :

قال : حدثنا عمـارة بن عقيل بن جرير بن عطية بن الخطفى - والخطفى اسـمه حذيفة ابن بدر - قال : لما قـام عمر بن عبـد العزيز ، نهضت إليـه الشعراء ، من الحجـاز والعراق ، فكان فـيمن حـضـر : نصيب ، وجـرير ، والفـرزدق ، والأحوص ، وكـثيِّر ، والحجـاج القضاعى ، والأخطل ، فمكثوا شهـراً لم يؤذن لهم ، ولم يكن لعمر فيهم رأى ولا أرب ، وإنما كـان رأيه وبطانته وأهل أربه القـراء والفقـهـاء ، ومن وسم عنده بورع ، يبعث إليـهم حيث كانوا من بلدانهم ، فـوافق جرير قدوم عون بن عبـد الله . عتبة بن مسـعود الهذلى ، وكان ورعاً فقيـهاً مفوهاً فى المنطق ، نظير الحسن بن أبى الحسن البـصرى فى منطقه ، فرآه جرير على باب عمر مشمر الثياب ، معتماً على كمة لاصقة برأسه ، قد ألـقى ضيفتيها بين كتفيه ، فقال :

يا أيهـا القـارئ المرخى عمـامـتـه ... هذا زمـانك ، إنّى قـد مـضـى زمنى
أبلغ خـليـفـتنا ، إنْ كـنت لاقـيــه ، ... أنى لدى البـاب كـالمصـفـود فى قـرن

فقال له عون : من أنت ؟ فقال : جرير . قال : إنّه لا يحل عرضى . قال : فاذكرنى للخليفة . قال : إن رأيت موضعاً فعلت . ثم قال : هذا جرير بالباب ، فأحرز لى عرضى

منه . فأذن لجرير ، فدخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ! إنى أخبرت أنك تحب أن توعظ ولا تطرى فأذن لى فى الكلام . فأذن له فقال :

لجت أمامة فى أمرى ، وما علمت ... عرض اليمامة روحاتى ولا بكرى
ما هوّم القوم مذ شدّوا رحالهم ... إلا عشاشاً لدى أعصارها اليسرِ
يصرحن صرح حصى المعزى إذا وقعت ... شمس النهار ، وعاد الظل للقمرِ
زرت الخليفة من أرض على قدر ... كما أتى ربّه موسى على قدرِ
إنّا لنرجو ، إذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ، ما نرجو من المطرِ
أأذكر الضر والبلوى التى نزلت ؟ ... أم أكتفى بالذى أنبئت من خبرى؟
ما زلت بعدك فى دار تقحمنى ... وضاق بالحى إصعادى ومنحدرى
لا ينفع الحاضر المهجود بادينا ... ولا يعود لنا باد على حضرى
كم بالمواسم من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت ، والنظرِ
أذهبت خلته حتى دعا ودعت : ... يا رب ! بارك لطرّ الناس فى عمرِ
ممن نعدك تكفى فقد والده ... كالفرخ فى الوكر ، لم ينهض ولم يطرِ
هذى الأرامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرمل الذكرِ ؟

فترقرقت عينا عمر ، وقال : إنّك لتصف جهدك . فقال : ما غاب عنى وعنك أشد . قال : فجهز إلى الحجاز عيراً يحمل الطعام والكساء والعطاء يبث فى فقرائهم . ثم قال : أخبرنى أمن المهاجرين أنت يا جرير ؟ قال : لا . قال : فبينك وبين الأنصار رحم أو قرابة أو صهر ؟ قال : لا . قال : فممن يقاتل على الفيء أنت ويجلب على عدو المسلمين ؟ قال : لا . قال : فلا أرى لك فى شيء من هذا الفيء حقاً . قال : بلى والله ، لقد فرض الله لى فيه حقاً ، إن لم تدفعنى عنه . قال : ويحك ! وما حقك ؟ قال : ابن السبيل أتاك من شقة بعيدة فهو منقطع به على بابك . فقال : إذن أعطيك . فدعا بعشرين ديناراً فضلت من عطائه ، فقال : هذه فضلت من عطائى ، وإنما يعطى ابن السبيل من مال الرجل ، ولو فضل أكثر من هذا لأعطيتك ، فخذها ، فإن شئت فاحمد ، وإن شئت فذم . قال : بل أحمد ، يا أمير المؤمنين ، فخرج ، فجهشت إليه الشعراء وقالوا : ما وراءك يا أبا حرزة ؟ قال :

لينلحق الرجل منكم بمطيته ، فإني خرجت من عند رجل يعطى الفقراء ولا يعطى الشعراء .
قال :

وجـدت رقى الشـيطان لا تسـتـفـزه   وقـد كـان شـيطانى من الجن راقـيـا

إن رسول الله امتُدح وأعطى :

قال : حدثنا الهيثم بن عدى ، عن عوانة بن الحكم ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد الشعراء إليه ، فأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم ، فبينما هم كذلك يوماً ، وقد أزمعوا على الرحيل ، إذ مر بهم رجاء بن حيوة ، وكان من خطباء أهل الشام ، فلما رآه جرير داخلاً على عمر بن عبد العزيز أنشأ يقول :

يا أيهـا الرجل المرخى عـمـامـتـه   هذا زمـانـك ، فـاسـتـأذن لنا عـمـرا

قـال : فدخل ، ولم يذكـر من أمرهم شيئـا . ثم مـر بهم عدى بن أرطـاة فـقـال جرير :

يا أيهـا الراكب المزجى مطيـتـه   هذا زمـانك ، إنى قـد مـضى زمنى
أبلغ خليـفـتنا إن كنت لاقـيـه   إنى لدى البـاب كـالمصـفـود في قـرنِ
لا تنس حـاجـتنا ، لقـيت مـغـفـرةً   قـد طال مكثىَ عن أهلىَ وعن وطنى

قال : فدخل عدى على عمر فقال : يا أمير المؤمنين ! الشعراء ببابك ، وسهامهم مسمومة ، وأقوالهم نافذة .

قال : ويحك يا عدى ! ما لى وللشعراء ؟

قال : أعـز الله أمير المـؤمنين ، إن رسول الله ﷺ قد امـتُدح وأعطى ، ولك فى رسول الله ﷺ أسوة .

قال : كـيف ؟ قال : امتـدحه العبـاس بن مرداس السلمى فأعطـاه حلة قطع بها لسانه . قال : وتروى من قوله شيئا ؟ قلت : نعم فأنشدته :

رأيتك يا خير البرية كلها نشرت كتاباً جاء بالحق معلنا
شرعت لنا دين الهدى ، بعد جورنا عن الحق ، لما أصبح الحق مظلما
وفردت بالتبيان أمرا مدنساً وأطفأت بالبرهان ناراً تضرماً
فمن مبلغ عني النبى محمداً وكل امرئ يُجزى بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه وكان قديماً ركنه قد تهدّما
تعالى علواً فوق عرش إلهنا وكان مكانُ اللهِ أعلى وأعظما

رأى عمر بن عبد العزيز فى بعض الشعراء:

قال : ويحك يا عدى ! من بالباب منهم ؟ قال ؟ عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة .
قال أليس يقول :

ثم نبهتها فهبت كعاباً منطلقة ما تبين كلام
ساعة ، ثم إنهاش بعد قالت ويلتا ! قد عجلت يا بن الكرام
أعلى غير موعد جئت تسرى تتخطى لى رؤوس النيام ؟

فلو كان عدو الله إذ فجر كتم على نفسه ، لا يدخل ، والله على أبداً ، من بالباب سواه ؟ قال : همام غالب ـ يعنى الفرزدق ـ قال : أوليس هو الذى يقول :

هما دلتانى من ثمانين قامة كما انقض بازٌ أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الأرض قالتا أحي يرجّى ، أم قتيل نحاذره ؟

فلا يطأ والله بساطى فمن سواه بالباب ؟ قال : الأخطل . قال : يا عدى ! أليس الذى هو يقول :

ولست بصائم رمضان طوعاً ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بزاجر عيساً بكوراً إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بزائر بيتاً بعيداً بمكة أبغى فيه صلاحى
ولست بقائم كالعبد أدعو قبيل الصبح ، حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولاً وأسجد عند منبلج الصباح

فوالله لا يدخل على وهو كافر أبداً ، فهل بالباب سوى من ذكرت ؟
قال : نعم ، الأحوص . قال : أليس هو يقول :

الله بيني وبين سيدها يفر مني بها وأتبعه

قال : فمن هاهنا أيضاً ؟ قال: جميل بن معمر . قال : يا عدى !
أليس هو الذى يقول :

أيا ليتنا نحيا جميعاً ، وإن أمت يوافق فى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب إذا قيل قد سوى عليها صفيحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحاً . والله لا يدخل على أبداً . فهل سوى من ذكرت أحد ؟ قال : نعم جرير بن عطية . قال : أما أنه الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعى بسلام

دخول جرير عليه:

فإن كان لا بد فهو . قال : فأذن لجرير ، فدخل وهو يقول :

إن الذى بعث النبى محمداً جعل الخلافة للإمام العادل
وسع الخلافة عدله ووقاره حتى ارعوى وأقام ميل المائل
إنى لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل

فلم مثل بين يديه قال : ويحك يا جرير! اتق الله ولا تقل إلا حقاً ، قال فأنشأ يقول :

أأذكر الصبر [١] والبلوى التى نزلت ؟ أم قد كفانى ما بلغت [٢] من خبرى ؟
كم باليمامة [٣] من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر ؟
ممن يعدك أن تكفى والده كالفرخ فى العش [٤] لم ينهض ولم يطر

---

(١) فى رواية سابقة : « الجهد » .
(٢) فى رواية سابقة : « ما نبثت » .
(٣) فى رواية سابقة : « بالموسم » .
(٤) فى رواية سابقة : « الوكر » .

يدعــوك دعــوة ملهــوف كــأن به   خبــلاً من الجن ، أو مســاً من البــشر
خليــفــة الله ! مــاذا تـأمــرون بنا ؟   لـسـنــا إلـيكـم ولا فـى دار مـنـتـظـر
مـــا زلـت والهـم يومـــاً يـؤرقنـى   قد طال فى الحى إصعادى ومنحدرى (١)
لا ينـفع الحـاضـر المجـهــود بادينا   ولايعــود لنا بادٍ على حــضـــرى
إنا لـنرجــو ،إذا مــا الغــيـث أخلفنا   من الخليـفـــة ، مــا نـرجـو من المطر
زان الخـلافـة إذا كـانت له قـدراً (٢)   كـــمـــا أتى ربّه مــوسى على قــدر
هذى الأرامل قـد قـضـيت حـاجـتـها   فــمن لحــاجــة هذا الأرمل الـذكـر ؟
الخـيــر مــا دمت حــيــا لا يفــارقنا   بوركت ياعــمـر الخـيـرات من عــمـر

فقال : جرير ! ما أرى لك فيما هاهنا حقاً . قال : بلى يا أمير المؤمنين ،أنا ابن السبيل ومنقطع بى . فأعطاه من صلب ماله مائة درهم .

قال : وقد ذكر أنه قال ويحك يا جرير ! لقد ولينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلاثمائة درهم : فمائة أخذها عبد الله ،ومائة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام ! أعطه المائة الباقية . قال : فأخذها .

وقال : والله لهى أحب ما اكتسبته إلى « من » مال . ثم خرج فـقال له الشعراء : ما وراءك ؟ قال : ما يسوؤكم . خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وإنى عنه لراضى . وأنشأ يقول :

رأيت رقـى الشـيطان لا تسـتـفـزه   وقـد كـان شيطانى من الجن راقـيـا

---

(١) فى الرواية السابقة : « فى دار تقحمنى . وضاق بالحى » .
(٢) فى الرواية السابقة : « زنت الخلافة من أرض على قدر » .

الباب السادس والعشرون

في ذكر تواضعه رحمه الله

قال : حدثنا الوليد ، عن الأوزاعي ، قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز ، دخل عليه أخ له فقال : إن شئت كلمتك ، وأنت عمر ، فيما تكره اليوم وتحب غداً ، وإن شئت كلمتك وأنت أمير المؤمنين فيما تحبه اليوم وتكرهه غداً . قال : بل كلمنى وأنا عمر ، فيما أكره اليوم وأحب غداً .

قال حدثنا النضر بن سهيل عن أبيه ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لجارية له : يا جارية ! روِّحينى ، فأقبلت تروِّحه ، فغلبتها عينها فنامت ، فأخذ المروحة وأقبل يروحها ، فانتبهت فصاحت ، فقال لها عمر : إنما أنت بشر مثلى ، أصابك من الحر ما أصابنى ، وأحببت أن أروحك مثل الذى روحتينى .

قال : حدثنا وليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يجلس إلى قاصِّ العامة بعد الصلاة ، ويرفع يديه إذا رفع . ودخلت عليه ابنة أسامة بن زيد ، ومعها مولاة لها تمسك بيدها ، فقام لها عمر ، ومشى إليها حتى جعل يدها فى يده ، ويداه فى ثيابه ، ومشى بها حتى أجلسها فى مجلسه ، وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها

قال : حدثنا بقية بن الوليد ، عن حسان العبسى ، عن عمرو بن مهاجر ، قال : قال عمر بن عبد العزيز يا عمرو ! إذا رأيتنى قد ملت عن الحق فضع يدك فى تلابيبى ، ثم هزنى ، ثم قل لى : ماذا تصنع ؟ .

قال : حدثنا حكام الرازى ، عن أبى حازم ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قال : انظروا رجلين من أفضل من تجدون ، فجىء برجلين فكان إذا جلس مجلس الإمارة أمر ، فألقى لهما وسادة قبالته فقال لهما : إنّه مجلس شر وفتنة ، فلا يكن لكما عمل إلا النظر إلىّ ، فإذا رأيتما منى شيئا لا يوافق الحق ، فخوفانى وذكرانى بالله عز وجل

قمت وأنا عمر بن عبد العزيز وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز :

قال : حدثنا ابن كثير بن مروان ، عن رجاء بن حيوة ، قال : سمرت ليلة عند عمر بن عبد العزيز ، فاعتل السراج ، فذهبت أقوم أصلحه . فأمرني عمر بالجلوس ، ثم قام فأصلحه ثم عاد فجلس فقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز ، ولؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه .

قال : حدثنا ضمرة ، عن عبد العزيز بن أبي خطاب ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : قال لي رجاء بن حيوة : ما أكمل مروءة أبيك ، سمرت معه ذات ليلة فغشي السراج ، فقال لي : ما ترى السراج قد غشي ، قلت : بلى . وإلى جانبه وصيف راقد . قال : قلت :أفلا أنبهه . قال : لا دعه يرقد . قلت : أفلا أقوم أنا ؟ قال : لا ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه . قال : فوضع رداءه ، ثم قام إلى بطة زيت معلقة ، فأخذها ، فأصلح السراج ، ثم ردها في موضعها ، ثم رجع وقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز .

لا يدرى أيهم هو حتى يشار إليه :

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : شهدت مع عمربن عبد العزيز جنازة في يوم مطر ، فكبر عليها أربعاً ، فأقبل رجل غريب ليس عليه طليسان ، فدعاه فأجلسه إلى جنبه وغطاه بظل طيلسانه ، ورأيت عمر بن عبد العزيز بدأ بحمل الجنازة ، وجعل يمين الجنازة على شقه الأيسر ، ثم حمل مؤخر السرير على شقه الأيمن ، ثم مشى أمام الجنازة والناس يمشون خلف الجنازة شهدته حين فرغ من القبر مسح يده عليه ، وأشار بأصبعه : اللهم اغفر وارحم واعف عما تعلم . قال : ورأيت عمر بن عبد العزيز يقوم من هذه الحلقة فيجلس في هذه الحلقة ، فربما جاء الغريب الذى لا يعرفه ، يسأل عن أمير المؤمنين ، وفي أي حلقة هو ، فهو لا يدرى أيهم هو حتى يشار إليه : هذا أمير المؤمنين فيسلم عليه بالخلافة .

قال حدثنا ابن وهب قال : حدثني الليث بن سعد أن أبا النضر حدثه قال : دسست إلى

عمر بن عبد العزيز بعض أهله أن قل له إن فيك كبراً ، وإنك تتكبر ، فقيل ذلك له ، فقال عمر : لبئس ما ظننت ، إن كنت تراني أتوقى الدينار والدرهم مراقبة لله ، وأنطلق إلى أعظم الذنوب فأرتكبه ، الكبرياء إنما هو رداء الرحمن فأنازعه إياه ؟ ولكن كنت غلاماً بين الغلمان ـ أو قال بين ظهري قومي ـ يدخلون عليَّ بغير إذن ، ويتوطؤون فرشي ، ويتناولون مني ما يتناول القوم من أخيهم الذى لا سلطان له عليهم . فلما أن وليت خيرت نفسى فى أن أمكنهم منى ، حالهم التى كنت لهم عليها ، وأعاقبهم فيما خالف الحق ، أو أتمنع منهم فى بابى ووجهى ليكفوا عنى أنفسهم ، وعن الذى أحذر عليهم لو كنت جرأتهم على نفسي من العقوبة والأدب ، فهو الذى دعانى إلى هذا .

لو عرفتَ من نفسي ما أعرفُ منها ما نظرتَ فى وجهى :

قال :حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! لو أتيت المدينة ، فإن قضى الله موتاً دفنت موضع القبر الرابع ، مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر . قال : والله لأن يعذبنى الله بكل عذاب ـ إلا النار فإنه لاصبر عليها ـ أحب إلىَّ من أن يعلم الله من قلبى أنى أرى أنّى أهل لذلك .

قال : حدثنا أبو بكر بن عبيد ، عن المفضل بن يونس ، قال : قال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت بطيناً ، ملوثاً فى الخطايا ، أتمنى على الله الأمانى .

قال : حدثنا الثورى قال : ضرب عمر بن عبد العزيز بيده على بطنه ، ثم قال : بطنى بطيء عن عبادة ربى ، متلوث بالذنوب والخطايا ، يتمنى على الله منازل الأبرار ، ويعمل خلاف أعمالهم .

قال : حدثنا الفضل بن دكين قال : ذكر أبو إسرائيل فقال : حدثني على بن بزيمة قال : رأيته فى المدينة ، وهو أحسن الناس لباساً ، وأطيب الناس ريحاً ، وهو أخيل الناس فى مشيته ، ثم رأيته بعد ذلك يمشى مشية الرهبان . فمن حدثك أن المشية سجية بعد عمر فلا تصدقه (١) .

---

(١) سبق هذا ففيما تقدم .

قال : حدثنا خالد بن يزيد ، عن جعونة ، قال : دخل على عمر بن عبد العزيز رجل فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّ من كان قبلك كانت الخلافة لهم زيناً ، وأنت زين الخلافة ، وإنما مثلك كما قال الشاعر :

وإذا الدر زان حسنَ نحورٍ كان للدر حسنُ وجهك زينا [1]

قال : حدثنا محمد بن نعيم بن هضيم قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : أطرأ وجه عمر بن عبد العزيز فى وجهه فقال : يا هذا ! لو عرفت من نفسى ما أعرف منها ، ما نظرت فى وجهى .

رحم الله امرأ عرف قدره :

قال : حدثنا ابن عائشة ، عن أبيه ، قال : بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنا له اشترى فصاً بألف درهم ، فتختم به . فكتب إليه عمر : عزيمة منى عليك ، لما بعت الفص الذى اشتريته بألف درهم ، وتصدقت بثمنه ، واشتريت فصاً بدرهم نقشت عليه : « رحم الله امرأ عرف قدره » والسلام .

قال : حدثنا أبو سعيد المؤدب ، عن عبد الكريم ، قال : قيل لعمر : جزاك الله عن الإسلام خيراً . قال : لا بل جزا الله الإسلام عنى خيراً .

يا أبا قلابة تشدد ولا تشمت بنا المنافقين :

قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، قال : مرض أبو قلابة بالشام ، فدخل عليه عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا أبا قلابة تشدد ولا تُشمِتْ بنا المنافقين .

قال : حدثنا محمد بن كثير ، عن سليمان الخواص ، قال : مات ابن لرجل ، فحضره عمر بن عبد العزيز ، وكان الرجل حسن العزاء ، فقال رجل من القوم : هذا والله الرضا . فقال عمر بن عبد العزيز : أو الصبر .

قال سليمان : الصبر دون الرضا ، الرضا أن يكون الرجل قبل نزول المصيبة راضياً بأى ذلك كان ، والصبر أن يكون بعد نزول المصيبة .

(١) تقدم فيما سبق .

الباب السابع والعشرون

في ذكر حلمه وصفحه

قال حدثنا : ا سعيد بن عامر ، عن هارون بن أعين ، عن شيخ من خناصرة ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز ابن من فاطمة ، فخرج يلعب مع الغلمان فشجه غلام ، فاحتملوا ابن عمر والذى شجه فأدخلوهما على فاطمة ، فسمع عمر الجلبة وهو فى بيت آخر ، فخرج وجاءت امرأة فقالت : هو ابنى . وهو يتيم فقال : له عطاء : قالت : لا ، قال : اكتبوه فى الذرية . قالت فاطمة : فعل الله به وفعل ، إن لم يشجه مرة أخرى . قال : إنكم أفزعتموه .

قال : حدثنا إبراهيم بن أبى عبلة قال : غضب عمر بن عبد العزيز يوماً على رجل غضباً شديداً ، فبعث إليه فجرده ومده فى الحبال ، ثم عاد بالسياط ، حتى إذا قلنا : هو ضاربه ، قال : خلوا سبيله ، أما أني لولا أني غضبان لسؤتك ، وقرأ : ﴿ **والكَاظِمينَ الغَيظَ والعَافِينَ عن النّاسَ .....** ﴾ [1] الآية .

قال : حدثنا قيس ، عن عبد الملك ، قال : قام عمر بن عبد العزيز إلى قائلته [2] ، وعرض له رجل بيده طومار ، فظن القوم أنه يريد أمير المومنين ، فخاف أن يحبس دونه ، فرماه بالطومار ، والتفت أمير المؤمنين ، فأصابه في وجهه فشجه ، فنظرت إلى الدماء تسيل على وجهه ، وهو في الشمس ، فقرأ الكتاب ، وأمر له بحاجته وخلى سبيله .

إن التقى ملجم :

قال : حدثنا سفيان قال : نال رجل من عمر بن عبد العزيز ، فقيل له : ما يمنعك منه ؟ فقال : إن التقى ملجم .

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٣٤ .

(٢) من القيلولة .

قال : حدثنا رويم بن يزيد ، عن أبى سهل المصرى ، عن حاتم بن قدامة ، قال : قام رجل إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو على المنبر ، فقال : أشهد أنك من الفاسقين . فقال له : وما يدريك : وأنت شاهد زور لا نجيز شهادتك .

قال : حدثنا أبو بكر بن عبيد ، عن عبد الحميد بن حريث . أن رجلاً قال له : يا أمير المؤمنين ! هذا رجل يسبك فأعرض عنه . ثم قال الثانية ، فأعرض عنه . ثم قال الثالثة . فقال عمر : يستدرجه من حيث لا يعلم .

قال : حدثنا سهل بن محمود ، عن حرملة بنت عبد العزيز ، عن أبيها ، عن رجل من حبيشة ، قال : لقينا عمر بن عبد العزيز يسير على راحلته ، وهو يقرأ أمام ركائبه ، إذا غشيت راحلته رجلاً يمشى على الطريق .

فقال : أبصر ! لا أبصرت . فلما مر الموكب .... [1] . هل من رجل يحمل عقبه ؟ فقال عمر لغلامه : تخلفْ ! فاحملْ هذا إلى الماء .

إنما سألنى : أمجنون أنت ؟ فقلت : لا .

قال سهل ، وحدثنا عمر بن حفص ، قال : حدثنا شيخ قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز خرج ليلة ومعه حرسى ، فدخل المسجد ، فمر فى الظلمة برجل نائم ، فعثر به ، فرفع رأسه إليه فقال : أمجنون أنت ؟

قال : لا . فهم به الحرسى ، فقال له عمر : مه ! إنما سألنى أمجنون أنت ؟ فقلت : لا .

قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن على بن زيد ، قال : أسمع رجلٌ عمر بن عبد العزيز كلاماً فقال: له عمر بن عبد العزيز : أردت أن يستفزنى الشيطان بعز السلطان ، فأنال منك اليوم ما تنال منى غداً ! ثم عفا عنه .

---

(١) بياض فى الأصول .

الباب الثامن والعشرون
في ذكر تعبده واجتهاده

كيف كان عمر يقضي ليله ؟

قال : حدثنا ضمرة ، عن سعيد بن عبد الملك قال : بتُّ عند أختي فاطمة ، امرأة عمر عبد العزيز ، فلما أمسينا دخل البيت ، وفى البيت تابوت ، قال : ففتحه فأخرج ثوبي شعر ووضع ثيابه ، ثم لبسها ثم قام يصلي .

قال : حدثنا الوليد بن صالح ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز سفط ، فيه دراعة من شعر وغل ، وكان له بيت في جوف بيت يصلي فيه لا يدخل فيه أحد . فإذا كان في آخر الليل فتح ذلك السفط ، ولبس تلك الدراعة ، ووضع تلك الغل في عنقه فلا يزال يناجي ربه ويبكي حتى يطلع الفجر ، ثم يعيده في السفط .

قال : حدثنا عمر بن صالح الأزدى قال : سمعت شيخاً من أهل الشام قال : لما مات عمر بن عبد العزيز كان استودع مولى له سفطاً يكون عنده . فجاءوه فقالوا : السفط الذى كان استودعك عمر .

فقال : ما لكم فيه خير . فأبوا ، حتى رفعوا ذلك إلى يزيد بن عبد الملك ، فدعا بالسفط ودعا بنى أمية وقال : حبركم هذا قد وجدنا له سفطاً وديعة قد استودعها . فدعا به ، فجاءوا به ففتحوه ، فإذا فيه مقطعات من مسح كان يلبسها بالليل .

قال : حدثنا عبد الله بن عمر ، عن أبيه قال : أوصى عمر بن عبد العزيز بصندوق مقفل أن يطرح في البحر . فقيل لزوجته : أى شيء كان فيه ؟ قالت : جامعة وأطمار كان طرح نفسه فيها في الليل .

قال : حدثنا ضمرة ، عن الأوزاعى ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز خوخة ، مما يلى المغرب ، فكان إذا أبطأ عليه المؤذن للمغرب ، بعث إليه أن : أذن ، فقد حضر الوقت .

قال : حدثنا وكيع ، عن صالح بن سعيد [1] المؤذن ، قال : بينا أنا وعمر بن عبد العزيز بالسويداء ، فأذنت بالعشاء الآخرة ، فصلى ثم دخل القصر ، فقلما لبث أن خرج ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم جلس فاحتبى ، فافتتح الأنفال ، فما زال يرددها ويقرأ ، كلما مر بتخوف تضرع ، وكلما مر بآية رحمة دعا ، حتى أذنت الفجر .

قال : حدثنا حماد بن يزيد قال : أخبرنا يحيى أن عمر بن عبد العزيز كان يصوم الإثنين والخميس .

قال : محمد بن سعد : وأخبرنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : كان عمر بن عبد العزيز يسمر بعد العشاء الآخرة ، قبل أن يوتر ، فإذا أوتر لم يكلم أحداً .

قال : حدثنا إسماعيل ، عن عمر بن مهاجر ، عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يصوم الإثنين والخميس ، والعشر وعاشوراء ، وعرفة .

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يدع النظر في المصحف كل يوم ، ولكنه لا يكثر .

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : رأيت عمر بن عبد العزيز إذا صلى المكتوبة انصرف إلى أهله ، ولا يتطوع .

قلما يدع يوماً يقرأ في المصحف فلا يطيل :

قال حدثنا سعيد بن عامر ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، قال : كان عمر بن عبد العزيز قلما يدع يوماً يقرأ في المصحف بالغداة ، فلا يطيل .

قال : حوسرة : لا أدري من حدث عن إسماعيل وغيره ، قال : قال لمزاحم : أبغني رجلا لمصحفي ، فأتاه رجل فأعجبه ، فقال : من أين أصبت هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! دخلت بعض الخزائن ، فأصبت هذه الخشبة ، فاتخذت منها رجلا . قال : ويحك ! انطلق فأقمه في السوق . قال : وجاء به قد قوم نصف دينار . فقال : يا أمير المؤمنين ! قد قومته بنصف دينار . قال : نرى أن تضع في بيت المال ديناراً لنسلم منه . قال مزاحم : إنما قوموه نصف دينار . قال : ضع في بيت المال دينارين .

(١) في المختصر «سعد» .

الجزء السابع :

الباب التاسع والعشرون
(فى ذكر بكائه وحزنه)

قال : حدثنا سعيد عن قتادة ، قال : دخل على عمر بن عبد العزيز رجل يقال له : ابن الأهتم ، فلم يزل يعظه وعمر يبكى حتى سقط مغشيا عليه .

قال أخبرنى رجل من بنى ضبة قال : شهدت رجلا يقرأ عند عمر بن عبد العزيز ، فلما انتهى إلى هذه الآية : ﴿ فَمَنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ (1). بكى عمر حتى اشتد بكاؤه ، ثم ازداد بكاء ، فلم يزل يبكى حتى غشى عليه .

قال حدثنا محمد بن أبى حميد ، عن إبراهيم بن عبيد بن رفاعة ، قال : شهدت عمر بن عبد العزيز ، ومحمد بن قيس يحدثه ، فرأيت عمر يبكى حتى اختلفت أضلاعه .

قال : حدثنى عبد السلام ، مولى مسلمة بن عبد الملك .

قال : بكى عمر بن عبد العزيز ، فبكت فاطمة ، فبكى أهل الدار ، لا يدرى هؤلاء ما أبكى هؤلاء ! فلما تجلى عنهم العسر قالت له فاطمة : بأبى أنت ، يا أمير المؤمنين ، م بكيت ؟

قال : ذكرت يا فاطمة انصراف القوم بين يدى الله ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير قال ثم صرخ وغشى عليه ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد عن سفيان ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يوما ساكتا ، وأصحابه يتحدثون .

فقال له : ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين ؟ قال : كنت مفكراً فى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها ! وفى أهل النار كيف يصطرخون فيها !ثم بكى كأن عليه بث هذه الأمة .

قال حدثنا النضر بن عدى قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فرأيته هكذا قد نصب ركبتيه ، ووضع يده عليها ، وذقنه على ركبتيه ، كأن عليه بث هذه الأمة .

(1) سورة الطور ، آية : ٢٧ .

ثم بكي حتى جعلت أرثى له :

قال حدثنا زياد بن أبي زياد المدني قال : أرسلني مولاى ، ابن عياش بن أبى ربيعة ، إلى عمر بن عبد العزيز فى حوائج له ،فقال : فدخلت عليه ، وعنده كاتب له يكتب ، فقلت : السلام عليكم !فقال : وعليكم السلام ، ثم انتهيت فقلت : السلام عليك يا أمير المومنين ، ورحمة الله ، فقال يا بن أبى زياد ! إنّا لسينا ننكر عليك الأول الذى قلت -والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة - فقال لى اجلس فجلست على أسكفة الباب ، وهو يقرأ عليه ، وعمر يتنفس الصعداء ، فلما أخرج من كان فى البيت ، حتى انصرف من كان فيه، ثم قام يمشى إلى حتى جلس بين يدى ، ووضع يديه على ركبتيى ، ثم قال : يا بن زبى زياد استدفأت بمذرعتك ، وعلى مذرعة من صوف ،واسترحت بما نحن فيه . قال : فما ترك منهم أحدا إلاسألنى عنه ،وسألنى عن أمور كان أمر بها بالمدينة ، فأخبرته .ثم قال :يابن زياد ألا ترى ما وقعت فيه ؟ قالت :يا أمير المؤمنين ! إنى لأرجو لك خيرا.وقلت أيضاً : يا أمير المؤمنين ! بعض ما تصنع ،فإنى لأرجو لك خيراً. قال هيهات هيهات: أشتم ولاأشتم وأضرب ولا أُضرب ، وأوذى ولا أوذى . قال : ثم بكى حتى جعلت أرثى له . قال : وأقمت حتى قضى حوائجى ، وكتب إلى مولاى يسأله أن يبيعنى منه . ثم أخرج من تحت فراشه عشرين ديناراً فقال : استعن بهذه ، فإنه لو كان لك فى الفيء حق أعطيناك حقك ، ولكنك عبد . قال : فأبيت أن آخذها ، فقال : إنما هى من نفقتى . فلم يزل بى حتى أخذتها ، وكتب إلى مولاى يبيعنى منه فأبى وأعتقنى .

قال : حدثنا خالد بن صفوان ، عن ميمون بن مهران ، قال : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور ، بكى ثم أقبل على فقال : يا أبا أيوب ، هذه قبور آبائى بني أمية، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذتهم وعيشتهم . أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات ؟ واستحكم فيهم البلى ؟ وأصابت الهوام فى أبدانهم مقيلا ؟ قال : ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق ، فقال : انطلق بنا ، فوالله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله .

قال : حدثنا فياض بن محمد ، عن عطاء ، قال: كان عمر بن عبد العزيز يجمع كل

ليلية الفقهاء يتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ، ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

قال : حدثنا عبد الله بن الزبير قال : سمعت القداح يذكر عمر بن عبد العزيز كان إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير ، وبكى حتى تجرى دموعه على لحيته .

قال : حدثنا سعيد قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كان إذا ذكر (الموت) اضطربت أوصاله .

حدثوها أن الفرح أمامها :

قال : حدثنا الحسن بن عميرة قال : اشترى عمر بن عبد العزيز جارية أعجمية ، فقالت : أرى الناس فرحين ، ولا أرى هذا يفرح . فقال : ما تقول لكع فقيل له : إنها تقول كذا وكذا . فقال : ويحها ! حدّثوها أن الفرح أمامها .

ما رأيته بعد ذلك متبسما حتى مات :

قال : حدثنى إبراهيم بن مهدى قال : سمعت أخاً لشعيب بن صفوان يذكر عن بعض المشيخة ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز قال : استيقظ ذات ليلة باكيا ، فلم يزل يبكى حتى استيقظت . قال : وكنت أبيت معه ، وربما منعنى النوم كثرة بكائه . قال : فأكثر ليلتذ البكاء جداً . فلما أصبح دعانى فقال : أى بنى : ليس الخير أن يسمع لك ويطاع ، إنما الخير أن تكون قد عقلت عن ربك ثم أطعته . يا بنى ! لا تأذن اليوم لأحد علىّ حتى أصبح ويرتفع النهار ، فإنى أخاف أن لا أعقل عن الناس ولا يفهمون عنى قلت : بأبى أنت ، يا أمير المؤمنين ؟رأيتك الليلة بكيت بكاء ما رأيتك بكيت مثله . قال: فبكى ثم بكى ، ثم قال : يا بنى !إنى والله ذكرت الوقوف بين يدى الله . قال : ثم أغمى عليه فلم يفق حتى علا النهار . قال : فما رأيته بعد ذلك مبتسماً حتى مات .

قال محمد بن الحسين : قال حدثنى من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المؤمنين ، وقرأ عنده رجل : ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً﴾[1] فبكى عمر حتى غلبه البكاء ، وعلا نشيجه ، فقام من مجلسه ، فدخل بيته وتفرق الناس .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ١٣

ما رأيت أحداً من خلق الله أكثر بكاء منه :

قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة أن عمر بن عبد العزيز قال لابنه : اقـرأ . قال: ما أقرأ ؟ قال اقرأ سورة ق . فقرأ حتى إذا بلغ : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ (١) بكى ثم قال : اقرأ ؟ اقرأ يا بنى ! قال : ما أقرأ ؟قال : اقرأسورة ق ، فقرأ حتى إذا بلغ ذكر الموت ، بكي أيضاً بكاء شديداً ، يفعل ذلك مراراً.

قال : حدثنا أبو مودود قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم ﴿ **وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه** ﴾ (٢) . فبكى بكاء شديدا حتى سمعه أهل الدار ، فجاء ت فاطمة ، فجلست تبكى لبكائه ، وبكى أهل الدار لبكائهما . فجاء عبد الملك ، فدخل عليهم وهم على تلك الحال يبكون ، فقال : يا أبة ! ما يبكيك ؟ قال : خير يا بنى ، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه ، والله ، يا بنى ، لقد خشيت أن أهلك . والله ، يا بنى لقد خشيت أن أكون من أهل النار .

قال : حدثنا الفضيل بن موسى ، عن مقاتل بن حبان ، قال : صليت خلف عمر بن عبد العزيز فقرأ : ﴿ **وقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾ (٣) فجعل يكررها لا يستطيع أن يجاوزها ـ يعنى من البكاء .

قال عبد الأعلى بن عبد الله الغزى (٤) قال : رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم جمعة في ثياب دسمة ، ووراءه حبشي يمشي . فلما انتهى إلى الناس ، رجع الحبشي ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين : قال : هكذا رحمكما الله . حتى صعد المنبر ، فخطب فقرأ : ﴿ **إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت** ـ حتى إذا إنتهى إلى ـ **وإذا الجحيم سعرت * وإذا الجنة أزلفت** ﴾ (٥) . فبكى وأبكى أهل المسجد ، حتى ارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت حيطان المسجد تبكى معه . قال : حدثنى شيخ من مكة قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يبكى على المنبر ، ما يستطيع أن يتكلم من شدة البكاء . قال : حدثنا أبو معشر عن محمد بن قيس ، قال : سلم عمر بن عبد العزيز يوماً من الظهر ، ثم قال : يا أبا إبراهيم ذكرّنا الجنة والنار . قال : ذكرت ، فما رأيت أحداً من خلق الله أكثر بكاء منه .

---

(١) سورة ق ، آية : ١٩ . (٢) سورة يونس . آية : ٦١. (٣) سورة الصافات ، آية : ٢٤ .
(٤) فى المختصر : « العترى » (٥) سورة التكوير . الآيات: ١-١٣ .

قال أخبرني شيخ من أهل خراسان قال : لما أراد أبو جعفر بيت المقدس ، نزل براهب كان ينزل به عمر بن عبد العزيز إذا أراد بيت المقدس . فقال : يا راهب ! أخبرني بأعجب شيء رأيت من عمر بن عبد العزيز . قال :نعم يا أمير المؤمنين ، بينما عمر عندي ذات ليلة على سطح غرفتي هذه ـ وهو من رخام ـ وأنا مستلق على قفاي ، فإذا أنا بماء يقطر من الميزاب على صدري . فقلت : والله ، ما عندي ماء ، ولا رشت السماء مطراً . فصعدت ، فإذا هو ساجد ، وإذا دموع عينيه تنحدر من الميزاب . قال : حدثنا أصحابنا الحجيون قال : لما رفع عمر بن عبد العزيز رأسه من السجود ، خلف المقام ، نظروا إلى موضع سجوده مبتلاً من دموعه . قال حدثنا أبو المليح ، عن ميمون بن مهران ، قال: قرأ عمر بن عبد العزيز ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ [1] فبكى ثم قال : ﴿ **حتىّ زرتم المقابر** ﴾ [2] ما أرى المقابر إلا زيارة ، ولا بد لمن زار أن يرجع إلى الجنة أو إلى النار .

قال : حدثنا صبيح بن بزيع ، عن الأوزاعي ، عن ميمون بن مهران ، قال : حدثت عمر بن عبد العزيز بحديث فيه شدة فلم يزل يبكي حتى بكى الدم .

قال : حدثنا الوليد قال : سمعت رجلا يحدث الأوزاعي عن جسر ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : ذكرنا شيئاً مما كان فيه ، فبكى حتى رأينا خلل الدم في الدمع . فقال الأوزاعي : قد بلغنا البكاء عن البكّائين ، عن داود عليه السلام ، فمن دونه ، ما بلغنا أن أحداً صار (إلى) هذا غير عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله .

قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن منْ سمع حسن بن الحسين ، يقول : رأيت عمر بن عبد العزيز بكى ، حتى رأيته بكى الدم .

قال : حدثنا ابن ميمون بن مهران ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : حدث يا ميمون ! قال : فحدثته حديثاً بكى منه بكاء شديداً .

فقال : يا أمير المؤمنين ! لو علمتُ أنك تبكي هذا البكاء ، لحدثتك بحديث ألْين من هذا . فقال : يا ميمون ! إنا بأكل هذه الشجرة العدس ، وهي ، ما علمت ، مُرقة للقلب ، مُغزرة للدمعة ، مذلّة للجسد .

---

(١) سورة التكاثر . آية : ١ . (٢) سورة التكاثر . آية : ٢ .

إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم :

قال ميمون : ودعاني عمر فقال : إني أوصيك بوصية فاحفظها : إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم ، وإن حدّثتك نفسك أن تعلمها القرآن !.

قال : حدثنا جعفر بن سيدان الأزدى ، عن أبي عبد الله الحرشى ، قال : سمعت بعض العلماء ، ممن قدم على عمر بن عبد العزيز ، يقول : الصامت على علم ، كالمتكلم على علم . فقال عمر : إنى لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضلهما يوم القيامة حالا ، وذلك لأن منفعته للناس ، وهذا صمته لنفسه . فقال : يا أمير المؤمنين ! وكيف بفتنة المنطق ؟ فبكى عمر بن عبد العزيز بكاء شديداً .

الباب الثلاثون
(في ذكر خوفه من الله تعالى)

نغّص علينا أمير المؤمنين الحياة منذ ولى، فليته لم يل:

قال : حدثنا عمرو بن جرير قال : حدثني أبو سريع الشامي قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه : أبا فلان ! لقد أرقت الليلة مفكراً . قال : فيم يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وساكنه إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة - أو قال : ثالثة - في قبره ، لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك بناحيته . ولرأيت بيتا يجول فيه الهوام ، ويجرى فيه الصديد ، وتخترقه الديدان ، مع تغير الريح ، وبلى الأكفان ، بعد حسن الهيئة وطيب الريح ، ونقاء الثوب . قال : ثم شهق شهقة خر مغشياًعليه فقالت فاطمة : ويحك يا مزاحم أخرج هذا الرجل عنا ، فلقد نغص على أمير المؤمنين الحياة منذ ولى ، فليته لم يلِ قال فخرج الرجل ، وجاءت فاطمة ، فجعلت تصب على وجهه الماء وتبكى ، حتى

أفاق من غشيته ، فرآها تبكى ! فقال : يا فاطمة ما يبكيك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ! رأيت مصرعك بين أيدينا ، فذكرت مصرعك بين يدى الله وللموت ، وتخليك من الدنيا ، وفراقك لها ، فذاك الذى أبكانى .قال : حسبك يا فاطمة ! فلقد أبلغت . ثم مال ليسقط ، فضمّته إلى صدرها ـ أو قال إلى نفسها ـ فقالت : بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك بكل ما نجد لك فى قلوبنا . فلم يزل على حاله تلك حتى حضرت الصلاة ، فصبت على وجهه ماء ثم نادته : الصلاة يا أمير المؤمنين ! فأفاق فزِعاً.

قال : حدثنا المغيرة بن حكيم قال : قالت لى فاطمة بنت عبد الملك .امرأة عمر بن عبد العزيز : يا مغيرة ! إنّه قد يكون فى الناس من هو أكثر صلاة وصياماً من عمر ، وما رأيت أحداً قط ، كان أشد فرقاً من ربه من عمر ، كان إذا صلى العشاء قعد فى مسجده ، ثم رفع يديه ، فلم يزل يبكى حتى تغلبه عيناه ، ثم ينتبه ، فلا يزال يبكى حتى تغلبه عيناه .

قال : حدثنا المغيره بن حكيم قال : قالت لى فاطمة بنت عبد الملك : يا مغيرة !قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصياما من عمر بن عبد العزيز ، ولكن ، لم أر رجلا من الناس كان أشد فرقاً [1]من ربه من عمر بن عبد العزيز (كان إذا دخل بيته ألقى نفسه فى مسجده ، فلا يزال يبكى ويدعو ،حتى) تغلبه عيناه ،فيسقط ،فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع .

قد أخبرتك فاتعظى الآن أو دعى :

قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الله القرشى ، عن عطاء ، قال: دخلت على فاطمة بنت عبد الملك ، بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، فقلت لها : يا بنت عبد الملك ! أخبرينى عن أمير المؤمنين . قالت : أفعل ، ولو كان حياً ما فعلت ، إن عمر ، رحمه الله ، كان قد فرغ نفسه وبدنه للناس ، كان يقعد لهم يومه ، فإن أمسى عليه بقية من حوائج الناس يومه ، وصله بليلته إلى أن أمسى مساء ، وقد فرغ من حوائج يومه ، فدعا بسراجه الذى كان يسرج له من ماله ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم أقعى واضعا رأسه على يده ، تسيل دموعه على خده ، يشهق الشهقة ، وأقول : قد خرجت نفسه ، أو انصدعت كبده

(١) فرقاً : فزعا وخوفاً .   (٢) أقعى : الرجل فى جلوسه : تساند إلى ما وراءه .

فلم يزل ليلته حتى برق له الصبح ، ثم أصبح صائما ، قالت : فدنوت منه فقلت : يا أمير المؤمنين السى[1] ما كان فيك الليلة ، ما كان منك ، قال :، أجل ، فدعينى وشأنى ، وعليك بشأنك ، قالت : قلت له : لأنى لأرجو أن أتعظ ، قال : إذن أخبرك ، إنى نظرت إلىَّ ، فوجدتنى قد وليت أمر هذه الأمة : صغيرها وكبيرها ، وأسودها وأحمرها ، ثم ذكرت الغريب الضائع ، والفقير المحتاج ، والأسير المفقود ، وأشباههم ، فى أقاصى البلاد وأطراف الأرض ، فعلمت أن الله سائلى عنهم ، وأن محمدا ﷺ حجيجى فيهم ، فخفت أن لا يثبت لى عند الله عذر ، ولا يقوم لى مع رسول الله ﷺ حجة ، فخفت على نفسى خوفاً دمعت له عينى ، ووجل له قلبى ، وأنا كلما ازددت لها ذكراً ، ازددت منه وجلاً ، وقد أخبرتك ، فاتعظى الآن أو دعى .

قال حدثنى محمد بن أيوب الشامى قال : حدثنى مولى لنا فقال : بكت فاطمة بنت عبد الملك حتى عشى بصرها ، فدخل عليها أخواها : مسلمة وهشام ابنا عبد الملك ، فقالا : ما هذا الأمر الذى قدمت عليه ؟ أجزعُك على بعلك ؟ فأحق من جزع على مثله ، أم على شىء فاتك من الدنيا ؟ فها نحن بين يديك ، وأموالنا وأهلونا . فقالت : ما من كل جزعت ، ولا على واحدة منها أسفت ولكنى والله ،رأيت منه ليلة منظراً ، فعلمت أن الذى أخرجه إلى ذلك ، الذى رأيت منه هول عظيم ، قد أسكن قلبه معرفته . قالا : وما رأيت منه ؟ قالت : رأيته ذات ليلة قائما يصلى ، فأتى على هذه الآية : ﴿ **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ٭وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾[2] فصاح : «واسوء صباحاه » ! ثم وثب ، فسقط، فجعل يخور حتى ظننت أن نفسه ستخرج ، ثم إنه هدأ ، فظننت أنه قد قضى . ثم أفاق إفاقة، فنادى : « يا سوء صباحاه » ! ثم وثب ، فجعل يجول فى الدار ، ويقول : « ويلى من يوم يكون فيه الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » . قالت : فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ، ثم سقط كأنه ميت ، حتى أتاه الأذان للصلاة ، فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلاّ غلبتنى عيناى ، فلم أملك رد عبرتى .

قال : حدثنا عبد الرحمن ، عن مالك ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لما خرج من

---

(١) اللسا: الكثير. (٢) سورة القارعة : الآيتان : ٤ـ ٥ .

المدينة : يا مزاحم ! نخشى أن نكون ممن نفت المدينة . قال الشيخ أبو الفرج المصنف : إنما أشار إلى قول النبى ﷺ ، فى صفة المدينة : « تنفى خبثها » .

كان يكثر أن يقول : « اللهم سلم سلم » :

قال : حدثنا عباس بن عقبة قال : بلغنى أن عمر بن عبد العزيز كان يكثر أن يقول : « اللهم سلم سلم » . قال : حدثنا عبد الله بن الوليد بن أبى السائب قال : سمعت أبى يقول : ما رأيت أحداً قط كان الخوف على وجهه أبين منه على عمر بن عبد العزيز . قال : حدثنا سليمان بن بشير ، عن مسافع بن شيبة ، أنه أتى عمر بن عبد العزيز ، ومعه ابن له فقال له : أما ابنك فأنزله دار الضيفان ، وأما أنت فانزل معى فى البيت . وكانت امرأة عمر بن عبد العزيز ذات قرابة له . فصلى عمر المغرب بالناس ثم دخل البيت ، فدخل إلى مسجده فى البيت ، فجعل يصلى ، فأطال الصلاة ، وجعل يبكى . فقالت له امرأته : يا أمير المؤمنين ! انصرف فعش ضيفك ثم شأنك بعد . فانصرف ، فأقبل كأنه يعتذر ، فقال : يا مسافع ! كيف يشبع رجل من الطعام والشراب ، وليس أحد ، من المشرق والمغرب ، يظلم بظلامته إلاَّ كنت أنا صاحبه ؟ .

حسبى عمل يوم فى يومه ، فكيف بعمل يومين ؟

قال : حدثنى موسى بن على قال : سمعت حرى بن عبد العزيز يحدث عن أخيه ريان بن عبد العزيز قال : قلت لعمر بن عبد العزيز للذى رأيته فيه يا أمير المؤمنين ! لو تروحت وركبت . قال : كيف لى بعمل ذلك اليوم ؟ قلت : يكون فى اليوم الذى يليه . قال : حسبى عمل يوم فى يومه ، فكيف بعمل يومين فى يوم ؟ قال : قلت له : قد كان سليمان بن عبد الملك يركب ويتروح ، وهو فى ذلك مجزى . فقال عمر : ولا يوم واحد فى الدنيا يجزيه.

قال : حدثنا سلام بن أبى مطيع قال : نبئت أن عمر بن عبد العزيز لما قام ، هاجت ريح فدخل عليه رجل ، فإذا هو ممتقع اللون . فقال :

يا أمير المؤمنين ! ما لك ؟ قال : ويحك ! وهل هلكت أمة قط إلا بالريح ؟!.

قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عتبة بن تميم ، وغيره ، أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : وايم الله ! لو أعلم أنه يسوغ لى ، فيما بينى وبين الله ، أن أخليكم وأمركم هذا وألحق بأهلى ، لفعلت . ولكنى أخاف أن لا يسوغ ذلك لى ، فيما بينى وبين الله .

قال حدثنا مقاتل بن حيان ، قال: صليت خلف عمر بن عبد العزيز ، فقرأ: ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ [1] . فجعل يكررها حتى لا يستطيع أن يجاوزها .

قال : حدثنا محمد بن سعيد قال يزيد بن حوشب : ما رأيت أخوف من الحسن وعمر ابن عبد العزيز ، كأن النار لم تخلق إلا لهما .

قال : حدثنا سعيد ، وحدثنا أشعث ، عن أرطأة بن المنذر ، قال : كان عند عمر بن عبد العزيز نفر يسألونه أن يتحفظ فى طعامه ، ويسألونه أن يتنحى عن الطاعون ، ويخبرونه أن الخلفاء قبله قد كانوا يفعلون ذلك. فلما أكثروا عليه قال : اللهم ! إن كنت تعلم أنى أخاف يوماً دون يوم القيامة ، فلا تؤمن خوفى .

إن لى عقلاً أخاف أن يعذبنى الله عليه :

قال : حدثنا أرطأة قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : لو جعلت على طعامك أميناً ، لا تُغتال ، وحرساً إذا صليت ، لا تُغتال ، وتنح عن الطاعون ، قال : اللهم ! إن كنت تعلم أنى أخاف يوماً دون يوم القيامة ، فلا تؤمن خوفى .

قال : حدثنا صالح بن داود قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجاء : يا رجاء ! إن لى عقلاً أخاف أن يعذبنى الله عليه .

قال : حدثنا مردويه الصائغ قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : بكى عمر بن عبد العزيز يوماً ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : قال : تلومنى أن أبكى ؟ ولو أن سخلة هلكت على شاطئ الفرات ، لأُخِذَ بها عمر يوم القيامة .

قال : حدثنا الغلابى قال : حدثنى رجل ، أن عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ،

---

(١) سورة الصافات آية : ٢٤

قرأ عنده قارئ مرة ، فقال له مسلمة : لحنت [1] . فقال له عمر : ما شغلك معناها عن لحنه

قال : حدثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق قال : سمعت أبي قال : قرأ رجل عند عمر بن عبد العزيز سورة ، وعنده رهط قال بعض القوم : لحن . فقال له عمر : أما كان فيما سمعت ما يشغلك عن اللحن ؟

قال : حدثنا النضر بن عدى قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وكان لا يبكى ، إنما هو منقبض ، وكأن عليه حزن الخلق .

قال : حدثنا الحميدى ، عن سفيان ، قال : سمع عمر بن عبد العزيز رجلا يقول : عَدلَ ، والله عمر بن عبد العزيز فى الأمة . قال : فبكى عمر ، وقال : وددت ، والله ، أنه كما قلت ومن لعمر بالذى قلت ؟ رحمك الله ! .

قال : أخبرنى أشهب قال : قال مالك : دخل عمر بن عبد العزيزعلى فاطمة امرأته ، فطرح عليها خلق ساج عليه ، ثم ضرب على فخذها ، فقال : يا فاطمة ! لنحنُ ليالى دابق أنعم منا اليوم ، فذكرها ما كانت نسيته من عيشها ، فضربت يده ضربة فيها عنف ، فنحّتها عنها ، وقالت : لعمرى لأنت اليوم أقدر منك يومئذ ، فقام وهو يقول بصوت حزين : يا فاطمة ! إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ، فبكت فاطمة ، وقالت : اللهم ! أعذه من النار .

قال : حدثنا سعيد بن عمر : أن عمر بن عبد العزيز كان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله .

ادع لى بالموت :

قال : حدثنا عبد الله بن عثمان قال : قال عبد الله ـ يعنى ـ ابن المبارك ـ قال عمر بن عبد العزيز : إنى نظرت فى أمرى وأمر الناس ، فلم أرَ شيئا خيراً من الموت . قال عبد الله : يعنى لفساد الناس وما داخلهم . فقال لقاصّه محمد بن قيس : ادع لى بالموت ، قال : فأبيت ، وأبى علىّ . قال : فدعوت له ، وعمر رافع يديه يؤمّن على دعائى وهو يبكى ،

---

(١) لحن : أخطأ فى القراءة .

قال : وحضر ابن له صغير ، فلما رأى عمر يبكى بكى ، فقال عمر : وهذا معنا . قال : فدعوت بذلك أيضاً ، قال : يقول محمد بن قيس : واستحييت ، فدعوت لنفسى أيضاً معهم ، قال : فعرف الله الصدق من عمر ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات ، ومات ابنه كذلك ، وبقى محمد بن قيس بعدُ .

الباب الحادى والثلاثون
(فى ذكر مناجاته ودعائه)

رحمتك وسعت كل شىء وأنا شىء :

قال : حدثنا غالب القطان قال : قال عمر بن عبد العزيز : « اللهم ! إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك ، فإن رحمتك أهل أن تبلغنى ، فإن رحمتك وسعت كل شىء ، وأنا شىء ، فلتسعنى رحمتك ، يا أرحم الراحمين . اللهم ؟ إنك خلقت قوماً فأطاعوك فيما أمرتهم به ، وعملوا فى الذى خلقتهم له ، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك ، يا أرحم الراحمين ! » .

. قال : .... [1] حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن جده ، أنه ، كان يقول : « اللهم إن رجالاً أطاعوك فيما أمرتهم ، وانتهوا عما نهيتهم ، اللهم ! وإنّ توفيقك إياهم كان قبل طاعتهم إياك . فوفقنى » .

قال : حدثنا عبيد الله بن عبد الملك قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : « اللهم ! أصلح من كان فى صلاحه صلاح أمة محمد . اللهم ! أهلك من كان فى هلاكه صلاح أمة محمد » .

قال : وأخبرنى من رأى عمر بن عبد العزيز واقفاً بعرفة ، وهو يدعو ويقول ، بأصبعه هكذا - يعنى يشير بها - ويقول : « اللهم ! زد محسن أمة محمد إحساناً ، وارجعْ مسيئهم

---

(١) بياض فى الأصل .

إلى التوبة » . ثم يقول هكذا ، ثم يشير بأصبعه : « اللهم ! وحطّ من أوزارهم برحمتك » .

قال حدثنا عبد الوهاب قال : أخبرني رجل قال : حججت عاماً ، فلما كان عشية عرفة ، قلت : لأتفرغن اليوم ، فأستمع دعاء عمر بن عبد العزيز .

قال : فوالله ، ما كان له من الدعاء من حين وقف حتى دفع الناس ، إلا أن يقول : اللهم ! سلّم لى دينى ، ومُنّ عليّ بطاعتك ، ورضاك عنى ، وترك ما لا يعنينى » يرددها حتى غربت الشمس .

اللهم اغفر لى ما بينهما :

قال : حدثنى الزبير بن بكار قال : قال عمر بن عبد العزيز : « اللهم ! إنّى أطعتك فى أحب الأشياء إليك وهو التوحيد ، ولم أعصك فى أبغض الأشياء إليك ، وهو الكفر[1] فاغفر لى ما بينهما » .

قال : حدثنى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قال : ما قلب عمر بن عبد العزيز نظره إلى نعمة أنعم الله عز وجل بها عليه إلا قال : « اللهم ! إنّى أعوذ بك أن أبدّل نعمة الله كفراً ، أو أن أكفرها بعد معرفتها ، أو أن أنساها ، فلا أثنى عليك بها » .

قال : حدثنى مالك ، عن يحيى بن سعيد ، أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : لقد تركتنى هذه الدعوات ، وما لى فى شىء من هذه الأمور كلها أرب إلا فى مواقع قدر الله وكان كثير مما يدعو به : « اللهم ! رضنى بقضائك ، وبارك لى فى قدرك ، حتى لا أحب تعجيل شىء أخرته ، ولا تأخير شىء عجلته » .

قال : حدثنى عباس بن عقبة قال : بلغنى أن عمر بن عبد العزيز كان يكثر من أن يقول : « اللهم سلم سلم » .

الباب الثانى والثلاثون
(فى ذكر خطبه ومواعظه)

قال الشيخ الإمام جمال الدين ، أيده الله تعالى : قد ذكرنا شيئا من خطبه ومواعظه ، فى باب ولايته وغيرها مما لم يحسن فصله من الفصل الذى هو فيه ، ولم نر إعادته .

من صحبنا فليصحبنا بخمس :

قال : حدثنا محمد بن سلام ، عن سلام بن سليم ، قال : لما ولى عمر بن عبد العزيز ، صعد المنبر ، وكان أول خطبة خطبها ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا أيها الناس ! من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلا فلا يقربنا : يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدى إليه ، ولا يغتابنّ عندنا الرعية ، ولا يعترض فيما لا يعنيه » .

فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبت الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعلُه قولَه .

ليس بين الجنّة والنار منزلة :

قال :حدثنى أبو عبد الله الأزدى ، عن الحسن بن محمد الخزاعى ، عن رجل من ولد عثمان بن عفان ، أن عمر بن عبد العزيز قال فى بعض خطبه :

« إنّ لكل سفر زاداً لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله تعالى من ثوابه وعقابه ترغبون وترهبون ، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم ، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدرى ، لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسى بعد صباحه ، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا ، فكم رأينا ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً ، وإنما تقرُّ عينُ من وثق بالنجاة من عذاب الله ، وإنما يفرح من أمن من أهوال

يوم القيامة ، فأما من لا يبرأ من كَلمِ إلا أصابه جرح من ناحية أخرى ، أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسى عنه ، فتخسر صفقتى ، وتظهر عيلتى ، وتبدو مسكنتى ، فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر ، والموازين منصوبة ، لقد عُنيتم بأمر ، لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ، ولو عنيت به الأرض لتشققت ، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وإنكم صائرون إلى إحداهما » .

قال : حدثنا عمر بن محمد المكى قال : خطبنا فقال :

« إن الدنيا ليست بدار قرار ، دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها منها الظعن ، فكم عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا ، رحمكم الله منا الرحله بأحسن ما يحضر بكم من النقلة ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى . إنما الدنيا كفىء ظلال قلص فذهب . بينا ابن آدم فى الدنيا مُنافس ، وبها قرير العين ، إذا دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه إن الدنيا لا تُسِرُّ بقدر ما تضر ، إنها تسر قليلاً ، وتجر حزناً طويلاً » .

قال : حدثنى عمر بن الوليد قال : خرج عمر بن عبد العزيز يوم جمعة ، وهو ناحل الجسم ، فخطب كما كان يخطب ، ثم قال :

« أيها الناس ! من أحسن منكم فليحمد الله ، ومن أساء فليستغفر الله ، فإنه لا بد لأقوام أن يعملوا أعمالاً وضعها الله فى رقابهم ، وكتبها عليهم » .

قال : حدثنا : محمد بن زيد قال : قال وهيب : خطب عمر ذات يوم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« إن الله عز وجل ، لم يبعث نبياً بعد نبيه محمد ﷺ ، ولم ينزل كتاباً بعد كتابه الذى أنزله على نبيه محمد فهو الحق إلى يوم القيامة . ألا وإنى لست بمبتدع ولكنى متبع ، ألا وإنى لست بخيركم ولكنى أثقلكم حملا . ألا وإنّ السمع والطاعة واجبان على كل مسلم ما لم يؤمر بمعصية ، فلا طاعة للمخلوق بمعصية الخالق . ألا هل أسمعت » ؟ قالها (ثلاثاً) .

أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم :

قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن رجاء بن حيوة ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يخطب ، فيقول :

« أيها الناس ! من ألم بذنب فليستغفر الله ، عز وجل ، وليتب . فإن عاد فليستغفر وليتب . فإن عاد فليستغفر وليتب . فإنما هى خطايا مطوقة فى أعناق الرجال ، وإن الهلاك كل الهلاك ، الإصرار عليها » .

قال : حدثنا عبد الملك بن قريب الأصمعى ، عن عدى بن الفضل ، قال سمعت عمر ابن عبد العزيز يخطب ، فقال :

« أيها الناس ! اتقوا الله ، وأجملوا فى الطلب ، فإنه إن كان لأحدكم رزق فى رأس جبل أو حضيض أرض يأتيه » .

قال : حدثنا معتمر بن سليمان ، فسمعته يقول :

« ألا إن أفضل العبادة أداء الفرائض ، واجتناب المحارم » .

قال : حدثنا محمد بن عروة بن عنبسة ، وحدثنا سعيد بن عامر ، أن عنبسة بن سعيد قال لعمر بن عبد العزيز : إن الخلفاء قبلك كانوا يعطونا عطايا ، وإنّى لأراك طلقت هذا المال عن نفسك وأهلك ، وإن لنا عيلات ، فأذن لنا فلنرجع إلى ضياعنا وإلى عيالنا وأخذاننا . فقال : أما إنّ أحبكم إلىّ من فعل ذلك . فلما قفل دعاه عمر فقال : يا عنبسة ! أكثر ذكر الموت ، فإنه لا تكون فى ضيق من أمر معيشتك فتذكر الموت إلا وسَع ذلكَ عليك .

قال : حدثنا حماد بن يزيد عن محمد بن عمرو ، قال : قال عنبسة بن سعيد بن العاص : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما ودعته وانصرفت ، نادانى : يا عنبسة ! فأقبلت عليه ، فقال : أكثر من ذكر الموت ، فإنك لا تكون فى واسع من الأمر إلا ضيّقَ ، ولا فى ضيّق من الأمر إلا وسّع .

اغتنم الدمعة تسيلها على خدك :

قـال : حدثـنى إسحـاق بن منصـور ، عن أبى الجـودى ، قـال : قال لى عـمـر : يا أبا الجودى ! اغتنم الدمعة تسيلها على خدك لله .

قال : حدثنا مفضل بن يونس قال : قال عمر : لقد نغص هذا الموت على أهل الدنيا ما هم فيه من نضارة الدنيا وزهرتها ، فبينا هم كذلك ، وعلى ذلك ، إذا أتاهم حاد من الموت فاخترمـهم مما هم فيه ، فالويل والحرسة ، هنالك ، لمن لم يـحذر الموت وذكره في الرخاء ، فيقدم لنفسه خيراً يجده بعدمـا يفارق الدنيا وأهلها ، قال : ثم بكى عمر حتى غلبه البكاء ، فقام .

قال : حدثنا مرثد بن يزيد قـال : سمعت عمر يقول : قيـدوا نعمة الله بالشكر لله عز وجـل .

قال القرشى ، وحدثنا شريح بن يونس ، عن عمر بن عبد العزيز ذكر النعم شكر .

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى قال : حدثنى أبى ، عن جدى ، قال : حج سليمان بـن عبد الملك ومعه عـمر بن عبـد العزيز ، فلمـا أشرف عـلى عقبة عسفان ونظر سليمان إلى عسكره فأعجبه ما رأى مـن حجره وزبنيته ، فقال : كيف ترى ما ها هنا يا عـمر ؟ قـال : أرى ، يا أمـير المؤمنين ، دنيـا يأكل بعـضـها بعـضاً أنـت المسؤول عنهـا ، والمأخوذ بها ، فطار غراب من حـجرة سليمان ينعب ، فى منقاره كسرة ، فـقال سليمان : مـا ترى هذا الغـراب يقـول ؟ قـال : أظنه يقـول من أيـن دخلت هذه الكسـرة ؟ وكـيف خرجت ؟ قال : إنك لتجىء بالعجب ياعمر. فقال : إن أردت أن أخبرك بأعجب من هذا أخبرتك . قـال : فأخبرنى . قال : من عـرف الله فعصاه ، ومن عرف الشيطان فأطاعه ، ومن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها . قال سليمان : غششت علينا ما نحن فيه يا عمر وضرب دابته فسار ، فأقبل عمر حتى نزل عن دابته فأمسك برأسها ، وذلك أنه سبق ثقله ، فرأى الناس كل من قـدم شيئاً قدم عليه ، قال : فبكى عمـر ، فقال سليمـان : ما يبكيك ؟ قـال : هكذا يوم القيامة ، من قدّم شيئا قدم عليه ، ومن لم يقدّم شيئا قدم على غير شىء .

قال : حدثنا جـعفر بن حيان قـال : أرسلنى صـالح بـن عبد الرحمـن إلى سليمان بن

عبد الملك ، فقدمت عليه ، وعنده عمر بن عبد العزيز فقلت لعمر : هل لك حاجة إلى صالح ؟فقال : قل له : عليك بالذى يبقى لك عند الله ، فإن ما بقى عند الله يبقى عند الناس ، وكما لم يبق عند الله لم يبق عند الناس .

لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب :

قال : حدثنا شبابة ، عن خارجة بن مصعب ، عن محمد بن عمرو ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب .

قال عبد الله : حدثني ابن معاذ ، عن شيخ من قريش ، قال : قال عمر : يا معشر المستترين ! اعلموا أن عند الله مسألة فاضحة ، قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عما كانُوا يعْملونَ ﴾ (١) .

قال : حدثني بحدل الشامي ، عن أبيه ، وكان صاحباً لعمر بن عبد العزيز ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يتلو على المنبر هذه الآية ﴿ وَنَضَعُ المَوازينَ القِسطَ ليومِ القيامةِ ﴾ (٢) حتى ختمها ، فمال على أحد شقيه يريد أن يقع .

قال : حدثنا سلام بن مسكين قال : سمعت بعض أصحابنا : أن عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فقال :

« أيها الناس ! اتقوا الله ! فإن تقوى الله خلف من كل شىء ، وليس لتقوى الله خلف يا أيها الناس ! اتقوا الله ! وأطيعوا من أطاع الله ، عز وجل ، ولا تطيعوا من عصى الله عز وجل » .

وجدت هذا القلب لا يعبِّر عنه إلا اللسان :

قال موسى بن إسماعيل ، وحدثنا حازم قال : حدثني رجل قال : حدثني رجل ، يقال له زيد أنه سمع عمر يوم عيد ، وجاء راكباً ، فنزل فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم تلا ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل ، ثم قال : يا أيها الناس ! إنى وجدت هذا (القلب لا يعبِّر عنه إلا) اللسان ، ولعمرى - وإن لعمرى منّى لحقاً - لوددت أنه ليس من الناس

---

(١) سورة الحجر الآيتان : ٩٢، ٩٣ . (٢) سورة الأنبياء الآية : ٤٧ .

عبدٌ ابتلي بسعة إلا نظر قطيعاً من ماله يجعله في الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل بدأت أنا بنفسي وأهل بيتي ، ثم كان الناس بعد ، ثم كان آخر كلمة تكلم بها حين نزل : لولا سنّة أحييتها ، أو بدعة أمتّها ، لم أبالِ أن لا يبقى في الدنيا إلا فواقاً .

قال : حدثني منصور بن بشير ، عن شعيب بن صفوان ، عن عيسى ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى رجل : أما بعد ! فإني أوصيك بتقوى الله ، والاستمار بما استطعت من مالك ومما رزقك الله ، إلى دار قرارك ، فإنك والله لكأنك ذقت الموت ، وعاينت ما بعده بتصريف الليل والنهار ، فإنهما سريعان في طي الأجل ونقص العمر ، مستعدان لمن بقي بمثل الذي قد أصابه به من مضى ، فنستغفر الله أعمالنا ، ونعوذ بالله من مقته إيانا ، على ما نعظ به مما نقصر عنه .

قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي داود قال : قال عمر بن عبد العزيز : الكلام بذكر الله عز وجل حْين ، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة .

إن ابتلاك الله بفقر فتعفف :

قال : حدثنا إسماعيل بن ابراهيم بن أبي حبيبة ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض الأجناد : أما بعد ؛فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته ، فإن بتقوى الله نجاء أولياء الله من سخطه ، وبها تحق لهم ولايته ، وبها رافقوا أنبياءهم ، وبها نضرب وجوههم ، وبها نظروا إلى خالقهم ، وهي عصمة في الدنيا من الفتن ، والمخرج من كرب يوم القيامة ، ولن يقبلِ ممن بقي بمثل ما رضي به ممن مضى ، ولمن بقي عبرة فيمن مضى ، وسنه الله فيه واحدة فبادر بنفسك قبل أن تؤخذ بكظمك ، يخلص إليك كما يخلص إلى من كان قبلك ، فقد رأيت الناس كيف يموتون ، وكيف يتفرقون ، ورأيت الموت كيف يعجل التائب توبته ، وذا الأمل أمله ، وذا السلطان سلطانه ، وكفي بالموت موعظة بالغة ، وشاغلا عن الدنيا . ومرغباً في الآخرة ، فنعوذ بالله من شرة الموت وما بعده، ونسأل الله خيره وخير ما بعده . ولا تطلبن شيئاً من عرض الدنيا بقول ولا فعل تخاف أن يضر بآخرتك ،

ويزرى بدنياك ، ويمقتك عليه ربك . واعلم أن القدر سيجرى إليك برزقك ، ويوفيك أكلك من دنياك ، بغير مزيد فيه بحول منك ولا قوة ، ولا منقوصاً منه بضعف . إن ابتلاك الله بفقر فتعفف في فقرك ، واخبت لقضاء ربك ، واعتبر ما قسم الله من الإسلام ، بما زوى عنك من نعم الدنيا الفانية ، فإن فى الإسلام خلقاً من الذهب والفضة والدنيا الفانية. واعلم أنه ليس يضر عبداً صار إلى رضوان الله ، إلى الجنة ، ما أصابه فى الدنيا من فقر أو بلاء ، وإنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله ، وإلى النار ما أصاب فى الدنيا من نعمه أو رخاء . ما يجد أهل الجنة من مكروه أصابهم فى دنياهم ، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها فى دنياهم . كل شىء من ذلك كأن لم يكن . كل يوم تشيعون غادياً. ورائحاً قد قضى نحبه وقضى أجله ، وتغيبونه في صدع من الأرض ، تدعونه غير متوسد ولا متمهد ، فارق الأحبة وخلع الأسباب ، وسكن التراب، وواجه الحساب ، مرتهناً بعمله ، فقيراً إلى ما قدم غنياً عما ترك . فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء موالاته . وايم الله، إنى لأقول لكم هذة المقاله ، وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندى، وأستغفر الله وأتوب إليه .

ما هى تقوى الله؟

قال: أخبرنى عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمى أن عمر بن عبد العزيز كان يقول :ليس تقوى الله ،بصيام النهار ، وقيام الليل ،والتخليط فيما بين ذلك . ولكن تقوى الله . ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيراً ، فهو خير إلي خير.

قال القرشى : وحدثني محمد بن يزيد الآدمى ، قال : قال عمر بن عبد العزيز :معادن التقوي قلوب المؤمنين ، وخير معادنها أتقاها لله ، عز وجل ؛وأتقاها لله أحسنها عقلا .

قال القرشى : وحدثنى الحسن بن عبد الرحمن ، عن شيخ له ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : يا أيها الناس !اتقوا الله ، فإنه ليس من هالك إلا له خلف إلا التقوى ، واحذروا الموت ، فإنه أشد ما قبله وأهول ما بعده .

قال : حدثنا عثمان بن أبى عاتكة أن عمر بن عبد العزيز قال فى خطبته يوم الفطر : أتدرون ما مخرجكم هذا ؟صمتم ثلاثين يوماً ، وقمتم ثلاثين ليلة ، ثم خرجتم تسألون ربكم أن يتقبل منكم .

قال : حدثنا أبو معاوية، عن معروف ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وعليه ثوبان أخضران ، فذكر الموت ، فقال : غيظ ليس كالغيظ ، وكظ ليس كالكظ (1)

قال : حدثنا ناشر بن حازم ، عن أبى عمر ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من قرب الموت من قلبه ، استكثر ما فى يديه .

قال القرشى : وكتب إلى زبير بن أبى بكر يخبرنى ، عن ذؤيب بن عمامة السهمى ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، أن أباه كان يقول : إذا كنت من الدنيا فيما يسوؤك ، فاذكر الموت ، فإنه يسهله عليك .

ليس الثائر على الظالم عاصيا بل الإمام الظالم هو العاصى:

قال: حدثنا بشر بن عبد الله بن يسار السلمى قال : خطب عمر الناس فقال : أيها الناس لا يبعدن عليكم ، لا يطولن يوم القيامة ، فإن من وافته منيته ، فقد قامت قيامته ، لا يستطيع أن يزيد من حسن ، ولا يعتب من شىء. ألا لا سلامة لامرئ فى خلاف السنة ولا طاعة لمخلوق فى معصيه الله ، ألا وإنكم تسمون الهارب من ظلم إمامه .العاصى، إلا وإن أولاهما بالمعصية : الإمام الظالم .

قال:حدثنا أبى ، عن الحسن بن محمد الحضرمى ، قال خطب عمر بن عبد العزيز . فقال : أيها الناس ! إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به ، إنكم لحمقى ، وإن كنتم تكذبون به إنكم لهلكى : إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون . عباد الله ! إنكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص، ومن شرابكم شرق ، لا تصفو لكم نعمه تسرون

(1) فى اللسان مادة كظظ : وفى حديث الحسن : « أنه ذكر الموت فقال : غنظ ليس كالغنظ ، وكظ ليس كالكظ » . أى هم يملأ الجوف ليس كسائر الهموم ، ولكنه أشد . .

بها ، إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها ، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه . ثم غلبه البكاء فنزل .

وصايا عسكرية :

قال: حدثنا ابن المبارك ، عن رجل من قريش ، أن عمربن عبد العزيز عهد إلى بعض عماله : عليك بتقوي الله في كل حال تنزل بك ، فإن تقوي الله أفضل العدة ، وأبلغ المكيدة ، أقوى القوة؛ ولا تكن من شيء، من عداوة عدوك ، أشد احتراساً لنفسك ومن معك من معاصي الله ، فإن الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم ، وإنما نعادي عدونا ، ونستنصر عليهم بمعصيتهم ، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم ، لأن عددنا ليس كعددهم ، وقوتنا ليست كقوتهم وإلا ننصر عليهم بحقنا لا نغلبهم بقوتنا ، ولا تكونن لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم ، ولا أشد تعاهداً منكم لذنوبكم ، واعلموا أن عليكم ملائكة لله ، حفظة عليكم ، يعلمون ما تفعلون في مسيركم ومنازلكم فاستحيوا منهم وأحسنوا صحابتهم ولا تؤذوهم بمعاصي الله ، وسلوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه العون على عدوكم ، فنسأل الله ذلك لنا ولكم . وارفق بمن معك في مسيرهم ، ولا تجشمهم سيراً تتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، فإنكم تسيرون إلى عدو جام الأنفس والكراع ، فإلاّ ترفقوا بأنفسكم وكراعكم في مسيركم يكن لعدوكم فضل عليكم في القوة . أقم بمن معك في كل جمعة . يوماً وليلة ، ليكون لهم راحة يجمون بها أنفسهم وكراعهم . ولتكن عيونك من العرب ، وممن تطمئن إلى نصحه من أهل الأرض ، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدق في بعضه ، وإنّ الغاشّ عين عليك وليس بعين لك .

قال : حدثنا شعيب بن صفوان ، عن الفيض بن عبد الحميد ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من وعظ أخاه بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه ، فقد أحسن صلته ، وأدىٰ واجب حقه . فاتقوا الله ، فإنها نصيحة لكم في دينكم فاقبلوها ، وعظة منجية لكم من العواقب فالزموها ، فالرزق مقسوم ، فلن يعدو المرء ما قسم له ، فأجملوا في الطلب ،

---

(١) جام : كثير .

فإن في القنوع سعة وبلغة وكفاً عن كلفة لا يحل الموت في أعناقكم وجهنم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى كأن لم يكن ، وكل ما هو آت قريب . أوَما رأيتم حالات الميت ؟ وجهه مفقود ، وذكره منسي ، وبابه مهجور ، كأن لم يخالط إخوان الحفاظ ، ولم يعمر الديار ، واتقوا يوماً لا يخفى فيه مثقال ذرة في الموازين .

قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن زيد بن خنيس قال : سمعت أبي يتحدث عن عبد الوهاب بن الورد ، أخي وهيب بن الورد ، قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابنه ، وهو يعظه يا بني احذر الصرعة عن الغفلة ، حين لا تستجاب الدعوة ، ولا سبيل إلى الرجعة ، ولا تغترن بطول العافية ، فإنما هو أجل ليس دونه فناء ، ولا بعد أن تستكمله بقاء .

قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني قال : سمعت سفيان الثوري يقول : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الشام : من أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير، ومن علم أن كلامه من عمله ، أقلّ منه ، إلاّ فيما ينفعه ، والسلام .

قال : حدثنا عبد الله بن محمد ، عن الأوزاعي ، قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رسالة ، لم يحفظها غيري وغير مكحول : أما بعد ! فإن من أكثرذكر الموت ، رضي من الدنيا باليسير ، ومن عد كلامه من عمله ، قلّ كلامه إلا فيما ينفعه ، والسلام .

إنما خلقتم للأبد . ولكن من دار إلى دار تنقلون :

قال : حدثنا سفيان الثوري قال : قال عمر بن عبد العزيز : إنما خلقتم للأبد ، ولكن من دار إلى دار تنقلون.

قال : حدثنا الأشجعي ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، قال : قال عمر لرجل : أوصيك بتقوى الله ، فإنها ذخيرة الفائزين ، وحرز المؤمنين ، وإياك والدنيا أن تفتنك ، فإنها قد فعلت ذلك بمن كان قبلك ، إنها تغر المطمئن إليها ، وتفجع الواثق بها ، وتسلم الحريص عليها ، ولا تبقى لمن استبقاها ، ولا تدفع التلف عمن حولها ، لها مناظر بهجة، ما قدمت منها أمامها لم يسبقك ، وما أخرت منها خلفك لم يلحقك .

حبس الحق حتى يشترى . وبسط الظلم حتى يُفتدى :

قال : ... حدثنى أبي ، عن جدى ، أن عمر بن عبد العزيز قال : إنما هلك من كان قبلنا بحبسهم الحق حتى يُشترى منهم ، وبسطهم الظلم حتى يفتدى منهم .

قال : حدثنا عباد بن عباد ، عن محمد بن عمرو ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز على المنبر يقول : ما أعطى الله عبداً عطاء فأخذه منه فعاضه الصبر ، إلا كان أعطاه خيراً مما أُخذ منه .

الجزء الثامن

قال : حدثنا الحسن بن على الجعفى ، عن المهلب بن عقبة ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : إن من أحب الأمور إلى الله ، القصد فى الجدة ، والعفو عند المقدرة ، والرفق فى الولاية وما رفق عبد بعبد فى الدنيا ، إلا رفق الله به يوم القيامة .

قال : حدثنا عمرو بن ذر قال : صعد عمر بن عبد العزيز ذات يوم المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إنّما يراد الطبيب للوجع الشديد ، ألآ!فلا وجع أشد من الجهل ، ولا داء أخبث من الذنوب ، ولا خوف أخوف من الموت ، ثم نزل .

قال : حدثنا بقية ، عن عبد الله بن كريز ، قال : كتب عامل إفريقية إلى عمر بن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب ، فكتب اليه : وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول : ﴿ **وما لنا ألاّ نتوكل على الله ...** ﴾ (1) الآية . قال زرعة : وهى تنفع من البراغيث .

قال : حدثنا زكريا بن منظور ، عن عمه ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أخ له ! إنك قد قطعت عظيم السفر ، وبقى أقله فاذكر يا أخى ، المصادر والموارد ، فقد أوحى إلى نبيك ﷺ، فى القرآن ، أنك من أهل الورود ، ولم يخبر أنك من أهل الصدور والخروج ، وإياك أن تغرك الدنيا فإن الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له . يا أخى ! إنّ أجلك

(1) سورة إبراهيم آية : ١٢ .

قد دنا ، فكن وصى نفسك ، ولا تجعل الرجال أوصياءك .

قال : حدثنا جابر بن نوح قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل بيته : أما بعد ! إنك إن استشعرت الموت فى ليلك ونهارك ، بغض إليك كل فان ، وحبب إليك كل باق والسلام .

بؤساً لمن كان بطنه أكبر همه :

قال : وعن ابن أبى الرباب قال : قال عمر بن عبد العزيز : بؤساً لمن كان بطنه أكبر همه .

قال : وعن على بن الحسن قال : كان لعمر بن عبد العزيز صديق ، فأخبر أنه قد مات ، فجاء إلى أهله يعزيهم ، فصرخوا فى وجهه ، فقال لهم : مه! إن صاحبكم هذا لم يكن يرزقكم ، وإن الذى يرزقكم حى لا يموت ، إن صاحبكم هذا لم يسُدّ شيئا من حفركم ، وإنما سدّ حفرة نفسه ، لكل امرئ منكم حفرة لا بد ، والله ، أن يسدها . إن الله لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ، وعلى أهلها بالفناء ، وما امتلأت دار حسرة ، إلا امتلأت عبرة ولا اجتمعوا إلا تفرقوا ، حتى يكون الله هو الذى يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم باكياً فليبك على نفسه ، فإن الذى صار إليه صاحبكم ، كلكم يصير إليه غداً .

قال : حدثنا الهيثم بن عمران قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يحدث قال : قال لى عمر بن عبد العزيز : يا إسماعيل كم أتت عليك من سنة ؟ قال : قلت : ستون سنة وشهور قال : يا إسماعيل ! إياك والمزاح .

قال : حدثنا عبد الرحمن بن حسان قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن معاوية ابن حصين إن استطعت أن تحيى ليلة النحر فإنها ليلة العابدين .

أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك :

قال : حدثنا وهيب أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، كان يقول : أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك .

قال : وعن عبد الله بن مروان الشامى أن عمر بن عبد العزيز أتى بعض أهله ، فقرب إليه طعاماً كثيراً ، فقال عمر : ويحك يا فلان ! دون هذا ما يسد الجوعة ، ويذهب سورة النفس ، وتقدم فضل ذلك ليوم فقرك وفاقتك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إن الله قد أوسع وأحسن ، فقال عمر بن عبد العزيز : فعند ذلك وجب عليك الشكر . ثم نهض .

قال : حدثنى إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغسانى قال : حدثنى أبى عن جدى قال : قال لجعونة بن الحارث : أتدرى ما يحب أهلك منك : قال : نعم يحبون صلاحى قال : لا ، ولكنهم يحبون ما قام لهم من سوادك ، وأكلوا من غمارك ، و تزودوا على ظهرك فاتق الله ولا تطعمهم إلا طيباً .

قال : وعن ميمون بن مهران قال : أوصانى عمر بن عبد العزيز فقال : يا ميمون ! لا تخلُ بمرأة لا تحل لك ، وإن أقرأتها القرآن ، ولا تتبع السلطان ، وإن رأيت أنك تأمره بمعروف وتنهاه عن منكر ، ولا تجالس ذا هوى فيلقى فى نفسك شيئاً يسخط الله به عليك .

قال : وعن ميمون بن مهران قال : قال لى عمر بن عيد العزيز : يا ميمون احفظ عنى أربع خصال : لا تجالس أميراً ، وإن أمرته بمعروف ونهيته عن منكر ، ولا تخلونّ بأمرأة غير ذات محرم ، وإن علمتها القرآن ، وإياك وما يعتذر منه ، ولا تقبل المعروف ممن لا يصنعه إلى أهل بيته .

قال : وعن عثمان بن خالد بن دينار ، عن أبيه قال : قال عمر بن عبد العزيز لميمون بن مهران : يا ميمون ! لا تدخل على هؤلاء الأمراء وإن قلت : آمرهم بالمعروف ، ولا تخلونّ بامرأة ، وإن قلت أقرئها القرآن ، ولا تصلَنّ عاقاً ، فإنه لا يصلك وقد قطع أباه .

كيف كانت المساجد وكيف صارت :

قال : وعن أبى عبد الله الأنطاكى قال : قال عمر بن عبد العزيز كانت المساجد على ثلاثة أصناف : فصنف ساكت سالم ، وصنف فى ذكر الله عز وجل ، والذكر معروج به ، وصنف فى صلاة ، والصلاة لها من الله نور .

فجعلت من أفناء الدور والأسواق أندية مكان خصومهم - أو قال خوضهم - ومراجم ظنونهم ، يتفكهون بالغيبة، ويفيد بعضهم بعضاً النميمة .

قال : وعن أبى ربيعة قال : قال :عمر بن عبد العزيز أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس .

قال : وعن عبد الله بن واقد قال : إن آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! الحقوا ببلادكم فإنى أذكركم فى بلادكم وأنساكم عندى ، ألا وإنى قد استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم خياركم ، ولكنهم خير ممن هم شر منهم ، فمن ظلمه عامله بمظلمة ، فلا إذن له عليّ ، والله لئن منعت بهذا المال نفسى وأهلى ، ثم بخلت به عليكم ، إنى إذن لضنين ، والله لولا أن أنعش لسُنّة أو أسير بحق ، ما أحببت أن أعيش فواقاً .

إياكم والمزاحة :

وعن عبد العزيز بن أبى دؤاد قال : قال عمر بن عبد العزيز : اتقوا الله ، وإياكم والمزاحة ، فإنها تورث الضغينة وتجر القبيحة ، تحدثوا بالقرآن ، وتجالسوا به ، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال .

ليالى الرحمة :

قال : وعن الزهرى قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطأة - وهو عامله على البصرة - عليك بأربع ليال من السنة ، فإن الله تعالى يفرغ فيهن الرحمة إفراغاً: أول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر ، وليلة النحر .

قال : وعن يحيى بن سعيد قال : خطب عمر بن عبد العزيز بعرفات ، فقال : إنّكم وفد ، وإنكم قد شخصتم من القريب والبعيد ، وأنصبتم الظهر وأثقلتم ، وليس السابق اليوم من سبق بعيره ولا فرسه ، ولكن السابق يوم القيامة من غفر له .

قال : حدثنا سفيان قال : سمعت شيخا من شيوخنا قال : سمعت عمر بن عبد العزيز ،

---

(١) أنصبتم :أتعبتم .

وهو على المنبر بعرفة ، وهويقول : اللهم زد في إحسان محسنهم ، وراجع مسيئهم إلى التوبة ، وحط من ورائهم بالرحمة ، قال : وأومأ بيده إلى الناس .

قال : وعن إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه ، ويكمل الذى خلق له من عبادة ربه ، إذن لتواكل الناس الخير ، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقل الواعظون والساعون للّه بالنصيحة في الأرض .

قال : حدثنى الحسن بن الصباح قال : قال على بن بكار : قال عمر بن عبد العزيز : إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ، ويهرب من الناس ، فاقتربوا منه ، فإنه يلقى الحكمة .

خطبة نبوية :

قال : وعن حاجب بن خلف قال : شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس ، وهو خليفة ، فقال في خطبته : ألا إن ما سنّ رسول الله ﷺ وصاحباه فهو دين نأخذ به ، وننتهى إليه وما سنّ سواهم فإنا نرجئه .

قال : حدثنا الوليد بن مسلم قال : قال عبد الله بن العلاء : سمعت عمر بن عبد العزيز خطبة واحدة يرددها ، يفتتحها بسبع كلمات : (إن) الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى [1] ثم يوصى بتقوى الله ويتكلم . ثم يخطب خطبته الأخيرة بقراءة هؤلاء الآيات : ﴿ **يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم** ..... ﴾ [2] إلى تمام العشر » . قال عبد الله بن العلاء : لم يدع قراءة ذلك مقامى قبله .

قال : وعن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن أبى حبيبة قال : كتب عمر إلى أخ من إخوانه في الله عز وجل فكان في كتابه : لا تطلبنّ شيئاً من عرض الدنيا بقول ولا فعل

---

(١) هذه الخطبة حديث نبوى قاله النبى ﷺ لرجل اسمه (ضماد) يوم جاء ليرقيه . والحديث رواه مسلم . راجعهفهارسه وضع الدكتور عبد المعطى قلعجى نشر دار الغد العربى (٢) سورة الزمر آيجة : ٥٣ وما بعد .

تخاف أن يضر بآخرتك ،ويزرى بدينك ، ويمقتك عليه ربك ، واعلم أن القدر سيجرى إليك برزقك ، ويوفيك أجلك من دنياك ، غير متزيد فيه بحول منك ولا قوة ، ولا منتقص منه بضعف ، إن ابتلاك الله عز وجل بفقر ، فتعفف فى فقرك ، وأخبت لقضاء ربك ، واغتفر بما قسم الله لك من الإسلام ، ما زوى عنك من نعمة دنياك .

فإن فى الإسلام خلفاً من الذهب والفضة والدنيا الفانية ، واعلم أن لا يضر عبداً صار إلى رضوان الله ، وإلى الجنّة ، ما أصاب فى الدنيا من فقر وبلاء ، وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله ، ما أصابه من نعمة أو رخاء ، ما يجد أهل الجنّة من مكروه أصابهم فى دنياهم ، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها فى دنياهم ، كأن شيئاً من ذلك لم يكن .

من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح :

قال : وعن سفيان قال : قال عمر : من لم يَعُدّ كلامه من عمله كثرت ذنوبه .

وعن سفيان الثورى قال : قال عمر بن عبد العزيز : من عمل على غير علم ، كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، ومعول المؤمن الصبر .

قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : الرضا قليل والصبر معول المؤمن .

وعن جعونة قال : قال عمر بن عبد العزيز : يا أيها الناس ! إنما أنتم أغراض تنتضل فيها المنايا ، إنكم لا تؤتون نعمة إلا بفراق أخرى ، وأى أكلة ليس معها غصة ؟ وأى جرعة ليس معها شرقة ؟ وإن أمس شاهد مقبول ، وقد فجعكم بنفسه ، وخلف فى أيديكم حكمته .

وإن اليوم حبيب مودع ، وهو وشيك الظعن ، وإن غداً آت بما فيه ، وأين يهرب من يتقلب فى يد طالبه ، إنه لا أقوى من طالب ولا أضعف من مطلوب ، وإنما أنتم ستحلون عقد رحالكم فى غير هذه الدار ، ثم أنتم فروع أصول قد مضت ، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله

يعذب الله الناس بمعاصي غيرهم إذا لم يغيروها :

قال : وعن إسماعيل بن أبى حكيم قال عمر بن عبد العزيز : إنّ الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، فإذا المعاصى ظهرت فلم يغيروا ، أخذت العامة والخاصة .

قال : حدثنا أبو الحسن المداينى قال : كتب عمر بن عيد العزيز إلى عمر بن عبد الله بن عتبة يعزيه فى أبيه : أما بعد ؛فإنّا قوم من أهل الآخرة ، سكنا الدنيا أموات أبناء أموات . فالعجب كل العجب لميت يكتب إلى ميت ، يعزيه فى ميت ، والسلام .

قال : حدثنى محمد الكوفى قال : شهدت عمر بن عيد العزيز خطب فحمد الله وأثنى ، ثم قال : أيها الناس ! إنّ الله تعالى خلق خلقه ، ثم أرقدهم ، ثم يبعثهم من رقدتهم فإما إلى الجنّة وإما إلى النار ، والله إنْ كنا مصدقين بهذا إنّا لحمقى ، وإنْ كنا مكذبين بهذا لهلكى [1] ثم نزل .

قال : حدثنا عبد الله بن غالب قال : سمعت أبا عاصم العباداني يقول : خطب عمر بن عبد العزيز قال : أما بعد ، فإنْ كنتم مؤمنين بالآخرة ، فأنتم حمقى ، وإنْ كنتم مكذبين ، فأنتم هلكى .

قال : حدثنى عبد الله بن محمد بن سعد الأنصارى ، أن عمر بن عبد العزيز صعد المنبر ، واجتمع إليه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ! فإنى لم أجمعكم لأمر أُحدثه فيكم ، ولكن فكرت فى هذا الأمر الذى أنتم إليه صائرون ، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق ، والمكذب به هالك . ثم نزل .

قال : وعن العتبى قال : صعد عمر يوماً المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : إن كنتم على يقين فأنتم حمقى ، وإن كنتم فى شك فأنتم هلكى . ثم نزل .

الفعال أولى بالمرء من القول :

قال : أنبأنى ميمون بن مهران قال : إنّى لعند عمر ، إذ فتح له منطق حسن ، حتى رق له

---

(١) إن إن كنا مصدقين ولم نعمل فإنا حمقاء وإما أن نكذب فنكون من الهالكين .

أصحـابه قال : ففـطن لرجل منهم ، وهو يحذف دمـعته ، قـال : فقطع منطقـه ، فقلت له: امض في منطقك ، فإنّي لأرجو أن يمن الله به على من سمـعه ، فانتـهى إليه ، فقـال بيده : إليك عني ! فإن في القول فتنة ، والفعال أولى بالمرء من القول .

قال : وعن عـيسى ، أن عمر بـن عبد العزيز كـتب إلى رجل : أما بعد ، فـإني أوصيك بتقـوى الله ، وتقديم مـا استطعت من مـالك ، وما رزقك الله إلى دار قـرارك ، فإنّك والله لكأنك قد ذقت الموت ، وعـاينت ما بعده ، بتصرف الـليل والنهار فإنهما سـريعان في طي الأجل ،نقص العمر ، لم يفتهما شيء اقـتناه ، ولا زمن مر به ، مستعدان لمن بقي بمثل الذى أصابنا به من قد مضى ، فنستغفر الله ليـسئ أعمالنا ونعوذ به من مقته إيانا على ما نعظ به مما نقصّر عنه .

قال : حدثنا حمزة الجزرى قال : كتب عمر بن عبد العـزيز إلى رجل : أوصيك بتقوى الله لا يقبـل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلهـا ، ولا يثبت إلا عليـها ، فإن الواعظـين بها كثير ، والعاملين بها قليل .

قال : وحدثنا المفـضل بن غسان قال قال : حـدثنا أبى ، عن رجل من الأزد ، قال : قال لعمـر بن عبد العـزيز : أوصني . فقال : أوصـيك بتقوى الله وإيثـاره ، تخف عليك المؤونة وتحسن لك من الله المعونة .

فعلام ذا يدخل النار ؟

قال حدثني مـسلمة بن عبد الملك قال : دخـلت على عمر بن عيد العـزيز ، بعد صلاة الفجـر في بيت كان يخلو فيـه بعد صلاة الفـجر ، فلا يدخل عليـه أحد ، فجـاءت جارية بطبق فيه تمر صحياني ـ وكان يعجبه التمر ـ فرفع بكفيه منه ، فقال : يا مسلمه ! أترى لو أن رجـلا أكل هذا ، ثم شرب عليـه من الماء ، فإن الماء عـلى التمـر طيب ، أكان يجـزيه إلى الليل ؟ قال : فقلت : لا أدرى ! فرفع أكثر منه فقال : فهذا ؟ فقلت : نعم ، يا أمير المؤمنين كافيه دون هذا حـتى لا يبالي أن يذوق طعاماً غيره ، فقال فـعلام ذا يدخل النار . فقال مسلمة : فما وقعت مني موعظة ما وقعت مني هذه .

قال : وعن عمرو بن مهاجر قال : كان متاع رسول الله ﷺ ، عند عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، في بيت ينظر إليه كل يوم ، قال : وكان ربما اجتمعت اليه قريش ، فأدخلهم ذلك البيت ، ثم استقبل ذلك المتاع ، فيقول : هذا ميراث من أكرمكم الله وأعزكم به . قال : وكان سريرا مرمولا بشريط ، ومرفقة من أدم محشوة بليف ، وجفنة وقدحاً ، وقطيفة من صوف كأنها جر مقانية ، قال : ورحى ، وكنانة فيها أسهم ، وكان في القطيفة أثر وسخ رأسه ، فأصيب رجل ، فطلبوا أن يغسلوا بعض ذلك الوسخ ، فيسعط به ، فذكر ذلك لعمر ، فسعط ، فبرأ.

قال : حدثنا محمد بن مهاجر قال : كان عند عمر بن عبد العزيز سرير النبي ﷺ وعصاه ، وقدحه وجفنته ، ووسادة حشوها ليف ، وقطيفة ورداء ، فكان إذا دخل عليه النفر من قريش قال : هذا ميراث من أكرمكم الله به ، ونصركم به ، وأعزكم به ، وفعل وفعل....

اعملوا لآخرتكم :

قال : حدثني صالح المرى قال : حدثني رجل من الأزد أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول في خطبته : يا أيها الناس !لا تغرنكم الدنيا والمهلة فيها ، فعن قليل عنها تنقلبون ، وإلى غيرها ترحلون ، فاللّه اللّه عباد الله ، في أنفسكم ، فبادروا بها الفوت قبل حلول الموت ، ولا يطل بكم الأمد ، فتقسو قلوبكم فتكونوا كقوم دعوا إلى حظهم فقصروا عنه بعد المهلة فندموا على ما قصروا عند الآخرة ، ثم نحب وهو على المنبر .

قال : حدثنا عبيد الله بن الفضل قال : خطبنا عمر بالشام على منبر من طين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم تكلم بكلمات ثلاث فقال : يا أيها الناس !أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم ، واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم ، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق له في الموت . والسلام عليكم .

قال : وعن السرى بن يحيى أن عمر بن عبد العزيز حمد الله ، ثم خنقته العبرة ، ثم قال : أيها الناس ! أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم ، وأصلحوا سرائركم تصلح لكم

علانيتكم . والله إن عبداً ليس بينه وبين آدم أب إلا قد مات ، إنه لمعرق له فى الموت .

قال : حدثنا سهل بن يحيى المروزى قال : أخبرنى أبى ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال : لما ولىَ عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شىء ، وليس من تقوى الله خلف ، واعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم ، وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد له قبل أن ينزل بكم ، فإنه هادم اللذات ، وإنه من لم يذكر من آبائه ما بينه وبين آدم ، عليه السلام ، أباً، لمعرق له فى الموت .

كتاب عمر إلى بعض عماله :

قال : حدثنا أبو زياد ، عبيد الله بن عبيد الله بن عدى الكندى ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : أما بعد ؛ فكأن العباد عادوا إلى الله ، ثم ينبئهم بما عملوا ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فإنه لا معقب لحكمه ، ولا منازع لأمره . وإنى أوصيك بتقوى الله ، وأحثك على الشكر فيما اصطنع عندك من نعمه ، وأتاك من كرامته ، فإن نعمهُ يمدها شكره ويقطعها كفره ، وأكثر ذكرَ الموت الذى لا تدرى متى يغشاك ، فلا مناص ولا فوت ، وأكثر ذكر يوم القيامة وشدته ، فإن ذلك يدعوك إلى الزهادة فيما رغبت فيه ، والرغبة فيما زهدت فيه ، ثم كن مما أوتيت من الدنيا على وجل ، فإن من لا يحذر ذلك ، ولا يتخوفه ، توشك الصرعة أن تدركه فى الغفلة ، وأكثر النظر فى عملك فى دنياك بالذى أمرت به ، ثم اقتصر عليه فإن فيه ، لعمرى شغلاً عن دنياك ، ولن تدرك العلم حتى تؤثره على الجهل ، ولا الحق حتى تذر الباطل ، نسأل الله لنا ولك حسن معونته وأن يدفع عنا وعنك بأحسن دفاعه برحمته .

عظة القبر :

قال : وعن أبى فروة قال : خرج عمر بن عبد العزيز على بعض جنائز بنى أمية ، فلما صلى عليها ودفنت ، قال الناس ؛ قوموا ، ثم توارى عنهم فاستبطأه الناس حتى ظنوا ، فجاء وقد احمرت عيناه وانتفخت أوداجه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين !لقد أبطأت ، فما الذى حبسك ؟ قال : أتيت قبور الأحبة قبور بنى أبى فسلمت فلم يردوا السلام ، فلما ذهبت

أقفى ، ناداني التراب فقال : يا عمر ألا تسألني ما لقيت الأحبة ؟ قلت : ما لقيت الأحبة ؟ قال : خرقت الأكفان وأكلت الأبدان . فلما ذهبت أقفى ، ناداني التراب فقال : يا عمر ؟! ألا تسألني ما لقيت العينان ؟ قلت : وما لقيت العينان ؟ قال : قُدِعت المقلتان [1] وأكلت الحدقتان . فلما ذهبت أقفى ، ناداني التراب : يا عمر ! ألا تسألني ما لقيت الأبدان ؟ قلت : وما لقيت الأبدان ؟ قال : قطعت الكفان من الرسغين ، وقطعت الرسغان من الذراعين ، وقطعت الذراعان من المرفقين ، وقطعت الكتفان من الجنبين ، وقطعت الجنبان من الصلب ، وقطع الصلب من الوركين ، وقطعت الوركان من الفخذين والفخذان من الركبتين ، وقطعت الركبتان من الساقين ، وقطعت الساقان من القدمين . فلما ذهبت أقفى ، ناداني التراب فقال : يا عمر ! عليك بأكفان لا تبلى . قلت : وما الأكفان التي لا تبلى ؟ قال : اتقاء الله ، والعمل لطاعته - وكرر هذا الحديث بروايات أكده بها وزاد فيه : - ثم بكى عمر وقال : ألا وإنّ الدنيا بقاؤها قليل ، وعزيزها ذليل ، وغنيها فقير ، وشابها يهرم ، وحيها يموت ، فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها ، فالمغرور من اغتر بها . أين سكانها الذين بنوا مدائنها ؟ وشقّوا أنهارها ، وغرسوا أشجارها أقاموا فيها أياماً يسيرة ، غرّتهم بصحتهم ، وعزوا بنشاطهم فركبوا المعاصي ، إنهم والله كانوا في الدنيا مغبوطين بالأموال على كثرة النعم ، محسودين على جمعها .

ما صنع التراب بأبدانهم ، والرمل بأجسادهم ، والديدان بعظامهم وأوصالهم ، كانوا في الدنيا على أسرّة ممهدة ، وفرش منضدة ، بين خدم يخدمون ، وأهل يكرمون ، وجيران يعضدون ، فإذا مررت فنادهم إن كنت منادياً . وادعهم إن كنت داعياً ، مر بعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم التي كانت عيشهم ، وسل غنيهم ما بقي من غناه ، وسل فقيرهم ما بقي من فقره ، وسلهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون ، وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون ، وعن الجلود الرقيقة ،والوجوه الحسنة ، والأجساد الناعمة ، ما صنع بها الديدان أمحت الألوان ، وأكلت اللحمان ، وعفّرت الوجوه ، وقبّحت المحاسن ، وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ، ومزقت الأشلاء ، فأين حجالهم وقبابهم ؟ وأين خدمهم وعبيدهم ؟ وجمعهم ومكنوزهم ؟ والله ما زودهم فراشاً ، ولا وضعوا هنالك متكأ ، ولا غرسوا لهم

(١) قدعت : كفت .

شجراً ، ولا أنزلوهم من اللحد قراراً ، أليسوا فى منازل الخلوات والفلوات ؟ أليس عليهم الليل والنهار سواء ؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء ؟ قد حيل بينهم وبين العمل ، وفارقوا الأحبة فكم من ناعم وناعمة أصبحت وجوههم بالية ، وأجسادهم من أعناقهم بائنة، وأوصالهم متمزقة ، قد سالت الحدق على الوجنات ، وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ، ودبت دواب الأرض فى أجسادهم ، ففرقت أعضاءهم ، ثم لم يلبثوا ، والله ، إلاّ يسيراً حتى عادت العظام رميما ، وقد فارقوا الحدائق ، وصاروا بعد السعة إلى المضائق قد تزوجت نساؤهم ، وترددت في الطرق أبناؤهم ، وتوزعت القرابات ديارهم وتراثهم ، فمنهم ، والله ، الموسع له فى قبره الغض ، الناظر فيه المتنعم بلذته.

يا ساكن القبر غداً ، ما الذى غرك من الدنيا ؟ هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك ؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطّرد؟ وأين ثمرك الحاضر ينعه ؟ وأين رقاق ثيابك ؟ وأين طيبك ؟ وأين بخورك ؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك ؟ أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه ، وهو يرشح عرقاً ، ويتلمظ عطشاً ، ويتقلب فى سكرات الموت وغمراته ، جاء الأمر من السماء ، وجاء غالب القدر والقضاء ، جاءه من الأجل ما لا يمتنع منه ، هيهات هيهات !يا مغمد الوالد والأخ والولد وغاسله ، يا مكفن الميت وحامله ، يا مخليه فى القبر راجعاً عنه ، ليت شعرى ، كيف كنت على خشونة الثرى ، يا ليت شعرى ، بأى خديك بدأ البلى ، يا مجاور الهلكات صرت فى محلة الموتى ، يا ليت شعرى ، ما الذى يلقانى به ملك الموت عند خروجى من الدنيا ، وما يأتينى به من رسالة ربي . ثم تمثل بهذه الأبيات :

تُسرّ بما يفنى ، وتُشغل بالصبى ... كما غر باللذات فى النوم حالمُ

نهارك يا مغرور ، سهوٌ وغفلة ... وليلك نومٌ والردى لك لازمُ

وتعمل فيما سوف تكره غبّهُ ... كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

ثم انصرف فما بقى بعد ذلك إلاّ جمعة :

إنما ابن آدم كفيء ظلال قلص فذهب :

قال : حدثني عمر بن محمد المكي قال : خطب عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، فقال : إن الدنيا ليست بدار قراركم ، دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها منها الظعن ، فكم عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا ، رحمكم الله ، منها الرحلة و بأحسن ما يحضركم من النقلة ، وتزودوا ، فإن خير الزاد التقوى . إنما ابن آدم كفيء ظلال قلص فذهب ، بينا ابن آدم في الدنيا ينافس فيها قرير عين إذا دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه آثاره ودياره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه . إن الدنيا لا تسرّ بقدر ما تضرّ ، إنها تسر قليلا ، وتحزن حزناً طويلا .

قال : حدثنا أسيد بن زيد قال : كنا مع عمر بن عبد العزيز في جنازة ، فلما أن دفن الميت ، ركب بغلة له صغيرة إلى قبر ، فركز عليه المقرعة، ثم قال : السلام عليك يا صاحب القبر . قال عمر ، فناداني مناد من خلفي : وعليك السلام يا عمر بن عبد العزيز عم تسأل ؟

فقلت : عن ساكنك وجارك . فقال : أما البدن فعندي ، والروح عرج به إلى الله ، عز وجل وما أدري أي شيء حاله فقلت : أسألك عن ساكنك وعن جارك قال : قدعت المقلتان وأكلت الحدقتان ومزقت الأكفان ، وأكلت الأبدان - ثم ذكر نحوه ونحو الشعر -

قال : حدثني ميمون بن مهران قال : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ، ثم أقبل عليّ فقال : يا أبا أيوب اهذه قبور آبائي من بني أمية ، كأن لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات ، واستحكم فيهم البلى ، وأصاب الهوام في أبدانهم مقيلا ؟

ثم بكى حتى غشي عليه ، ثم أفاق فقال : انطلق بنا ، فوالله ما أحد أنعم ممن صار إلى هذا ، وقد أمن من عذاب الله .

قال : وعن صالح بن عبد الكريم قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله عدي بن أرطاة : أما بعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله ، أما أولياء الله فغمتهم ، وأما أعداء الله فغرتهم

آخر خطبة خطبها :

قال : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : خطب عمر بن عبد العزيز هذه الخطبة وكانت آخر خطبة خطبها ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى وإن لكم معاداً ينزل الله فيه ليحكم بين الناس ويفصل بينهم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر الله وخافه ، وباع نافدا بباق ، وقليلا بكثير ، وخوفاً بأمان ؟ ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ؟ وستصير بعدكم للباقين ؟ وكذلك حتى تُردَّ إلى خير الوارثين ثم إنكم تشيعون كل يوم غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله ، حتى تغيبوه في صدع من الأرض ، في شق صدع ، ثم تتركوه غير ممهد ولا موسد ، قد فارق الدنيا والأحباب وباشر التراب ، موجهاً للحساب ، مرتهناً بما عمل ، غنياً عما ترك فقيراً إلى ما قدم .

فاتقوا الله قبل موافاته وحلول الموت بكم ؛ ووالله ، إني لأقول هذا ، وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي ، فاستغفر الله ، وما منكم من أحد تبلغنا حاجته يتسع له ما عندنا إلاَّ حرصنا أن نسد من حاجته ما استطعنا ، وما منكم من أحد تبلغنا حاجته لا يتسع له ما عندنا إلاَّ تمنيت أن يبدأ بي وبخاصتي ، حتى يكون عيشنا وعيشه سواء .. أما والله ، لو أردت غير هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولا ، وكنت بأسبابه عالماً ، ولكن سبق من الله كتاب ناطق وسنة عادلة ، دل فيهما على طاعته ، ونهى فيهما عن معصيته . ثم رفع طرف ردائه فبكى وأبكى من حوله .

قال : حدثنا أبو سليم الهذلي قال : خطب عمر بن عبد العزيز فقال : أما بعد ؛ فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يدع شيئا من أمركم سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله عز وجل ، فيه في الحكم والقضاء بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض ، واشترى قليلا بكثير ، وفائتاً بباق ، وخوفاً بأمن ، ألا ترون أنّكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون ، كذلك حتى تُردّ إلى خير الوارثين ؟

في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله ، عز وجل ، قد قضى نحبه وانقضى

أجله ، حتى تغيبوه فى صدع الأرض ، فى بطن صدع ، ثم تدعوه غير ممهد ولا موسد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب وواجه الحساب ، مرتهناً بعمله ، فقيراً إلى ما قدم ، غنيا عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت بكم ، وايم الله ، إنى لا أقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندى ، وما يبلّغنى عن أحد منكم حاجة إلاّ أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه ، وما يبلغنى أن أحداً منكم لا يسعه عندى إلاّ وددت أنه يمكننى تغييره ، حتى يستوى عيشنا وعيشه ، وايم الله ، لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش لكان اللسان منى به ذلولا ، عالماً بأسبابه ، ولكن سبق من الله عز وجل ، كتاب ناطق ، وسنة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته . ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وشهق ، وبكى الناس ، فكانت آخر خطبة خطبها .

إن فى أيديكم أسلاب الهالكين :

قال : حدثنا عبد الله بن الفضل التميمى قال : آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز أن صعد النبر ، فحمد الله وأثنى عليه ،

ثم قال : أما بعد ؛ فإن فى أيديكم أسلاب الهالكين ، وسيتركها الباقون كما تركها الماضون ، ألا ترون أنكم فى كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالى ؟

وتضعونه فى صدع من الأرض ، ثم فى بطن صدع ، غير ممهد ولا موسد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، فقيراً إلى ما قدم أمامه، غنياً إلى ما ترك بعده ، أما والله ؛ إنى لأقول هذا وأنا أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسى . قال : ثم وضع طرف ثوبه على عينيه فبكى ثم نزل ، فما خرج حتى أخرج إلى حفرته ، رحمة الله عليه .

الباب الثالث والثلاثون

فى ذكر ما تمثّل به من الشعر أو قاله

ما تمثل به من شعر عبد الله بن الأعلى :

قال : حدثنا محمد بن كثير قال : قال عمر بن عبد العزيز ذات يوم ، وهو لائم نفسه وعاتبها :

أيقظانُ أنت اليوم ، أم أنت نائمُ؟ وكيف يطيق النوم حيران هائمُ ؟
فلو كنت يقظان الغداة لحرّقت محاجرعينيك الدموع السواجمُ
نهارك يا مغرورُ ، سهو وغفلةٌ وليلك نومٌ ، والردى لك لازمُ
وتشغل فيما سوف تكره غبّهُ كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

قال : حدثنا سعيد بن محمد الثقفى قال : سمعت القاسم بن غزوان قال : كان عمر ابن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

أيقظانُ أنت اليوم ، أم أنت نائمُ؟ وكيف يطيق النوم حيران هائم ؟
فلو كنت يقظان الغداة لحرّقت مدامع عينيك الدموعُ السواجم

وقال : سليمان : « محاجر عينيك »:

أصبحت فى النوم الطويل وقد دنت إليك أمور مفظعات عظائمُ
نهارك ، يا مغرورُ، سهو وغفلة يغرك ما وليلك نومٌ ، والردى لك لازمُ
يفنى ، وتُشغل بالمنى كما غُرّ بالذات فى النوم حالمُ
وتشغل فيما سوف تكره غِبّهُ كذلك فى الدنيا تعيش البهائمُ

قال : وعن القاسم بن عبد الله قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات من قول عبد الله بن عبد الأعلى :

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم وكيف يطيق النوم حيران هائم ؟

فذكر الألفاظ على لفظ رواية القاسم بن غزوان ، إلاّ أنه قال : « تغر بما يفنى » مكان قوله « يغرك ما يفنى » .

قال : حدثنا عقيل بن مرة قال : أنشدنى حرمي بن الهيثم لعمر بن عبد العزيز :

ولا خير فى عيش امرئ لم يكن له مع الله فى دار القرار نصيبُ

فإنْ تعجب الدنيا أناساً ، فإنها قليل متاع ، والزوالُ قريبُ

وصوابه: « متاع قليل »

قال : حدثنا موسى بن عبد الله الخزاعى قال : بلغنى أن عمر بن عبد العزيز كان لا يجف فوه من هذا البيت :

ولا خير فى عيش امرئ لم يكن له مع الله فى دار القرار نصيبُ

قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبى عبيدة ، عن يونس ، قال : كان عمر بن عبد العزيز ذات يوم يسير فى جماعة ، فلما كثر الغبار تلثم ، ثم ذكر أبياتاً قالها عبد الأعلى القرشى ، فجبذ [1] اللثام ، ثم قال أنشأ يقول :

من كان حيث تصيب الشمس جبهته أو الغبارُ ، يخاف الشين والشعثا

ويألف الظل كى تبقى بشاشته فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا

فى قعر مظلمة ، غبراء مقفرةٍ يطيل تحت الثرى فى قعرها اللبثا

كذا وقع فى هذه الرواية : « قالها عبد الأعلى » وإنما هو : ابن عبد الأعلى . وقد قيل إن هذه الأبيات لعمر :

قال : حدثنا محمد بن أبى يعقوب الدينوري قال : من أصح ما روى لعمر بن عبد العزيز

(١) بمعنى « جذب » .

من الشعر هذه الأبيات :

من كان حين تصيب الشمس جبهته ... أو الغبارُ ، يخاف الشين والشعثا

فذكر الأبيات وزاد رابعاً في آخرها وهو :

تجهزى بجهاز تبلغين به ... يا نفس قبل الردى ، لم تُخلقى عبثا

(قال الشيخ) : وهذه القصيدة ليست لعمر ، إنما تمثل بها من قول ابن عبد الأعلى ولها قصة :

سفارة عبد الأعلى إلى إمبراطور الروم وقصة ابنه مع عمر :

قال : حدثنا ابن لعبد الصمد بن عبد الأعلى قال : كان عمر بن عبد العزيز وجّه عبد الأعلى بن أبى عمرة رسولا إلى طاغية الروم يدعوه إلى الإسلام ، فقال له عبد الأعلي : يا أمير المؤمنين ائذن لى فى بعض ولدى يخرج معى - وكان أبا عشرة - فقال له : ومن يخرج معك من ولدك ؟ فقال : عبد الله ، فقال : إنى رأيت عبد الله يمشى مشية مقتّها ، وبلغنى أنه يقول الشعر ، فقال عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين أما مشيته فغريزة هى فيه ، وأما الشعر فإنما هو نواحة ينوح على نفسه ، فقال : مُرْهُ عبد الله يأتينى العشية ، وأخرج معك غيره ، فراح به إليه ، فدخل عليه ، فاستنشده فأنشده :

تجهزى بجهاز تبلغين به ... يا نفسُ ، قبل الردى لم تُخلقى عبثا

وسابقى بغتة الآجال ، وانكمشى ... قبل اللزوم ، فلا منجا ولا غوثاً

ولا تكدى لمن يبقى وتفتقرى ، ... إنّ الرّدى وارث الباقى وما ورثا

واخشى حوادث صرف الدهرفى مهلٍ ... واستيقظى ، لا تكونى كالذى بحثا

عن مِدْية كان فيها قطع مُدتّه ... فوافت الحرث موفوراً كما حرثا

لا تأمنى فجعَ دهرٍ مترف ختل ... قد استوى عنده من طاب أو خبثا
يا رُبّ ذى أملٍ ، فيه على وجل ... أضحى به آمناً ، أمسى وقد حدثا
من كان حيث تصيب الشمس جبهته ... أو الغبارُ ، يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كى تبقى بشاشته ... فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا
فى قعرموحشة ، غبراء مقفرةٍ ... يطيل تحت الثرى فى قعرها اللبثا

قال ؛ فبكى عمر من شعره .

مثول ابن قتادة بين يدى عمر :

وعن الهيثم بن عدى ، عن أبيه ، قال : أصيبت عين ابن النعمان الطفوى يوم أُحُد ، فأتى النبى ﷺ ، وهى فى يده ، فقال : ما هذا يا قتادة ؟ قال هذا ما ترى يا رسول الله ، قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها ودعوت الله لك . فلم تفقد منها شيئاً ، فقال : يا رسول الله : إنّ الجنة لجزاء جميلٌ ، وعطاء جليل ، ولكنى رجل مبتلي بحب النساء ، وأخاف أن يقلن أعور فلا يردْننى ، ولكن ترُدها إلىّ وتسأل الله لى الجنة ، فقال : أفعل يا قتادة ، ثم أخذها رسول الله ﷺ، بيده ، وأعادها إلى موضعها ، فكانت أحسن عينيه إلى أن مات ، ودعا الله له بالجنة ، قال : فدخل ابنه على عمر بن عبد العزيزفقال له :من أنت يا فتى ؟ فقال :

أنا ابن الذى سالت على الخدّ عينُهُ ... فرُدّت بكفّ المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأحسن حالها ... فيا حسنَ ما عينٍ ، ويا طيبَ ما يد

فقالْ : عمر : رحمه الله ، بمثل هذا فليتوسل الينا المتوسلون ، ثم قال :

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

وعن الأصمعى قال : قام رجل من الأنصار إلى عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ! أنا فلان ابن فلان ، قتل جدى يوم بدر ، وعمى يوم أحد ، فجعل يذكر مناقب آبائه ،

فنظر عمر إلى عنبسة بن سعيد فقال : هذه والله المناقب لا مناقبكم مسكن والجماجم ، ثم تمثل :

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا .

قال : وعن عبيد بن عمر قال : دخلت ابنة عبد الله بن زيد بن عبد ربه على عمر بن عبد العزيز فقالت : يا أمير المؤمنين ! أنا بنت عبد الله بن زيد ، أبى شهد بدراً وقتل يوم أحد، فقال عمر :

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

سليني ما شئت ، فسألت ، فأعطاها ما سألت .

أبيات الخارجي لعمر ، وجواب عمر عليها :

قال : وعن الوليد بن مسلم قال : قال الأوزاعى : لما استخلف عمر بن عبد العزيز ، كتب اليه رجل من الشراة يقال له عمرو: بأبيات :

قل للمولّى على الإسلام مؤتنفاً ... وقد يرى أنه رثّ القوى ، واهي
إذ رابه معشرٌ عدوه مأكلةً ... بنخوة الملك والإسراف والباهِ
إنّا شرَينا بدين الله أنفسنا ... نبغى بذاك إليه أعظم الجاهِ
نينهى الولاة بحد السيف عن سرفٍ ... كفى بذاك لهم من زاجر ناهي
وإن قصدت سبيل الحق يا عمراً ... آخاك في الله أمثالي وأشباهى
وإن لحقت بقوم كنت واعظهم ... فى جور سيرتهم ، فالحكم لله

قال : فأجابه عمر بن عبد العزيز :

يا أيها الرجل المهدى نصيحته ... إن المحاسن والتوفيق بالله
إن كان أمرٌ من السلطان تنكره ... فما عُرى الدين والإسلام بالواهى
هذا الكتاب ،كتاب الله نقرؤه ... مصدق الوحى فينا ، آمرٌ ناهى
فقد يزل الذى يبغى الهدى رهقاً ... عند الشريعة ، وهو العالم الداهى

الملك ، يا عمرو، ملك اللّه ، خالقنا والحكم يا عمرو ، مردود إلى اللّه

قال : فأتاه فبايعه ولم يخرج عليه .

لحن يغنونه في المدينة منسوباً لعمر :

قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عمي قال : أدركت الناس بالمدينة وهم يغنون لحناً ينسبونه إلى عمر بن عبد العزيز :

كأن قد شهدت الناس يوم تقسمت خلائقهم ، فاخترت منهن أربعا
إعارة سمع كل مغتاب صاحبٍ، وتأبى لعيب الناس إلاّ تتبُّعا
وأعجب من هاتين أنك تدعى السلامة من عيب الخلائق أجمعا
وأنك لو حاولت فعل إساءة وكوفئت إحساناً ، جحدتهما معا

قال : حدثنا مسعود بن بشر أن رجلا قال لعمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة : تفرّغ لنا، فقال :

قد جاء شغلٌ وعدلت عن طريق السلامهْ
ذهب الفراغ ، فلا فرا غ لنا ، إلى يوم القيامة

ما صح من شعر عمر بن عبد العزيز :

قال المرزباني : وأخبرنا ابن دريد قال : تُروي لعمر بن عبد العزيز هذه الأبيات :

ومن الناس من يعيش شقيّاً جيفة الليل غافل اليقظَه
فإذا كان ذا حياء ودين ، راقب الله واتقى الحفظهْ
إنّما الناسُ : راحلٌ ومقيمٌ ، فالذي سار للمقيم عِظَهْ

قال المرزباني : وكتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شيبة ـ أو قال شبةُ ـ قال : يروى لعمر بن عبد العزيز :

إنـى لأمـنـح مـن يـواصـلـنـي ... منى صـفـاء ليس بالمذقِ
وإذا أخٌ لـى راء عـن خـلـقٍ ... داويت منه ذاك بالرفقِ
والمرء يصنع (1) نفسه ومتى ... ما تبله ، يرجع إلى العرقِ

قال : وعن أبى عمرو الشيبانى قال : قال عمر بن عبد العزيز قبل خلافته :

إنه الفؤاد عن الصّبى ... وعن انقياد للهوى
ولعمر ربك ، إن فى ... شيب المفارق واللحى
لك واعظاً إن كنت تتعظ ... اتعاظ أولى النُّهى
حتى متى لا ترعوى ؟ ... حتى متى ، وإلى متى ؟
ما بعد ما سميت كهلا ... واستُلِبت اسْمَ الفتى ؟
بلى الشباب ، وأنت إن ... عمرت ، رهنٌ للبلى
وكفى بذلك زاجراً ... للمرء عن غى ، كفى !

قال : حدثنا العتبى ، عن حماد الراوية ، قال : ما صح عندنا من قول عمر بن عبد العزيز غير هذا ، قوله :

حتى متى لا تنتهى ... وإلى متى وإلى متى ؟
ما بعد ما سميت كهلا ... واستُلِبت اسْمَ الفتى ؟

قال : وعن على بن خالد قال : لما مات ابن عمر بن عبد العزيز ، دخل عمر فنظر إليه ، ثم خرج وهو يتمثل :

لا يغُرّنك عشاء ساكن ، ... قد يوافى بالمنيات السحر

ما تمثل به عند انصرافه عن قبر سليمان :

قال : حدثنى محمد بن الضحاك بن عثمان ، عن أبيه ، قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك صُفّت له مراكب سليمان ، فقال :

(1) النهى : العقول

لولا التقى ، ثم النُّهى خشية الردى لعاصيت فى حب الصِّبى كل زاجر
قضى ما قضى ، فيما مضى ، ثم لا يرى له صبوة أخرى الليالى الغوابر

ثم قال : إن شاء الله لا قوة إلا بالله ، قدموا لى بغلتى .

قال : حدثنا محمد بن القاسم الأنبارى قال : حدثنى أبى عن بعض شيوخه قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

لولا التقى ، ثم النُّهى خشية الردى لعاصيت فى حب الصِّبى كل زاجر
قضى ما قضى ، من عمره ، ثم لا يرى له سقطة أخرى الليالى الغوابر
فإن عاد فى أمر يسودك بعدها فليس له منك استقالة عاذرِ

قال : وكان يتمثل بهذه البيت :

أنا عائذ بالله من شرِّ نعمةٍ تقر فيها عيناى فيها ردهما

الجزء التاسع :

أبيات تمثل بها عمر أمام الشعبى:

قال : حدثنا عبيد الله بن موسى قال : كان الشعبي واقفاً على رأس عمر بن عبد العزيز ، فأطال الوقوف ، فقال : إنك لواقف يا شعبي؟ فقلت إنى لواقف ، فقال : خذ إليك يا شعبى ، فقال :

هب الدنيا تزف إليك زفا زفاف عرائس باكون قصفا
وقد ملكتها شرقاً وغربا حويت بجمعها براً وطفا (١)
يجئن بألف ألف كلّ يوم ويتبع ألفها سبعونَ ألفا
إذا عاديت قوماً فى بلادٍ أتيت على جميع الناس عسفا
ألست ملاقياً ، لا شك فيه وإن عُمّرت طول الدهر ، حتفا
فما ترجو بدارٍ قد تراها بكل سرورها أبداً تكفا ؟

---

(١) كذا فى نسخة مصر والطف الشاطئ وفى نسخة حماء « ولطفاً » .

قال : حدثنا خالد بن يزيد العمرى قال : سمعت وهيب بن الورد يقول : كان عمر ابن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

يُرى مستكيناً ، وهو للهو ماقتٌ ... به عن حديث القوم ما هو شاغله

وأزعجه علْمٌ عن الجهل كله ... وما عالم شيئا كمن هو جاهله

عبوس عن الجهال حين يراهُمُ ... فليس له منهم خدينٌ يهازلهُ (1)

تذكّرَ يبقى من العيش آجلاً ... فأشغله عن عاجل العيش آجلُهْ

قال : حدثنا خالد بن يزيد قال : سمعت وهيب بن الورد يقول : كان عمر بن عبد العزيز (يتمثل بهذه الأبيات):

يُرى مستكيناً ، وهو للهو ماقت ... به عن حديث القوم ما هو شاغله

فذكر الأبيات وقال فيها :

وأزعجه خوف عن اللهو كله ... وما عالم شيئا كمن هو جاهله

ولم يذكر البيت الثالث .

قال : حدثنى أبو صالح الشمى قال : قال : عمر بن عبد العزيز :

أنا ميتٌ وعزّ من لا يموتُ ... قد تيقنت أنى سأموت

ليس ملك يزيله الموت ملكاً ... إنما المُلك مُلك من لا يموتُ

رأى عمر فى مخلد بن يزيد بن المهلب :

قال : وعن خالد بن حراش قال : صلى عمر بن عبد العزيز على مخلد بن يزيد ابن المهلب وقال :

«مات اليوم فتى العرب» وأنشد متمثلا :

على مثل عمرو تهلك النفس حسرةً ... وتضحى وجوه القوم مسودة غُبرا

قال : حدثنا ابن عائشة قال : لما مات مخلد بن يزيد ، صلى عليه عمر بن عبد العزيز ثم تمثل :

(1) خدين : صديق .

بكّوا حـــذيفـــة لن تـبكُّوا مـــثله حـــتي تـبـيـد قـبـائل [1] لـم تـخـلـق

قال : وعن رباح بن عبيدة قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

الحلمُ والعلمُ خلّتـــا كــــرمٍ للمـرء زينٌ إذا همـا اجـتـمـعـا
صنوان لا يستتم حسنهما إلاّ بجمع لذا وذاك معا
كم من وضيع سما به الحِلْم والعِلم فحاز الثناء وارتفعا
ومن رفيع البنا أضاعهما أخمله ما أضاع فاتضعا

قال : وعن سعيد [2] بن عبيد الطائي قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

القَ بالبشر من لقيت من النّا س جميعاً ، ولاقِهم بالطّلاقه
تجنومنهم به جناء ثمارٍ طيِّباً طعمهُ لذيذ المذاقَهْ
ودع التيه والعبوس على الناس فإن العبوس رأس الحماقه
كلما شئت أن تعادى عاديّت صديقاً وقد تعزُّ الصداقه

نستقرض على الله حتى العطاء .

قال : حدثنا ابن عائشة قال : كان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات :

فما تزوّد مما كان يجمعه إلاَّ حنوطاً غداة البين مع خَرَقِ
وغير نفخة أعواد تُشبُّ له وقلّ ذلك من زاد لمنطلقِ

قال : وعن عاصم بن رجاء بن حيوة ، عن أبيه ، ذكر عمر بن عبد العزيز الموت يوماً ، فقال يتمثل :

ألم ترى أن الموت أدرك من مضى فلم ينج منه ذو جناحٍ ولا ظفر

ثم دعا بسبعة دنانير فتصدق بها ، ثم قال : نستقرض على الله حتى يأتى العطاء .

الباب الرابع والثلاثون
في ذكر كلامه في فنون

قال : وعن أبي حنيفة اليماني قال : جمع عمر بن عبد العزيز أصحابه ثم خرج إليهم ، فأوصاهم فقال : « إياكم والمزاح ، فإنه يورث الضغينة ، وينبت الغل » .

قال : حدثني إبراهيم بن يزيد أن عمر بن عبد العزيز قال في قوله تعالى : ﴿ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ﴾ (٢) قال : « لم تكن أضاعتها أن تركوها ، ولكن أضاعوا المواقيت ».

قال : وعن عمرو بن دينار ، عن عمر بن عبد العزيز قال : « إذا جاءك الخصم وعينه في كفه فلا تقض له حتى يجيئك خصمه » .

قال : حدثنا سفيان قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز رأى بنتاً له أو امرأة ، نائمة مستلقية فنهاها .

قال : وعن مالك قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا . قال : لو أنك كذلك لم تقله .

قال : حدثنا سفيان ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : من عمل بغير علم ، كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

نهيه عن بدعة تقديس الملوك :

قال : وعن جعفر بن برقان قال : كتب عمر بن عبد العزيز : « إن ناساً يلتمسون الدنيا بعمل الآخرة ، وإن مصيرهم ومرجعهم إلى الله وإن ناساً من هؤلاء القصاص يصلُّون على خلفائهم وأمرائهم ، فمروهم فليدعوا للمؤمنين عامة ، وليُلْغوا ما سوى ذلك ».

---

(١) سورة مريم آية : ٥٩

قال : وعن جعفر بن يرقان قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير الجزيرة : « أما بعد فإن ناساً من الناس قد التمسوا بعمل الآخرة الدنيا ، وإنما مصيرهم ومرجعهم إلى الله بعد الموت . وقد بلغنى أن ناساً من القصاص قد أحدثوا الصلاة على أمرائهم ، عدل ما يصلون على النبى ﷺ ، فإذا جاءك كتابى هذا ، فمر القصاص فليجعلوا صلاتهم على النبي ﷺ، خاصة ، وليكن دعاؤهم للمؤمنين والمسلمين عامة ، وليدعوا ما سوى ذلك . والسلام ».

قال : جعفر : أحب أن لا يذكروا مع النبىﷺ . وعن معمر أن عمر بن عبد العزيز قال قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع .

قال : وعن إسماعيل بن أبى حكيم أنه أخبره أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول : كان يقال : إنّ اللّه لا يعذب العامة بذنب الخاصة ، ولكن إذا عمل المنكر جهاراً استحقوا العقوبة كلهم .

منزل الأم والزوجة بين النساء :

قال : حدثنا عبد الله بن نافع قال : ماتت أخت لعمر بن عبد العزيز فشهدها الناس وانصرفوا معه إلى منزله ، فلما صار إلى بابه أخذ بحلقة الباب ثم قال : انصرفوا أيها الناس مأجورين ، أدى الله الحق عنكم ، فإنا أهل بيت لا نُعزى فى أحد من النساء إلاَّ فى اثنتين : أم لواجب حقها وما فرض الله لها من برها ، وامرأة للُطف موضعها . وأنه لا يحل موضعها أحد ـ أو قال : محلها وهو الأصح ـ .

قال : حدثنا إبراهيم بن يحيى بن يحيى قال : حدثنى أبى ، عن جدى قال : كتب بعض عمال عمر إليه يقول فى كتابه : يا أمير المؤمنين إنِّى بأرض قد كثرت فيها النعم ، حتى لقد أشفقت على من قبلى من أهلها ضعف الشكر . قال : فكتب إليه عمر : إنى قد كنت أراك أعلم بالله ، إن الله لم ينعم على عبد نعمة ، فحمد الله عليها ، إلا كان حمده أفضل من نعمه ، لو كنت لا تعرف ذلك إلاّفى كتاب الله المنزل ، قال الله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين** ﴾ (1).

وقال الله تعالى : ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراًحتّى إذا جاءوها** ﴾ (2) إلى

(1) سورة النمل آية : ١٥ . (2) سورة الزمر آية : ٧٤ .

قوله : ﴿ وقالوا الحمد لله ﴾ (١) . وأى نعمة أفضل من دخول الجنة ؟.

وعن قدم بن مسور قال : قال عمر بن عبد العزيز : لما أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم ، عليه السلام ، أول من سجد له إسرافيل فأثابه ، أن كتب القرآن فى جبهته .

قال : وعن حسين بن صالح قال : تذكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز ، فقال قائلون : فلان ، وقال قائلون فلان . فقال عمر بن عبد العزيز : أزهد الناس فى الدنيا على ابن أبى طالب عليه السلام .

قال : وعن قتادة أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : ما يسرنى لو أن أصحاب محمد ﷺ ، لم يختلفوا ، لأنهم لو لم يختلفوا ، لم تكن رخصة .

قال : حدثنا الأوزاعى قال : كان عمر بن عبد العزيز إذا عرض له أمر مما يكره قال : مقدر ما كان ، وعسى أن يكون خيراً .

قال : وعن الأوزاعى أن عمر بن عبد العزيز قال : خذوا من الرأى ما قاله من كان قبلكم ، ولا تأخذوا ما هو خلاف لهم ، فإنهم كانوا خيرا منكم وأعلم .

ما ينبغى أن يجتمع للقاضى من الخصال :

قال : وعن مزاحم بن زفر قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : ينبغى أن يجتمع للقاضى خمس خصال : يكون عالماً بما مضت عليه السنّة ، حليماً ، ذا أناة، عفيفاً ، مشاوراً. فإذا اجتمع ذلك فى القاضى كان قاضياً ، وإن نقص منهن شىء كان وصماً فيه.

قال : حدثنا بشر بن عبد الله بن بشار أن عمر بن عبد العزيز قال : احذروا المراء ، فإنه لا تؤمن فتنته ، ولا تفهم حكمته .

قال : وعن ميمون بن مهران قال : كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز فقرأ : ﴿ ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر ﴾ (٢) . فقال لى : يا ميمون ! ما أرى القبر إلاّ زيارة ، ولا بد للزائر أن يرجع إلى منزله ، يعنى إلى الجنة أو إلى النار .

---

(١) سورة الزمر آية : ٧٤ .
(٢) سورة التكاثر الآيتان : ١-٢

قال : وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ ، بارك الله لرجل فى حاجة أكثر الدعاء فيها ، أُعطيها أو مُنعها . قال فحدثت به المنكدر بن محمد فقلت : أسمعت هذا من أبيك ؟ قال : لا ، ولكن دخلت مع أبى وأبى حازم على عمر بن عبد العزيز ، فقال عمر لأبى : يا أبا بكر ! ما لى أراك مهموماً ، قال : فقال له أبوحازم : لدين عليه ، فقال له عمر : ففتح لك فيه الدعاء ؟ - قال نعم ، قال : فقد بارك الله لك فيه .

قال : وعن مرثد بن يزيد قال : سمعت عمر يقول : أيها الناس ! قيدوا النعم بالشكر ، وقيدوا العلم بالكتاب .

من هو الأحمق ؟

قال : وعن سالم بن عبد الله قال : سمعت ميمون بن مهران قال : قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه : أخبرونى من أحمق الناس ؟ قالوا : رجل باع آخرته بدنياه ، فقال لهم عمر : ألا أنبئكم بأحمق منه ؟ قالوا : بلى . قال : رجل باع آخرته بدنيا غيره .

قال : حدثنا المداينى قال : دخل حُريث بن عثمان الدجنى ، مع أبيه ، على عمر بن عبد العزيز ، فسأل الأب ، عن الابن ثم قال له : علمه الفقه الأكبر ، قال : وما الفقه الأكبر ؟ قال : القناعة ، وكف الأذى .

قال : حدثنا محمد بن زياد قال : تكلم رجل عند عمر بن عبد العزيز فأحسن ، فقال عمر : هذا والله السحر الحلال . قال : وعن ابن شوذب قال : دخل رجل على عمر بن عبد العزيز ، فجعل يشكو إليه رجل ظلمه ويقع فيه ، فقال له عمر : إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هى ، خير لك من أن تلقاه وقد انتقصتها . قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال كان عمر بن عبد العزيز يقول : ملاقاة الرجال تلقيح لألبابها .

قال : حدثنا عمر بن على قال : سمعت عبد ربه الحرزى ، عن ميمون بن مهران ، قال قلت لعمر ليلة : يا أمير المؤمنين ! ما بقاؤك على ما أرى ؟ أما أول الليل ففى حاجات الناس وأما وسط الليل فمع جلسائك ، وأما آخر الليل فالله أعلم ما تصير إليه ؟ قال :

فضرب على كتفي . وقال : ويحك يا ميمون إني وجدت لقاء الرجال تلقيحاً لألبابهم .

قد فرغ من هذا فادع بالصلاح :

قال : وعن طلحة بن يحيى قال : كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه عبد الأعلى بن هلال فقال : أبقاك الله ، يا أمير المؤمنين إما دام البقاء خيراً لك ، قال : قد فرغ من ذلك يا أبا النضر ، ولكن قل : أحياك الله حياة طيبة ، وتوفّاك مع الأبرار . قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال : سمعت سفيان الثورى قال : قال رجل لعمر بن عبد العزيز : أبقاك الله ، فقال : قد فرغ من هذا ، فادع بالصلاح . قال الشيخ الإمام أبو الفرج [1] المصنف : فإن قال قائل : فكأن الصلاح ما فرغ منه ، فالجواب : بلى ، ولكن سؤالنا ما ينفعنا مما نطلع عليه تعبداً لله تعالى ، فنحن مأمورون بذلك لموضع التعبد ، وإظهار فقرنا إلى ما يصلحنا ، وإلاّ فالقدر قد سبق بالكل . قال : وعن أبى جعدة قال : قال عمر بن عبد العزيز : القلوب أوعية السرائر ، والألسن مفاتيحها ، فليحفظ كل امرئ منكم مفتاح وعاء سره . قال : حدثنا مالك أنه بلغه أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا ، قال له عمر : لو كنت سيدهم ما قلت .

إذا وافق الحق الهوى فهو ألذ من الشهد :

قال : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : إذا وافق الحقُّ الهوى ، فهو ألذ من الشهد .

قال : وعن أبى بكر بن عمرو بن حزم قال : قال لى عمر بن عبد العزيز : ما وجدت فى إمارتى هذه شيئاً ألذ من حق وافق هواى . قال : وعن مجاهد قال : أعطانى عمر ثلاثين درهماً ، وقال : يا مجاهد ! هذه من صدقة مالى .

قال : وعن أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال رجل لرجل : تحت إبطك ، فقال عمر : وما على أحدكم أن يتكلم بأجمل ما يقدر عليه ، قالوا : وما ذاك ، قال : لو قال : تحت يدك ، كان أجمل .

---

(١) فى الأصل « أبو الحسن » فصححناه لأنه غلط ظاهر .

الباب الخامس والثلاثون

فى ذكر ما رآه فى المنام

حالة الحجاج عند الحساب فى رؤيا عمر :

قال : وعن أبى حازم الخناصرى قال : قدمت دمشق فى خلافة عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة ، والناس رائحون إلى الجمعة ، فقلت : إن أنا صرت إلى الموضع الذى أريد نزوله فاتتنى الصلاة ، ولكن أبدأ بالصلاة ، فصرت إلى باب المسجد ، فأنخْتُ بعيرى ، ثم عقلته ، فدخلت المسجد ، وإذا أمير المؤمنين على الأعواد يخطب ، فلما أن بصر بى عرفنى ، فنادانى : يا أبا حازم ! إلىّ مقبلا ، فلما أن سمع الناس نداء أمير المؤمنين لى ، أوسعوا لى فدنوت من المحراب ، فلما أن نزل أمير المؤمنين ، فصلى بالناس ، التفت إلىّ فقال : يا أبا حازم ! متى قدمت بلدنا ؟ قلت الساعة ، وبعيرى معقول بباب المسجد ، فلما أن تكلم عرفته ، فقلت أنت عمر بن عبد العزيز ؟ قال : نعم . قلت له : تالله أما كنت عندنا بالأمس بخناصرة أميراً لعبد الملك بن مروان ، وكان وجهك وضياً ، وثوبك نقياً ، ومركبك وطياً ، وطعامك شهياً ، وحرسك سرياً ، فما الذى غير بك وأنت أمير المؤمنين ؟ فقال : يا أبا حازم ! أنشدك الله ألا حدثتنى الحديث الذى حدثتنى بخناصرة ، قلت له : نعم ، سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ، يقول : « إنّ بين أيديكم عقبة كؤودا لا يجوزها إلاّ كل ضامر مهزول » ، فبكى أمير المؤمنين بكاء عالياً حتى علا نحيبه ثم ضحك ضحكاً عالياً حتى بدت نواجذه ، فأكثر الناس فيه القول ، فقلت : اسكتوا وكفوا ، فإنّ أمير المؤمنين لقى أمراً عظيماً ، قال أبو حازم : ثم أفاق من غشيته فبدرت الناس إلى كلامه ، فقلت : يا أمير المؤمنين لقد رأينا منك عجباً ، قال : ورأيتم ما كنت فيه ؟ قلنا نعم ، قال : إننى بينما أحدثكم أغمى علىّ ، فرأيت أن القيامة قد قامت ، وحشر الله الخلائق ، وكانوا عشرين ومائة صف : أمة محمد ﷺ ، من ذلك ثمانون صفاً ، وسائر الأمم من الموحدين أربعون صفاً ، إذا وضع الكرسى ونصب الميزان ونشرت

الدواوين ، ثم نادى المنادى : أين عبد الله بن أبى قحافة ؟ فإذا شيخ طويل يخضب بالحناء والكتم ، فأخذت الملائكة بضبعيه ، فوقفوه أمام الله ، فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين إلى الجنة . ثم نادى المنادى : أين عمر بن الخطاب ؟ فإذا شيخ طوال يخضب بالحناء ، فأخذت الملائكة بضبعيه ، فوقفوه أمام الله ، فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين إلى الجنة . ثم نادى المنادى أين عثمان بن عفان ؟ فإذا شيخ طوال يصفر لحيته فأخذت الملائكة بضبعيه ، فوقفوه أمام الله ، فحاسبه حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين : إلى الجنة . ثم نادى المنادى : أين على بن أبى طالب ؟ فإذا شيخ طوال أبيض الرأس ، عظيم البطن ، دقيق الساقين ، فأخذت الملائكة بضبعيه ، فوقفوه أمام الله فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين : إلى الجنة . فلما رأيت أن الأمر قرب منى اشتغلت بنفسى فلا أدرى ما فعل الله بمن كان بعد على ، إذ نادانى المنادى : أين عمر بن عبد العزيز ؟ فقمت فوقعت على وجهى ، ثم قمت فوقعت على وجهى ، ثم قمت فوقعت على وجهى ، فأتانى ملكان فأخذا بضبعى ، فوقفانى أمام الله ، قال : فسألنى عن النقير والقطمير والفتيل وعن كل قضية قضيت حتى ظننت أننى لست بناج ثم إن ربى تفضل علىّ، فتداركنى منه برحمة ، وأمرنى ذات اليمين إلى الجنة .فبينا أنا مار مع الملكين إذ مررت بجيفة ملقاة على رماد ، فقلت : ما هذه الجيفة ؟ فقالوا : أدن منه وسله يخبرك فدنوت منه فوكزته برجلى ، وقلت له : من أنت ؟ فقال لى : من أنت ؟ قلت : أنا عمر بن عبد العزيز قال لى : ما فعل الله بك وبأصحابك ؟ قلت : أما أربعة فأمر بهم ذات اليمين : إلى الجنة ، ثم لا أدرى ما فعل الله بمن كان بعدهم ، فقال لى : أنت ما فعل الله بك ؟ قلت له : تفضل علىّ ربى ، وتداركنى منه برحمة ، وقد أمر بى ذات اليمين ؛ إلى الجنة . فمن أنت ؟ قال : أنا الحجاج بن يوسف الثقفى ، قلت يا حجاج ! ما فعل الله بك قال قدمت على ربّ شديد العقاب ، ذى بطشة ، ممن عصاه ، فقتلنى بكل قتلة قتلت بها مثلها ، ثم ها أنا ذا موقوف بين يدى ربى أنتظر ما ينتظر الموحدون من ربهم ، إما إلى الجنة وإما إلى نار . قال أبو حازم ، فأعطيت الله عهداً ، بعد رؤيا عمر بن عبد العزيز ، أن لا أوجب لأحد من هذه الأمة ناراً .

قال : وعن أبى حازم قال : قدمت على عمر بن عبد العزيز ، وقد ولى الخلافة ، فلما نظر إلى عرفنى ولم أعرفه ، فقال : ادن منى ، فدنوت منه فقلت : أنت أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، قلت : ألم تكن عندنا بالمدينة أميراً على المسلمين فكان مركبك وطيئاً ، وثوبك نقياً ، ووجهك بهياً ، وطعامك شهياً ، وقصرك مشيداً ، وخدمك كثيراً ، فما الذى غيرك وأنت أمير المؤمنين ؟ قال : فبكى ثم قال : يا أبا حازم ! كيف لو رأيتنى بعد ثلاث ، فى قبرى ، وقد سالت حدقتاى على وجنتى ، ثم جف لسانى ، وانشق بطنى ، وجرت الديدان فى بدنى ، لكنت أشد إنكارا منك يومك هذا ، أعد علىّ الحديث الذى حدثتنى به بالمدينة ، قلت يا أمير المؤمنين ! سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول :« إن بين أيديكم عقبة كؤوداً مضّرسةً لا يجوزها إلاَّ كل ضامر مهزول ». قال : فبكى بكاء طويلاً ثم قال : يا أبا حازم ! أما ينبغى لى أن أضمر نفسى لتلك العقبة فعسى أنجو منها يومئذ ، وما أظن ، أنى مع هذا البلاء الذى ابتليت به من أمور الناس ، بناجٍ ، ثم رقد ، ثم تكلم الناس ، فقلت : أقلُّوا الكلام فما فعل به ما ترون إلاّ سهر الليل ، ثم تصبب عرقاً فى يوم حر ، الله أعلم كيف كان ، ثم تبسم ، فسبقت الناس إلى كلامه فقلت : يا أمير المؤمنين ! رأيت منك عجباً ، إنك لما رقدت تصببت عرقاً حتى ابتلّ ما حولك ، ثم بكيت حتى علا نحيبك ، ثم تبسمت . فقال لى : يا أبا حازم ! وقد رأيت ذلك ؟ قلت : نعم ، ومن كان حولك من الناس رآه . فقال لى : يا أبا حازم ! إنى لما وضعت رأسى فرقدت ، رأيت كأن القيامة قد قامت ، فاجتمع الخلق فقيل : إنهم عشرون ومائة صف ملأوا الأفق ، أمة محمد ﷺ ، من ذلك ثمانون صفاً مهطعين إلى الداعى مثنى ، يدعون إلى الحساب ، إذا نودى : أين عبد الله بن عثمان أبو بكر الصديق فأجاب . فأخذته الملائكة ، فوقفوه أمام ربه ، عز وجل ، فحوسب ثم نحى ، وأخذ به ذات اليمين . ثم نودى بعمر ، فقربته الملائكة ، فوقفوه أمام ربه ، عز وجل ، فحوسب ثم نحى ، وأمر به وبصحابته إلى الجنة.ثم نودى بعثمان فأجاب ، فحوسب حساباً يسيراً ثم أمر به إلى الجنة .ثم أمر بعلى بن أبى طالب ، فحوسب ثم أمر به إلى الجنة . فلما قرب الأمر منى أسقط فى يدى ، ثم جعل يؤتى بقوم لا أدرى ما حالهم . ثم نودى : أين عمر ابن عبد العزيز : فتصببت عرقا ، ثم سُئلت عن الفتيل والنقير والقطمير ، وعن كل قضية

قضيت بهـا ثم غفر لى . فمررت بجيفة ملقاة فقلت للـملائكة : من هذا : قالوا : إنك إن كلمته كلمك . فوكزته برجلى ، فرفع رأسه إلىّ ، وفتح عينيه ، فقلت له : من أنت ؟ فقال لى : من أنت ؟ قلت:أنا عمر بن عبد العزيز قال : ما فعل الله بك ؟ قلت : تفضل علىّ ، وفعل بى وفعل بهم ، فقـال لى : هنيئـاً لك ما صـرت إليـه . قلت : من أنت ؟ قـال : أنا الحجاج ، قدمت على الله عز وجل ، فوجدته شـديد العقاب ، فقتلنى بكل قتلة قتلة ، وها أنا موقوف بين يدى الله ، عز وجل ، أنتظر مـا ينتظر الموحدون من ربهم ، إما إلى جنة وإما إلى نار . قال أبو حـازم : فعاهدت الله ، عز وجل ، بعـد رؤيا عمر بن عبـد العزيز ، أن لا أقطعَ على أحد بالنار ، ممن يموت يقول : لا إله إلا الله .

رؤيا أخرى لعمر :

(وعن مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز) عـن فاطمة بنت عبد الملك ، امرأة عمر ابن عبد العزيز ، قالت : قمت فى جوف الليل ، فانتبه لى عمر بن عبد العزيز ، فقال : لقد رأيت رؤيا معجبة ، قـالت: قلت : جعلتُ فداك ، فأخبرنى بها ، قال : مـا كنت لأخبرك بها حـتى أصبح ، قـالت : فلما طـلع الفجـر جاءه إذنه بالصـلاة ، فـخرج فـصلى بالناس ، ثم عادإلى مجلسه .

قالت فـاغتنمت خلوته ، فقلت : أخبـرنى بالرؤيا التى رأيت . قـال رأيت ، فيـما يرى النائم . كأنى دفعت إلى أرض ، كأنه الفضـة . أو كأنه اللبن ، إذاخارج قد خرج من ذلك القصر ، فـهتف بأعلى صوته يقول : أين محـمد بن عبد الله بن عـبد المطلب ؟ أين رسول الله ﷺ ؟ إذ أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل ذلك القـصر . قال : ثم آخـر خرج من ذلك القصر فنادى : أين أبو بكر بن أبى قحافـة ؟ إذ أقبل أبو بكر فدخل ذلك القصر . قال : ثم خرج آخر فنادى : أين عمر بن الخطاب؟ فأقبل حتى دخل القصر ، ثم خرج آخر فنادى : أين عثمان بن عـفان : فأقبل عثمان حتى دخل القـصر ، ثم إن آخر خرج فنادى :أين على ابن أبى طالب ؟ قال : فأقـبل حتى دخل ذلك القصر ثم إن خـرج آخـر فنادى : أين عـمر ابـن عـبـد الـعزيـز؟ قـال عـمر : فـقمت حـتى دخـلت الـقـصـر ، قـال: فـدفـعت إلـى رسول اللـه ﷺ والقـوم حـوله ، فـقلت : بينى وبين نفـسى : أيـن أجـلس ؟ فـجلست إلى

جنب أبى : عمر بن الخطاب فنظرت ، فإذا أبو بكر عن يمين رسول الله ﷺ وإذا عمر عن يساره فتأملت رسول الله ﷺ فإذا بين رسول الله ﷺ وبين أبى بكر رجل ، فقلت : أى أبة من هذا الرجل الذى بين رسول الله وبين أبى بكر ؟

قال : هذا عيسى ابن مريم ، فسمعت هاتفاً يهتف - وبينى وبينه حجب من نور - يا عمر بن عبد العزيز ! تمسك بما أنت عليه . واثبت على ما أنت عليه ، قال : ثم كأنه أذن لى فى الخروج ، فقمت فخرجت من ذلك القصر ، فالتفت خلفى ، فإذا بعثمان بن عفان وهو خارج من القصر ، وهو يقول : الحمد لله الذى نصرنى ربى وهو يقول : الحمد الله الذى غفر لى ربى .

اعمل فى ولايتك نحواً من عمل هذين:

قال : وعن عراك بن حجرة ،عن عمر بن عبد العزيز ، قال : رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقال لى : ادن يا عمر ثم قال لى : ادن يا عمر ، ثم قال لى :ادن يا عمر ، حتى كدت أن أضيبه ، ثم قال لى : يا عمر إإذا وليت فاعمل فى ولايتك نحواً من عمل هذين ! - وإذا كهلان قد اكتنفاه - قلت : من هذان ؟ قال : هذا أبو بكر ، وهذا عمر .

قال: وعن عراك بن حجرة عن عمر بن عبد العزيز ، قال : رأيت النبى ﷺ فى المنام ، فقال : ادن يا عمر! فدنوت حتى كدت أصافحه ، وإذا كهلان قد اكتنفاه ، فقال : إذا وليت أمر أمتى فعمل فى ولايتك نحو ما عمل هذين فى ولايتهما . قلت : ، ومن هذان ؟ قال:هذا أبو بكر وهذا عمر.

قال: حدثنا سيار خادم عمر ، قال : دخلت على عمر فقال :رأيت النبى ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله ، ورأيت عثمان وهو يقول : خصمت علياً ، ورب الكعبة وعلى يقول : غفر لى ورب الكعبة .

قال :عن سعيد بن أبى عروبة ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال :رأيت رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر جالسان عنده ، فسلمت وجلست ، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلى ومعاوية ، فدخلا بيتاً وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع من أن خرج على وهو يقول :

قضى لى ، ورب الكعبة وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول : غفر لى ورب الكعبة .

عمر بن عبد العزيز فى سجن الوليد :

وعن راشد بن زفر ، مولى سلمة بن عبد الملك عن أبيه ،قال : تناول الوليد بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بلسانه ، فرد عليه عمر ، فغضب الوليد من ذلك غضباً شديداً ، وأمربعمر فعدل به إلى بيت فخبس فيه . قال راشد : فحدثنى أبى زفر مولى مسلمة - وكانت فاطمة أرضعتها أم زفر - قال : قالت لى فاطمة : يا زفر ! فمكث ثلاثاً لا يدخل عليه أحد ، ثم أمر بإخراجه إن وجد حياً قال : فأدركناه وقد زالت رقبته شيئاً ، فلم نزل نعالجه حتى صار إلى العافية ، قالت ، فقلت له يوماً إنك قد عرفت الوليد وعجلته ، فلو داريته بعض المداراة ، قالت ، فقال لى : أحدثك يا فاطمة حديثاً فاكتميه ما دمت حياً ، قالت : نعم ، قال :إنه لما حبسنى أتانى تلك الليلة آت فى منامى فقال لى :

ليس للعلم فى الجهالة حظّ   إنما العلم ظرفه الإغضاء

قال : فرفعت إلى القائل طرفى فإذا هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : فسلمت عليه فى منامي فقال لى : إن الوليد جاهل بأمر الله ، عز وجل ، على كثير من جهله ، فأمر الله أحرى وأجدر أن لا يتركا جميعاً « مع ما حرمه من ذلك ، لتتبين فضل نعمة الله عليك فى العلم بأمر الله ، عز وجل » (١) قالت : قال عمر : فوالله ، يا فاطمة ! ما أكاد أغضب إلا كأنى أنظر إلى عبيد الله بن عبد الله قائماً يخاطبنى تلك المخاطبة وعن الخزاعى ، عن عمربن عبد العزيز ، أنه رأى النبى ﷺ فى روضة خضراء فقال له : إنك ستليأمر أمتى فزع عن الدم ، فزع عن الدم فإن اسمك فى الناس عمر بن عبد العزيز ، واسمك عند الله جابر .

---

(١) وزعه فاتزع : أى كف عنه .

الباب السادس والثلاثون

فى ذكر من رآه فى المنام

عن ابن جريج ، عن عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، قال : رأيت أبى فى النوم بعد موته كأنه فى حديقة فدفع إلى تفاحات تأولتهن الولد ، قلت : أى الأعمال وجدت أفضل ؟ قال : الاستغفار أى بنى !

والله ، ما استرحت إلا الآن :

وعن محمد بن النضر الحارثى . أن مسلمة بن عبد الملك رأى عمر بن عبد العزيز بعد موته ، فقال: يا أمير المؤمنين ! ليت شعرى لى أى الحالات صرت بعد الموت ؟ فقال : يا مسلمة ! هذا أوان فراغى ، والله ما استرحت إلا الآن . قال : فقلت : أين أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : مع أئمة الهدى فى جنات عدن .

الباب السابع والثلاثون

فى ذكر ما رؤى له فى المنام

عن وهيب بن الورد قال : بين عمر [1] خلف المقام ، إذ رأيت كأن داخلاً من باب بنى شيبة ، وهو يقول : يا أمير المؤمنين ! ولى عليكم كتاب الله ، فقلت : من ؟ فأشار إلى ظفره ، وإذا مكتوب عليه : « ع م ر » . فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز .

فدعاه النبى ﷺ فأقعده فى حجره :

وعن حصاف ، أخى حصيف ، قال : رأيت النبى ﷺ فى المنام عن يمينه أبو بكر وعن

---

(١) لعلها « بينما نحن » أى وهيب بن الورد راوى القصة لأن عمر لم يكن فى مكة أبان بلوغ خبر بيعته إليها .

يساره عمر ، وميمون بن مهران جالس أمام ذلك ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا رسول الله ﷺ فقلت : من هذا ؟ قال : هذا أبو بكر عن يمينه ، وهذا عمر عن يساره ، فجاء عمر ابن عبد العزيز ليجلس بين أبى بكر وبين النبى ﷺ فشح أبو بكر رضى الله عنه بمكانه ، ثم جاء ليجلس بين النبى ﷺ وبين عمر فشح عمر رضى الله عنه بمكانه فدعاه النبى ﷺ فأقعده فى حجره .

إنه قد عدل فى العباد أدخلوه الجنة :

وعن أبى هشام الرمّانى أن رجلاً جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال : رأيت النبى ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله ـ فذكر نحوه .

وعن النضر بن سهل . عن أبيه ، قال : بينما عمر بن عبد العزيز ذات يوم مضطجع إذ قال لجارية له : ! روّحينى . قال : فأخذت المروحة ، فأقبلت تروحه ، فغلبتها عينها ، فنامت فانتبه فإذا هو بالجارية قد احمر وجهها وقد عرقت عرقاً شديداً ، فأخذ المروحة فأقبل يروحها ، فانتبهت فوضعت يدها على رأسها وصاحت ، فقال لها عمر : إنما أنت بشر مثلى ، أصابك من الحر ما أصابنى ، فأحببت أن أروحك مثل الذى روحتنى ، قال : فقالت له : يا أمير المؤمنين ! إنى لم أصح من ترويحك هذا ، ولكن رأيت فى منامى رؤيا ، فقال لها عمر : ما رأيت ؟ قالت كأن القيامة قد قامت ، وكأن الميزان قد علق ،وكأن الصراط قد نصب ، فإذا المنادى قد نادى : أين الخليفة الذى كان قبل عمر بن عبد العزيز؟ قالت : فأتى به ، والله يا أمير المؤمنين !وأنا أنظر إليه . ويده مشدودة إلى عنقه ، فوقف على شفير جهنم فنادى مناد ألا إنه قد جار فى كتاب الله ، وفسق فى العباد، ألقوه فى النار . قال : فسقط ، يا أمير المؤمنين ! على حر وجهه فى جهنم ، ثم نادى الثانية : أين الذى كان قبل ذلك ؟ قالت فأتى به ، والله يا أمير المؤمنين ، وأنا أنظر إليه ، ويده مشدودة إلى عنقه فوقف على شفير جهنم فنادى مناد : إنه جار فى كتاب الله وفسق العباد ، ألقوه فى النار . قال : فسقط يا أمير المؤمنين ! على حر وجهه فى جهنم ، قال : فشهق عمر بن عبد العزيز شهقة فمكث نهاره جميعاً يخور كما يخور الثور ، حتى بال ، فعلمنا أن عقله قد ذهب لما أصابه ،ثم أصابه برد السحر فأفاق ، ثم قال لها : يا جارية ! ثم ماذا ؟ قالت : ثم أُتى بك ،

والله يا أمير المؤمنين ، وأنا أنظر اليك ويدك مشدودة إلى عنقك ، فوقفت على شفير جهنم فنادي مناد : ألا إنه قد حكم في الكتاب ، وعدل في العباد ، أدخلوه الجنة ، فحمد الله وأثنى عليه .

وعن الحسن بن أبي أمية قال : سمعت أمامة يقول : رأى رجل في منامه على الجنة مكتوباً « براءة من الله العزيز الرحيم ، لعمر بن عبد العزيز ، من عذاب يوم أليم » .

وعن معاذ ، مولى زيد بن تميم ، أن رجلا من بني تميم رأى في المنام كتاباً منشوراً من السماء بقلم جليل : « بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الله العزيز الحكيم . براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الأليم . إني أنا الغفور الرحيم ».

وعن زيد بن أبي هاشم أن رجلاً جاء إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فقال : رأيت النبي ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله، وأنت جالس ناحيته ، فقال لك : يا عمر ! إذا عملت فاعمل بعمل هذين : أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، قال : فاستحلفه عليه بالله الذي لا إله إلا هو . رأيت هذه الرؤيا ؟ قال : فحلف له ، فبكى عمر.

فأين عمر بن عبد العزيز ؟

وعن أبي هاشم الرماني أن رجلاً جاء لعمر بن عبد العزيز فقال : رأيت النبي ﷺ في المنام ، وكأن بني هاشم يشكون إليه ، فقال لهم : فأين عمر بن عبد العزيز ؟

وعن الوليد قال : بلغني أن رجلاً كان ببعض خراسان ، قال : فأتاني آت فقال : إذا قام أشج بني مروان « يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً [1] . فأتاني ثلاث مرات في المنام ، فلما كان آخر ذلك زبرني وأوعدني ، فرحلت اليه ، فلما قدمت لقيته فحدثته الحديث ، فقال . ما اسمك ؟ ومن أنت ؟وأين منزلك ؟ قلت : بخرسان ، قال : ومن أمير مكانك الذي أنت به ؟ ومن صديقك هناك وعدوك ؟ وألطف المسألة ثم حبسني أربعة أشهر فقال : إني كتبت فيك ، فجاءني ما أسر به « من » قبل صديقك وعدوك ، فهلم بايعني

(١) هنا نقص ظاهر وقد أكملنا الضروري منه من رواية ابن عبد ربه في العقد الفريد

على السمع والطاعة، فإذا تركت ذلك فليس لى عليك بيعة ، قال : فبايعه ، قال : ألك حاجة ؟ فقلت :لا أنا غني في المال إنما أتيتك لهذا ، فودعته وانصرفت .

اشدد يدك على العريف والماكس :

وعن ابن المهاجر أن رجلاً من أهل البصرة رأى في منامه كأن قائلاً يقول له : تحج من عامك هذا ، فقلت : والله ما لى من مال ، فمن أين أحج ؟ قال : موضع كذا من دارك فإن فيه درعاً ، فبعها ثم حج ؛ فلما اصبحت أحتفرت، فاستخرجت درعاً فبعتها، وحججت وقضيت مناسكي ، وجئت إلى البيت لأودعه ، فبينا أنا كذلك ، إذ غشيتني نعسة ،وإذا النبي ﷺ بين أبي بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، يمشي بينهما فقال النبي ﷺ ، ائت عمر بن عبد العزيز فأقرئه مني السلام ، وقل له : إن رسول الله يقول :إن اسمك عندنا عمر المهدى وأبو اليتامى ، فاشدد يدك على العريف والماكس ، وإياك أن تحيد عن طريقة هذا وطريقة هذا ، فيحاد بك ، فانتبه وهو يبكي ويقول : إن رسول الله ﷺ أرسلني ، فلو كنت رسالته في الظلمات لم أدعها ، أو أبلغها وأموت ؛ فأقبل إلى الشام ، إلى عمر ، وكان بدير سمعان فأتي حاجبه فقال : استأذن لى على عمر ، وقل له : إني رسول رسول الله ﷺ فاستضعف الحاجب قوله . ثم أتاه في اليوم الثاني، فقال له : من أنت يا عبد الله ؟ فقال :أنا رسول رسول الله ﷺ فقال الحاجب : هذا مولّه ، ليس له عقل ، ثم استأذن اليوم الثالث فقال : يا عبد الله : من أنت وما تريد ؟ ثم دخل على عمر وقال : يا أمير المؤمنين ! هذا إنسان ولع الاستئذان عليك ،فإذا قلت : من أنت ؟ قال : رسول رسول الله ﷺ ، فأذن له ،فدخل على عمر ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا رسول رسول الله ﷺ فأخبره بقصة رؤياه وما رأى في منامه ، فقال : لقيت رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر ، رضى الله عنهما - وأخبره بالذى أمره به ، قال : إياك أن تحيد عن طريق هذا وهذا فيحاد بك غداً عنا ، فقال :مروا له بكذا وكذا . قال :ما أقبل لرسالة رسول الله ﷺ شيئاً ، ولو أعطيتنى جميع ما تملك ثم خرج عنه .

قال عمر بن مهاجر : وأنا إذ ذاك أنام على باب أمير المؤمنين ، مخافة أن يحدث من أمر الناس أمر فأصلحه ، وإلا أتيته به ، فانتبهت ليلة على بكائه ونشيجه قد غلب عليه ، فقلت

يا أمير المؤمنين ! ما هذا الذى دهاك ؟ ما هذا الذى بلغ بك هذا ؟ قال : إن الله عز وجل قد صدق رؤيا البصرى، جاءنى رسول الله ﷺ فى منامى ، بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال : يا عمر بن عبد العزيز ! إن اسمك عندنا المهدى ، وأبو اليتامى ، اشدد يدك على العريف والماكس ، وإياك أن تحيد عن طريقة هذا وطريقة هذا ، فيحاد بك ، فجعل يبكى بنشيج وهو يقول : أنى لى بطريقة هذا وهذا ؟

وعن القاسم بن محمد قال : أخذ بيدى سفيان الثورى ، رحمه الله ، فقمت إلى رجل يكنى أبا همام، من أهل البصرة ،فسأله عن حديث عمر بن عبد العزيز:

فقال : حدثنى رجل من أهل الحى - وذكر فضله - قال : سألت الله ، عز وجل ، أن يرزقنى الحج ثلاث سنين ، فرأيت النبى ﷺ أتانى فقال لى : احضر الموسم العام، فانتبهت وذكرت أنه ليس عندى ما أحج به ، فأتانى الليلة الثانية وقال لى :مثل ذلك فانتبهت فذكرت فقلت مثل ذلك ، فأتانى فى الليلة الثالثة - وكنت قلت فى نفسى : إن هو أتانى قلت : ليس عندى ما أحج به - قال : فقلت ذلك ، فقال : بل انظر فى موضع كذا وكذا من دارك ، فإن فيه درعاً لجدك - أو أبيك - قال : فصليت العشاء ، الغداة، ثم احتفرت ذلك الموضع ، فكأنما رفعت عنها الأيدى. قال : فأخرجتها بأربعمائة درهم، ثم أتيت المربد فاشتريت بعيراً وناقة ، وتهيأت الانصراف ،فذهبت لأودع ، وقد قدمت بعيرى إلى الأبطح فإنى لأصلى فى الحجر إذ غلبتنى عينى .فأريت النبى ﷺ فقال لى : يا هذا ! إن الله قد قبل سعيك ائت عمر بن عبد العزيز ، وأبا اليتامى ، وقل له :شد يدك على العريف والماكس ، قال : فانتبهت ، فأتيت أصحابى فقلت امضوا على بركة الله تعالى ،وأخذت برأس بعيرى ،وسألت عن رفقة تخرج إلى الشام ، فمضيت معهم حتى انتهيت إلى دمشق فسألت عن منزله ، فأنخت ناقتى وأوصيت بها ، وذلك قبل انتصاف النهار ، فإذا رجل قاعد على باب الدار ، فقلت :يا عبد الله ! استأذن لى على أمير المؤمنين . فقال : قال : ماأمنعك - أو قال ما أمتنع عليك - ولكن أخبرك ، كان من شأنه - يعنى من تشاغله بالناس - حتى كان الساعة ، فإن صبرت وإلا دخلت « فلما دخلت على عمر بن عبد العزيز » قال لى : من أنت ؟ قلت له أنا رسول رسول الله ﷺ قال : فنظرت إليه ، فإذا نعلاه فى اصبعه ، وإذا هو يستقى ماء فلما رآنى تنحى فألقى نعليه ، ثم جلس ، فسلمت

وجلست ، فقال لى :ممن أنت ؟ قلت :رجل من بنى فلان . قال : كيف الزبيب عندكم ؟ كيف التمر عندكم ؟ كيف الزيت عندكم ؟ كيف السمن عندكم ؟ كيف البر عندكم ؟ ... حتى عد هذه الأنواع التى تباع ، فلما فرغ من هذا ، عاد إلى المسألة الأولى ، ثم قال لى : ويحك ! قد جئت بأمر عظيم . قلت : يا أمير المؤمنين ؟ ما أتيت إلا بما رأيت ، ثم قصصت من لدن رؤياى إلى مجيئى إليه ، قال : فكأن ذلك تحقق عنده، قال : ويحك ! أقم عندى فأواسيك ، قلت : لا فدخل وأخرج لى صرة فيها أربعون ديناراً ، فقال : لم يبق من عطائى غير ما ترى ، وأنا مواسيك منها : قلت : لا والله ، لا آخذ على رسالة رسول الله ﷺ شيئاً أبداً . قال: فكان ذلك يصدق عنده. قال : فودعته فقام إلى فاعتنقنى ومشى معى إلى باب الدار ، ودمعت عينه ، فرجعت إلى البصرة فمكثت حولاً ، ثم قيل لى : مات عمر بن عبد العزيز، فخرجت غازياً ، فلما كنت فى الروم ،إذا الرجل الذى كان استأذن لى قد عرفنى ولم أعرفه ، فسلم على ثم قال : علمت أن الله عز وجل صدّق رؤياك ؟ مرض عبد الملك ابنه ، فكنت أنا وهو من الليل ، فكان إذا كانت ساعتى التى أكون عنده يذهب فيصلى ، فإذا كانت ساعته ذهبت أنا فنمت ، وقام يصلى وأغلق الباب دونى .قال : فوالله إنى ليلة من الليالى إذ سمعت بكاء جليلاً عالياً ، فقلت : يا أمير المؤمنين هل حدث بعبد الملك «حادث » ؟ فجعل لا يكترث لمقالتى ، ثم إنه سرى ففتح الباب، فقال إن الله تبارك وتعالى صدق رؤيا البصرى ، أتانى النبى ﷺ فقال : مقالته .

صفة العرفاء والمتقبلين والعشارين :

وعن عثمان بن عبد الحميد قال : حدثنى رجل قال :بلغنى أن رجلاً قال : بينا أنا أطوف فى الكعبة ، إذ نعست فنمت ، فرأيت النبى ﷺ فقال : انطلق إلى عمر بن عبد العزيز فأقرئه منى السلام ، وأخبره أن اسمه عندنا ثلاثة : عمر وجابر ومهدى ، ومره يحفظ ثلاث خصال فإن حفظهن حفظ الله أمر دينه ودنياه : العرفاء : فإنهم أكلة أموال اليتامى ، والمتقبلين : فأنهم أكلة الربا، والعشارين : أكلة النحس .ثم رأيته مرة أخرى فقال لى مثل ذلك وزبرنى وأوعدنى ، فشخصت اليه ، فلما قدمت لقيت حاجبه ، فقلت : استأذن لى على أمير المؤمنين ! قال : من أنت ؟ قلت رسول رسول الله ﷺ إليه فكأنه أنكر ذلك ، وظن أن بى لمماً ، إلى أن مرّ بى إنسان من وجوه الناس ، فدخل الرجل على أمير

المؤمنين فقال له الحاجب : سمع ما يقول هذا ! فدخل على الرجل فأخبره بذلك ، فأدخل عليه فأخبره بما رأى ، فكتب مكانه أن لا يعطى إنسان عطاءه إلا فى يده، وكتب فى المتقبلين والعشارين بما ينبغى ، ثم قال : ألا أعطيك من مال الله ، عز وجل ، أو من مالى إن شئت ؟ فقال : أنا غنى عن المال ، وإنما شخصت لهذا .

وعن الليث بن سعد أنه قال : استشهد رجل من أهل الشام ، فكان يأتى إلى أبيه كل ليلة جمعة فى المنام ، فيحدثه ويستأنس به ، قال : فغاب عنه جمعة . ثم جاءه فى الجمعة الأخرى ، فقال له : يا بنى ! لقد أحزننى وشق على تخلفك ! فقال : إنما شغلنى عنك أن الشهداء أمروا أن يتقلبوا عمر بن عبد العزيز ، وذلك عند وفاة عمر بن عبد العزيز،رضى الله عنه .

الباب الثامن والثلاثون
فى عدد أولاده وأخباره

سياق وصيته لمؤدبهم :

عن أبى حفص عمر بن عبيد « الله» (١) الأموى قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده :

من عبد الله عمر ،أمير المؤمنين : إلى سهل مولاه . أما بعد ، فإنى اخترتك على علم منى بك لتأديب ولدى ، فصرفتهم إليك عن غيرك من موالى ، وذوى الخاصة بى ، فخدثهم بالجفاء فهو أمعن لقدامهم . وترك الصحبة فإن عادتها تكسب الغفلة ، وقلة الضحك فإن كثرته يميت القلب ، وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن ، فإنه بلغنى عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف (٢) واستماع الأغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب الماء ، ولعمرى لتوقى ذلك ،بترك حضور تلك المواطن ، أيسر على ذى الذهن من الثبوت

---

(١) من ا: منصر (٢) المعازف : أماكن العزف .

على النفاق فى قلبه ، وهو حين يفارقها لا يعتقد مم سمعت أذناه على شىء مما ينتفع به. وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يتثبت فى قراءته ، فإذا فرغ ، تناول قوسه ونبله وخرج إلى الغرض حافياً ، فرمى سبعة أرشاق ثم انصرف إلى القائلة ، فإن ابن مسعود ، رضى الله عنه ، كان يقول : يا بنى ! قيلوا ، فإن الشياطين لا تقيل .

سياق عدد الذكور من أولاده:

منهم : عبد الملك

عن ابن شوذب قال : جاءت امرأة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز إليه ، وقد ترجلت ولبست إزاراً ورداء ونعلين ، فلما رآها قال : اعتدى اعتدى .

تأثير عبد الملك بن عمر على أخلاق أبيه :

وعن بعض مشيخة أهل الشام قال: كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز ، إنما أدخله فى العبادة ما رآه من ابنه عبد الملك .

وعن سليمان بن حبيب المحاربى قال : قال : عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ـ وأصابه الطاعون فى خلافة أبيه فمات ـ قال : والله ، ما من أحد أعز علىّ من عمر ، ولأن أكون سمعت بموته أحب إلى من أن يكون كما رأيته .

وعن سليمان بن حميد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الملك ابنه : إنه ليس من أحد رشده وصلاحه أحب إلى من رشدك وصلاحك ، إلا أن يكون والى عصابة من المسلمين ، أو من أهل العهد ، يكون لهم فى صلاحه ما لا يكون لهم فى غيره ، أو يكون عليهم من فساده ما لا يكون لهم من غيره .

كتاب عمر من دمشق إلى ابنه فى المدينة :

وعن عمرو بن ميمون بن مهران قال : حدثنى ليث بن رقية ، كاتب عمر بن عبد العزيز فى خلافته، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابنه فى العام الذى استخلف فيه ـ وابنه إذ ذاك بالمدينة يقال له : عبد الملك :

أما بعد ؛ فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسى أنت ، وإن أحق من وعى

ذلك وحفظه عنى . أنت . إن الله ، له الحمد قد أحسن إلينا إحساناً كثيراً بالغاً فى لطيف أمرنا وعامته، وعلى الله إتمام ما غبر من النعمة ، وإياه نسأل العون على شكرها . فاذكر فضل الله عليك وعلى أبيك . ثم أين أباك على ما قوى عليه وعلى ما ظننت أن عنده فيه عجزاً عن العمل فيما أنعم به عليه ، وعليك فى ذلك فراغ نفسك وشبابك وصحتك ، وإن استطعت أن تكثر تحريك لسانك بذكر الله تحميداً وتسبيحاً وتهليلاً فافعل ، فإن أحسن ما وصلت به حديثاً حسناً حمد الله وشكره ، وإن أحسن ما قطعت به حديثاً سيئاً حمد الله وذكره ، فلا تفتتن فيما أنعم الله عليك فيما عسيت أن تقرظ به أباك فيما ليس فيه إن أباك كان بين ظهرى خوته يفضل عليه الكبير ويدنى دونه الصغير ، وإن كان الله ، وله الحمد ، قد رزقنى من والدى حسباً جميلاً كنت به راضياً ، ، أرى أفضل ببره وللده على حقاً ، حتى ولدت ، وولدت طائفة من إخوتك ، ولا أخرج بكم من المنزل الذى أنا فيه . فمن كان راغباً فى الجنة وهارباً من النار ، فالآن التوبة مقبولة ، والذنب مغفور ، قبل نفاذ الأجل ، وانقضاء العمل ، وفراغ من الله للمتقلبين ، ليدينهم بأعمالهم فى موضع لا تقبل فيه الفدية ، ولا تنفع فيه المعذرة ،تبرز فيه الخفيات ، وتبطل فيه الشفاعات ، يرده الناس بأعمالهم ، ويصدرون عنه أشتاتاً إلى منازلهم ؛ فطوبى . يومئذ ، لمن أطاع الله ، وويل ، يومئذ ، لمن عصى الله ، فإن ابتلاك الله بغنى فاقصد فى غناك ، وضع لله نفسك ، وأد إلى الله فرائض حقه من مالك ، وقل كما قال العبد الصالح : ﴿ **هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم** ﴾ (1) وإياك أن تفخر بقولك ، وأن تعجب بنفسك ، أو يخيل إليك أن ما رزقته لكرامة لك على ربك ، وفضيلة على من لم يرزق مثل غناك ، فإذا أنت أخطأت باب الشكر ، وتركت منازل أهل الفقر ، وكنت ممن طغى للغنى ، وتعجل طيباته فى الحياة الدنيا ، فإنى لأعظك بهذا ، وإنى لكثير الإسراف على نفسى غير محكم لكثير من أمرى ، ولو أن المرء لم يعظ أخاه حتى يحكم أمرنفسه ، ويعمل فى الذى خلق له من عبادة ربه ، إذن لتوا كل الناس الخير ، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة فى

(1) سورة النمل ، آية : ٤٠

الأرض فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض ، رب العالمين ، وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم »

كان عبد الملك ، رحمه الله ، يفضل على عمر :

وعن سيار بن الحكم قال : كان ابن لعمر بن عبد العزيز يقال له : عبد الملك ، وكان رحمه الله ، يفضل على عمر ، قال : يا أبت ! أقم الحق ولو ساعة من نهار .

وعن إسماعيل بن أبي حكيم قال : غضب عمر بن عبد العزيز يوماً غضباشديداً ، وكان فيه حدة ـ وعبد الملك ، ابنه ، حاضر ـ فلما ـ سكن غضبه قال : يا أمير المؤمنين ! أنت في قدر نعمة الله عليك ، وموضعك الذي وضعك به ، وما ولاك من أمر عباده ، يبلغ بك الغضب ما أرى ؟ قال : كيف قلت ؟ فأعاد عليه كلامه ، فقال : أما تغضب يا عبد الملك ؟ قال : ما تغني سعة جوفي إن لم أرد فيه الغضب ، حتى لا يظهر منه شيء أكرهه ـ قال : وكان بطيناً ـ

متى ما أريد مكابدتهم لم آمن أن يفتقوا فتقاً :

وعن شعيب . أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على عمر فقال : يا أمير المؤمنين ! إن بي اليك حاجة ، فأدخلني ـ وعنده مسلمة بن عبد الملك ـ فقال له عمر : أسر دون ابن عمك ؟ قال : نعم فقام مسلمة وخرج ، وجلس بين يده ،فقال : يا أمير المؤمنين ما أنت قائل غداً لربك إذا سألك فقال : رأيت بدعة فلم تمتها أو سنة فلم تحيها ؟ فقال: يا بني ! أشئ حملك الرعية إلي ؟ أم رأي رأيته ؟ « قال : بل رأي » رأيته من قبل نفسي ، وعرفت أنك مسؤول فيما أنت قائل . فقال له أبوه : رحمك الله وجزاك من ولد خيراً ، فإني ، والله لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير . يا بني ! إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعروة عروة ومتى أريد مكابدتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا على فتقاً تكثر فيه الدماء ، والله لزوال الدنيا أهون على من أن يهرق بسببي محجمة من دم ، أوما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة ، حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الحاكمين ؟

وعن هشام بن حسان قال : قال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحم : كم ترانا أصبنا من

أموال المسلمين ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! أتدرى ما عيالك ؟ قال : نعم ، الله لهم ، فخرجت من عنده ، فلقيت ابنه عبد الملك فقلت له : أتدرى ما قال أمير المؤمنين ؟ قال : وما قال أمير المؤمنين؟ قال : قال : يا مزاحم ؟ كم أصبنا من أموال المسلمين ؟ فقلت له : هل تدرى ما عيالك ؟ قال : نعم الله لهم ، فقال عبد الملك : بئس الوزير أنت يا مزاحم ! ثم جاء يستأذن على أبيه ، فقال للآذن : استأذن لى عليه فقال له الآذن : إنما لأبيك من الليل والنهار هذه الساعة ، قال : لا بد من لقائه . فسمع عمر ، رضى الله عنه ، مقالتهما ، فقال : من هذا ؟ قال الآذن : عبد الملك ! قال : ائذن له ، فدخل فقال :

ما جاء بك فى هذه الساعة ؟ قال : شىء ذكره لى مزاحم . قال : نعم ، فما رأيك ؟ قال : رأيى أن تمضيه . قال : فإنى أروح إلى الصلاة فأصعد إلى المنبر فأرده على رؤوس الناس ، قال : ومن لك أن تعيش إلى الصلاة ؟ قال :فمه ؟ قال : الساعة ، قال : فخرج ، ونودى : الصلاة جامعة ، فصعد المنبر فرده على رؤوس الناس .

وعن إسماعيل بن أبى حكيم قال : دخل عبد الملك على أبيه عمر فقال : أين وقع لك رأيك فيما ذكر لك مزاحم من رد المظالم ؟ قال : على إنفاذه ، فرفع عمر يده ثم قال : الحمد لله الذى جعل من ذريتى من يعيننى على أمر دينى ، نعم يا بنى ، أصلى الظهر ، إن شاء الله تعالى ثم أصعد المنبر . فأردها على رؤوس الناس ،فقال عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! من لك بالظهر؟ ومن لك بأن تسلم نيتك إلى الظهر ؟ فقال عمر :فقد تفرق الناس للقائلة . قال عبد الملك : تأمر مناديك فينادى : الصلاة جامعة ، حتى يجتمع الناس . فأمر مناديه فنادى فاجتمعوا ، وقد جىء بسفط أو جونة فيها تلك الكتب ، وفى يد عمر جلم يقصه ، حتى نودى بالظهر .

أو أمنت الموت يأتيك ورعيتك على بابك :

وعن ابن أبى علية قال : جلس عمر بن عبد العزيز يوماً للناس ، فلما انتصف النهار ضجر ومل وكل ، فقال للناس : مكانكم حتى أنصرف إليكم ، ودخل ليسترح ساعة ، فجاء ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا : دخل . فاستأذن عليه ، فأذن له ، فلما دخل قال : يا أمير المؤمنين ! ما أدخلك ؟ قال : أردت أن أستريح ساعة . قال : أوأمنت الموت أن

يأتيك ، ورعيتك على بابك ينتظرونك ، وأنت تحتجب عنهم ؟ فقام عمر من ساعته ، وخرج إلى الناس .

وعن ميمون بن مهران أنه قال : ما رأيت ثلاثة في بيت خيراً من عمر بن عبد العزيز ، وابنه عبد الملك ، ومولاه مزاحم .

وعن نافع قال : قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! ما يمنعك أن تمضى الذى تريد ؟ فوالذى نفسى بيده ما أبالي أن لو غلت بى وبك القدور . قال : وحق هذا منك ؟ قال : نعم ، والله ؛ قال عمر : الحمد لله جعل من ذريتى من يعيننى على أمر دينى ، يا بنى لو باهت الناس بالذى تقول لم آمن أن ينكروها ، فإذا أنكروها لم أجد بداً من السيف ، ولا خير في من لا يجىء إلا بالسيف ، يا بنى ! إنى أروض الناس رياضة الصعبة ، فإن بطأ بى عمر أرجو أن ينفذ الله مشيئتى ، وأن تعدوعلى منيتى ، فقد علم الله أريده .

وعن جعونة قال : دخل عبد الملك على أبيه عمر ، قال : يا أمير المؤمنين ! ماذا تقول لربك إذا أتيت ، وقد تركت حقاً لم تحيه وباطلاً لم تمته ؟ قال : اقعد يا بنى ! إن آباءك وأجدادك خدعوا الناس الحق ، فانتهيت الأمور إلى ، وقد أقبل شرها وأدبر خيرها ، لكن ليس حسناً جميلاً أن لا تطلع الشمس على ، فى يوم لا أحييت فيه حقاً وأمت فيه باطلاً ، حتى يأتيى الموت وأنا على ذلك .

امتحان عقل عبد الملك وأدبه :

وعن ميمون بن مهران قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : إن ابنى عبد الملك قد زين في عينى ، وقد أعجبت به ، وما أرى إلاَّ الهوى قد غلب على علمي بفضله ، وأحب أن تأتيه وتستشيره ، فتنظر إلى عقله . قال : فأتيته ، فاستأذنت عليه فقعدت عنده ساعة ، فأعجبت به ، إذ جاءه الغلام فقال : قد فرغنا مما أمرتنا به . قلت : وما ذاك ؟ قال : الحمام . أمرته أن يخليه لى ، قلت : آه آه ، قد كنت أعجبت بك حتى سمعت هذا . قال : وما ذاك يا عماه ؟ قلت : أرأيت الحمام ملكا لك ؟ قال : لا : قلت : فما الذى يحملك على أن تصد عنه غاشيته ، وتعطله على أهله ؟ قال : أنا أعطيه غلة يومه ، قلت : وهذه نفقة كبَر خالطها إسرافٌ ، كأنّك تريد بذلك الأبّهة ، وإنما أنت رجل من المسلمين كأحدهم ،

يجزيك أن تكون مثلهم ، قال : فقال : والذى عظم حقك ، ما يمنعنى أن أدخل معهم إلاّ أنى أرى قوماً رعاعاً بغير ميازر ، وأكره أدبهم على الميازر ، فيضعون ذلك على سلطاننا خلصنا الله منهم كفافاً .

فقلت : تدخله ليلا . قال : أفعل ، ولولا برد بلادنا ما دخلته ليلا ولا نهاراً .

قال الشيخ أبو الفرج ، المصنف ، رحمه الله تعالى : ومات عبد الملك فى حياة أبيه رضى الله عنهما .

تأبين عمر لابنه عبد الملك :

وعن زياد بن حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك ، رحمه الله ، وسوى عليه التراب ، سووا قبره بالأرض وضعوا عند رأسه خشبتين من زيتون ، إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه ، ثم جعل قبره بينه وبين القبلة واستوى قائما فأحاط به الناس فقال :

« والله ، يا بنى ! لقد كنت براً بأبيك ، والله ، ما زلت مذ وهبك الله لى مسروراً بك ولا ، والله ، ما كنت قط أشد سروراً ، ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى المنزل الذى صيرك الله فيه . فرحمك الله وغفر ذنبك ، وجزاك بأحسن عملك ، ورحم الله لكل شافع لك بخير ، من شاهد أو غائب ، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره ، والحمد لله رب العالمين » . وانصرف .

وعن حفص بن عمر قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ظل يثنى عليه ، فقال له مسلمة : يا أمير المؤمنين ! أرأيت لو بقى أكنت تعهد إليه ؟ قال لا . قال : لِمَ وأنت تثنى عليه هذا الثناء ؟ قال : لولا أنى أخاف أن أكون قد زين فى عينى من أمره ، ما زين فى عين الوالد من الولد ، لرأيت أنه أهل للخلافة .

وعن رجاء بن أبى مسلمة قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، كتب إلى الأمصار ينهاهم أن يُناح عليه ، فكتب : إن الله تعالى أحب قبضه ، وأعوذ بالله أن أخالف محبته .

أما في موت عبد الملك ما يشغل عن نصيحة المسلم :

وعن عون بن المعمر أن عمر بن عبد العزيز رأى ، وهو يدفن ابنه عبد الملك ، رجلا يشير بشماله ، فقال : يا هذا ! إذا تكلمت فلا تشر بشمالك ، أشر بيمينك . فقال الرجل : ما رأيت كاليوم أن رجلا دفن أعز الناس ، ثم إنه يهمه شمالى ويمينى ، فقال عمر : إذا استأثر الله بشيء قال عنه .

وعن أبى عبد الرحمن القرشى قال : قال رجل لعمر بن عبد العزيز ، وهو فى قبر ابنه : آجرك الله ، يا أمير المؤمنين ! ـ وأشار الرجل بشماله ـ فقال له عمر : يا عبد الله ! أشر بيمينك . فقال الرجل : أما فى موت عبد الملك ما يشغل عن نصيحة المسلم ؟.

وعن الربيع بن سبرة قال : لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، وسهل بن عبد العزيز ، ومزاحم ، فى أيام متتابعة ، دخل الربيع بن سبرة عليه ، فقال : أعظم الله أجرك ، يا أمير المؤمنين ! فما رأيت أحدا أصيب بأعظم من مصيبتك فى أيام متتابعة ، والله ، ما رأيت مثل ابنك ابناً ولا مثل أخيك أخاً ، ولا مثل مولاك مولى قط ، قال : فطأطأ عمر رأسه ، قال لى رجل معى على الوسادة : لقد هيجت على أمير المؤمنين . قال : ثم رفع رأسه فقال : كيف قلت الآن يا ربيع ؟ فأعدت عليه ما قلت أولاً ، فقال : والذى قضى عليهم بالموت ، ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن .

وأعاد الحديث وزاد فيه : ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن ، لما أرجو من الله ، تعالى ، فيهم .

وعن على بن حصن قال : شهدت عمر بن عبد العزيز تتابعت عليه مصائب : مات أخ له ، ثم مات مزاحم ، ثم مات ابنه عبد الملك ، فلما مات عبد الملك تكلم ، فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه ، ثم قال : لقد دفعته إلى النساء فى الخرق ، فما زلت أرى فيه السرور وقرة العين إلى يوم الناس هذا ، فما رأيت فيه أمراً قط أقرّ عينى من أمر رأيته اليوم .

وعن مالك قال : قام عمر بن عبد العزيز إلى مصلاّه ، فذكر سهل بن عبد العزيز ، وعبد الملك ، ومزاحماً فقال : اللّهم ! إنك قدعلمت ما كان من عونهم ومعونتهم فأخذتهم فلم يزدنى ذلك إلاّ حبا ولا إلى عندك إلاّ شوقاً . ثم رجع إلى مجلسه .

وعن على بن خالد بن زيد قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل عليه ، فنظر إليه وخرج وهو يتمثل :

لا يغُرّنّك عشاء ساكن قد يوافى بالمنيات السحر

وعن المداينى قال : قام عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه عبد الملك فقال :

رحمك الله يا بنى ! فقد كنت ساراً مولوداً ، وباراً ناشئاً ، وما أحب أنى دعوتك فأجبتنى .

وعن سليمان بن أرقم أن عمر بن عبد العزيز قال لأبى قلابة - وقد ولى غسل ابنه عبد الملك - : إذا غسلته وكفنته ، فآذنى قبل أن تغطى وجهه ، ففعل ،فنظر إليه فقال : رحمك الله يا بنى ، وغفر لك .

كل ما فى الأرض من محبوب متروك ومن مكروه مضمحل :

وعن المدائنى بإسناده ، أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بعد وفاة ابنه عبد الملك ، ونهى عن البكاء عليه وقال : إن الله عز وجل ، لم يجعل لمحسن ولا لمسيء فى الدنيا خلداً ولم يرضَ بما أعجب أهلها ثواباً لأهل طاعته ، ولا ببلائها عقوبة لأهل معصيته ، فكل ما فيها من محبوب متروك ، وكل ما فيها من مكروه مضمحل ، لذلك خلقت ، وكتب على أهلها الفناء ، فأخبر أنه يرث الأرض ومن عليها . فاتقوا الله ، واعملوا ليوم لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا .

إنما الجزع قبل المصيبة فإذا وقعت المصيبة ، فاله عمّا فاتك :

وعن المدائني ذكروا أن عمر بن عبد العزيز : لما مات ابنه عبد الملك ، رجع من المقبرة ، فرأى قوما يرمون ، فلما رأوه أمسكوا ، فقال : ارموا ، ووقف عليهم ، فرمى أحد الرامين ، فأخرج . فقال له عمر : أخرجت فقصّر . ثم قال للآخر : ارم فقصّر فقال له عمر قصرت فبلّغ . فقال له مسلمة : يا أمير المؤمنين ! أتفرغ قلبك لما تفرغ له ، وإنما نفضت يدك من تراب ابنك الساعة ، ولم تصل إلى منزلك بعد ؟ فقال له عمر : يا مسلمة ! إنما الجزع قبل المصيبة ، فإذا وقعت المصيبة فالْه عما فاتك .

وعن الزبير بن بكار قال : دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك وهو مريض فقال له : كيف تجدك يا بنى ؟ قال : أجدنى فى الحق ، والله ، لأن يكون ما تحب أحب إلىّ مما أحب . فلما هلك عبد الملك قال عمر : يا بنى لقد كنت فى الدنيا كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾ (١) ولقد كنت أفضل زينتها ، وإنى لأرجو أن تكون اليوم من الباقيات الصالحات التى هى خير ثواباً وخير أمداً ، والله ما سرّنى أنى دعوتك فأجبتنى . فعزاه الناس ، وعزاه محمد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ليشغلك ما أقبل من الموت عليك ، عما هوفى شغل مما يدخل عليك ، وأعدّ لنزوله عدة يكن لك حجاباً وستراً من النار ، ـ وقال ـ يا أمير المؤمنين ! لو ترك رجل تعزيه أخيه ، لعلمه وانتباهه ، لَكنته ، ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين .

وقام أعرابى من بنى كلاب بين السماطين فقال :

تعزّ ، أمير المؤمنين ! فإنه ... لما قد ترى يغذى الوليد ويولدُ

هل ابنُك إلاَّ من سلالة آدم ؟ ... لكلٍّ على حوض المنية موردُ

ما كتب عمر فى وفاة ابنه عبد الملك :

ثم كتب عمر :

أما بعد ؛ فإن الله تعالى كتب على خلقه ، حين خلقهم ، فجعل مصيرهم إليه ، فقال ، جل ثناؤه ، فيما أنزل فى كتابه الصادق الذى حفظه : « إنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون » (٢) وقال لنبيه ، ﷺ : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون** ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ (٤) وقال عز وجل : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾ (٥). فالموت سبيل الناس فى الدنيا ، لم يكتب الله لمحسن ولا لمسىء فيها خلوداً ولم يرضَ ما أعجب أهلها ثواباً لأهل طاعته ، ولم يرضَ ببلائها عقوبة لأهل معصيته ، فكل شىء منها ، أعجب أهلها أو كرهوا منه شيئاً متروك ، لذلك خلقت منذ خلقتْ ، ولذلك سكنت منذ سكنت ، ليبلو الله فيها عباده

(١) سورة الكهف آية : ٤٦ (٢) معنى الآية ٤٠ من سورة مريم (٣) سورة الأنبياء آية : ٣٤ .
(٤) سورة الأنبياء آية : ٣٥ . (٥) سورة طه آية : ٥٥ .

أيهم أحسن عملا ، فمن قدم عند خروجه من الدنيا إلى طاعة الله ورضوانه ، من أنبيائه وأئمة الهدى الذين أمر الله نبيه أن يقتدى بهداهم ، خلد فى دار الإقامة من فضله ، لا يمسهم فيها نصب ، ولا يمسهم فيها لغوب ، ومن كانت مفارقته الدنيا إلى غيرهم ، وإلى غير منازلهم ، فقد قابل الشر الطويل ، وأقام على ما لا قبل له به ، وأسأل الله ، برحمته ، أن يقينا ما أبقانا فى الدنيا مطيعين أمره ، متبعين لكتابه ، وأن يقدمنا ، إذا خرجنا من الدنيا ، إلى نبينا ومن أمر أن يقتدى بهداه من المصطفين الأخيار ، وأسأله برحمته أن يقينا أعمال السوء فى الدنيا ، والسيئات يوم القيامة . ثم إن عبد الملك ابن أمير المؤمنين ، كان عبداً لله ، أحسن الله إليه ، وأحسن إلى أبيه فيه ، أعاشه ما أحب أن يعيشه ، ثم قبضه حين أحب أن يقبضه ، وهو فيما علمت بالموت مغتبط ، يرجو من الله فيه رجاء حسناً ، وأعوذ بالله أن تكون له محبة فى شىء من الأمور تخالف محبة الله تعالى ، فإن ذلك لا يصلح لى فى بلائه عندى ، ولا إحسانه إلىَّ ، ولا نعمته علىّ. وقد قلت ما رجوت به ثواب الله الحسن ، وموعوده الصادق من المغفرة ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون . ثم لم أجد فى نفسى بعد ذلك ، والحمد لله ، إلا خيراً . من رضّى بقضاء الله تعالى ، واحتساب لما كان من المصيبة ، فحمدا لله على ما مضى ، وعلى ما بقى ، وعلى كل حال من أمر الدنيا والآخرة . أحببت أن أعلمكم بذلك ، وأكتب إليكم به ، فلا أعرفنّ مما أنيح عليه فى شىء مما قبلكم ، ولا يجتمع على ذلك أحد من الناس ، ولا رخصت فيه لقريب من الناس ولا بعيد ، والسلام .

ما كتبه إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فى شأن ابنه عبد الملك :

قال : حدثنا حازم قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، فى شأن ابنه عبد الملك ، حين توفى :

أما بعد ؛ فإن الله ، تبارك اسمه وتعالى جده كتب على خلقه ، حين خلقهم ، الموت وجعل مصيرهم إليه ، فقال فيما أنزل من كتابه الصادق الذى حفظه بعلمه ، وأشهد ملائكته على حقه : « إنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون » (١) . ثم قال لنبيه عليه السلام : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون** ﴾ (٢) ثم قال عز

(١) معنى الآية ٤٠ من سورة مريم .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .

وجل : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ (١) . فالموت سبيل الناس فى الدنيا لم يكتب الله لمحسن ولا لمسيء فيها خلوداً ولم يرضَ ما أعجب أهلها فيها ثواباً لأهل طاعته ، ولم يرضَ ببلائها عقوبة لأهل معصيته ، فكل شيء منها ، أعجب أهلها أو كرهوا منه شيئاً ، متروك ، لذلك خلقت ، ولذلك سكنت منذ سكنت ، ليبلو الله فيها عباده أيهم أحسن عملا ، فمن قدم عند خروجه من الدنيا إلى أهل طاعة الله ورضوانه ، من أنبيائه وأئمة الهدى الذين أمر الله نبيه أن يقتدى بهداهم ، خالد فى دار المقامة من فضله لا يمسه فيها نصب ، ولا يمسه فيها لغوب ، ومن كانت مفارقته الدنيا إلى غيرهم ، وغير منازلهم ، فقد قابل الشر الطويل ، وأقام على ما لا قبل لديه، أسأل الله ، برحمته ، أن يبقينا ما أبقانا فى الدنيا مطيعين أمره ، متبعين لكتابه ، ويجعلنا ، إذا خرجنا من الدنيا ، إلى نبينا ومن أمر أن يقتدى بهداه من المصطفين الأخيار ، وأسأله برحمته أن يقينا أعمال السوء فى الدنيا ، والسيئات يوم القيامة . ثم إن عبد الملك ابن أمير المؤمنين ، كان عبداً لله ، أحسن الله إليه ، وأحسن إلى أبيه فيه ، أعاشه ما أحب أن يعيشه ، ثم قبضه حين أحب أن يقبضه ، وهو فيما علمت بالموت مغتبط ، ويرجو فيه من الله رجاء حسناً ، وأعوذ بالله أن تكون له محبة فى شيء من الأمور تخالف ما أحب الله تعالى ، فإن خلاف ذلك لا يصلح لى فى بلائه عندى ، و إحسانه إليّ ، و نعمته عليّ. وقد قلت عندما كان فى سبيله أحمد الله على ما رجوت به ثواب الله الحسن ، وموعوده الصادق من المغفرة ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون . ثم لم أجد فى نفسى بعد ذلك ، والحمد لله ، إلا خيراً . من رضًى بقضاء الله تعالى ، واحتساب لما كان من المصيبة ، فحمدت الله على ما مضى ، وعلى ما بقى ، وعلى كل حال من أمر الدنيا والآخرة . أحببت أن أعلمكم بذلك ، وأكتب إليكم به ، فلا أعلم مما أنيح عليه فى شيء مما قبلك ، ولا اجتمع على ذلك أحد من الناس ، ولا رخصت لقريب من الناس ولا لبعيد.واكفنى ذلك بكفاية الله ، ولا ألومنك فيه إن شاء الله ، والسلام عليك .

وعن خالد بن عطية قال : قال عمر بن عبد العزيز عند وفاة ابنه عبد الملك :

---

(١) سورة طه آية : ٥٥ .

الحمد لله الذى جعل الموت حتما واجباً على خلقه ، ثم سوى فيه بينهم ، فقال تعالى ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ (١) ، فليعلم ذوو النهى أنهم صائرون إلى أمورهم ، مفردون بأعمالهم ؛ واعلموا أن عند الله مسألة فاضحة ، قال الله سبحانه : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ (٢) .

ما كنت على حالة فسرني أني على غيرها :

وعن أبي إبراهيم البكّاء قال : كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يعزيه بابنه عبد الملك ، فقال لكاتبه ؛ أجبه ، وأدق القلم : أما بعد ؛ فإن هذا أمرٌ كنا وطّنا أنفسنا عليه فلما نزل لم ننكره والسلام . وعن أبي زياد بن زاذان قال : قال عمر بن عبد العزيز : ما كنت على حالة من حالات الدنيا فسرّني أني على غيرها .

وعن يحيى بن سعيد قال : قال عمر بن عبد العزيز ما لي في الأمور هوًى ، سوى مواقع قضاء الله فيها .

وعن سليمان بن حبيب قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، دخل هشام بن الغار على عمر ، فعزاه ، فقال عمر : وأنا أعوذ بالله أن تكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله ، عز وجل ، فإن ذلك لا يصلح لي ، في بلائه عندي .

ومن أولاده : عبد العزيز

ولي المدينة ومكة ليزيد بن عبد الملك ، ثم أثبته مروان بن محمد عليهما ، ثم عزله عنها

قال الزبير بن بكار ، وقد أسند عبد العزيز الحديث : روى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الحديث ، عن صالح بن كيسان ، عن عثمان بن عفان ، قال : قال رسول الله ﷺ: « ما من مسلم خرج من بيته يريد سفراً أو غيره ، فقال حين خرج : « باسم الله آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، وتوكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » - إلاّ رزق خير ذلك المخرج ، وصرف عنه شره » .

(١) سورة الأنبياء آية : ٣٥ .   (٢) سورة الحجر الآيتان : ٩١ ، ٩٢ .

وروى عن يحيى ، عن إسماعيل بن جرير ، عن قزعة ، فقال : أرسلنى ابن عمر إلى حاجته ، فأخذ بيدى وقال : تعال أودعك كما ودعنى رسول الله ﷺ ، وأرسلنى إلى حاجته ، فقال : « أستودعك الله دينك ، وأمانتك ، وخواتيم عملك » .

وروى عن مكحول قال : قال رسول الله ﷺ ، « من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم ، رفعت فى علّيين » .

وعنه قال : قال لى جعفر - يعنى أمير المؤمنين - : كم كانت غلة أبيك عمر حين ولى الخلافة ؟ قلت : أربعين ألف دينار . قال : فكم كانت غلته لما توفى ؟ قلت : أربعمائة دينار ولو بقى لنقصت .

وروى عنه أنه قال : دعانى أبو جعفر فقال : كم كانت غلة عمر بن عبد العزيز حين أفضت إليه الخلافة ؟ فقلت : خمسين ألف دينار ، قال : فكم كانت يوم مات ؟ قلت : ما زال يردها حتى كانت مائتى دينار ولو بقى لردها .

وعنه أنه قال : ما كان أبى يعدل بعراك بن مالك .

لا تحملها على الشر ما وجدت لها محملا على الخير :

وعنه قال : قال لى أبى : يا بنى ! إذا سمعت كلمة من امرئ مسلم ، فلا تحملها على شىء من الشر ، ما وجدت لها محملا على الخير .

وعنه قال : كنت أحب لقاء الزهرى ، فرأيته فى النوم ، فقلت له: يا أبا بكر ! هل من خاصة دعوة ؟ قال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، توكلت على الحىّ الذى لا يموت ، اللهم إنىّ أسألك العافية ، وأسألك أن تعيذنى وذريتى من الشيطان الرجيم .

ومن أولاده عبد الله
ولى الكوفة

عن أبى ضمرة ، عن أسامة بن زيد ، عن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عن أبيه ، أنه قال : تهادوا يذهب .كأنه يريد : السخيمة .

ليست من ثيابى ولا من ثياب قومى :

قال : حدثنا يعقوب . عن أبيه ، أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز أتى إلى أبيه ، وهو خليفة ، يستكسى أباه فقال : يا أبت ! اكسنى ، فقال اذهب إلى الخيار بن رياح البصرى ، فإن لى عنده ثياباً فخذ منها ما بدا لك ، قال : فذهبت إلى الخيار بن رياح ، فقلت إنى استكسيت أبى ، فأرسلنى إليك ، وقال : إن لى عند الخيار بن رياح ثياباً ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، فأخرج إليه ثياباً سنبلانية أو قطرية ، فقال : هذا ما لأمير المؤمنين عندى فخذ منها ما بدا لك . قال عبد الله : ما هذا من ثيابى ولا من ثياب قومى . فقال : هذا ما لأمير المؤمنين عندى ، فرجع عبد الله إلى أبيه عمر ، فقال : يا أبتاه ! استكسيتك فأرسلتنى إلى الخيار بن رياح ، فأخرج لى ثياباً ليست من ثيابى ، ولا من ثياب قومى . قال : فذاك ما لنا عند الرجل ، فانصرف عبد الله ، حتى إذا كاد يخرج ، ناداه فقال : هل لك أن أسلفك من عطائك مائة درهم ؟ قال : نعم ، يا أبتاه ! فأسلفه مائة درهم ، فلما خرج عطاؤه حوسب بها فأخذت منه .

ومنهم إبراهيم

قال : حدثنى الليث أن إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز حدثه أنه سمع أباه يقول لابن شهاب : ما أعلمك تعرض علىَّ شيئاً قد مرّ على مسامعى ، إلا أنك أوعى له منى (1) .

كيف أقلدكم دينى تدنسوه فى كل جند :

قال : حدثنا الأوزاعى أن عمر بن عبد العزيز قال لبنيه : كيف أنتم إذا وليت كل رجل منكم جنداً ؟ فقال ابنه ، ابن الحارثية : لما تعرض علينا أمراً لا تريد أن تفعله ؟ فقال : أترون بساطى هذا ؟ إنّه لصائر إلى بلى ، وإنى أكره أن تدنسوه بخفافكم ، فكيف أرضى أن تدنّسوا علىَّ دينى ؟ .

قال : حدثنا سليمان بن حبان أن عمر بن عبد العزيز قال لبنيه : أتحبون أن أولى كل رجل منكم جنداً ، فينطلق تصلصل به جلاجل البريد ؟ فقال ابنه ، ابن الحارثية : لم تعرض علينا شيئا لست صانعه بنا ؟ .

---

(1) سبق فى مضى

فقال : عمر : إنى لأعلم أن بساطى هذا يصير إلى البلى ، وإنى لأكره أن تدنسوه بخفافكم فكيف أقلدكم دينى تدنسوه فى كل جند ؟ .

قال يعقوب بن سفيان ، وحدثنى عبد العزيز بن عمر قال : أخبرنى ابن أبى الزناد ، عن أبيه ، قال : سمعت مسلمة بن عبد الملك يقول : رحم الله عمر ، والله لقد هلك ، وما بلغ ابنٌ له قط شرف العطاء .

ومنهم إسحاق ويعقوب

قال : الزبير بن بكار قال : ولدت فاطمة بنت عبد الملك لعمر بن عبد العزيز : إسحاق ويعقوب ابنى عمر بن عبد العزيز .

ومنهم : بكر وموسى والوليد وعاصم ويزيد وزيان

قال : حدثنا عثمان بن عبد الحميد قال : حدثنى أبى قال : بلغنا أن ابناً لعمر بن عبد العزيز مات صغيراً ، فدخل عليه الناس يعزونه وهو ساكت لا يتكلم طويلا ، حتى قال بعضهم : إن ذا لمن جزع ، قال : ثم تكلم فقال :

الحمد لله الذى أدخل ملك الموت حجرتى ، فذهب ببعضى ، فكأنه قد ذهب بى .

قال : وعن سعيد بن على قال : مات ابن لعمر بن عبد العزيز صغير ، فغشى عليه ، فلما أفاق قلنا له : على مثل هذا ؟

قال : ليس ذاك بى ، ولكن بضعه منى ، فأوشك أن أتبعها .

بِعهُ وأشبعْ به ألف جائع :

قال : وبلغنى أن بعض أولاد عمر بن عبد العزيز اتخذ خاتماً ، واشترى له فصاً بألف درهم ، فكتب إليه عمر :

أما بعد ؛ فقد بلغى أنك اشتريت فصاً بألف درهم ، فبعه ، وأشبع به ألف جائع ، واتخذ خاتما من حديد صينى ، واكتُب عليه : « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه »

عدد بناته

منهن أمينة

قال : وعن قوباء بن دبيق قال : مرت ابنة لعمر بن عبد العزيز ، يقال لها : أمينة ، فدعاها عمر : يا أمين ! يا أمين ! فلم تجبه ، فأمر إنساناً فجاء بها ، فقال : ما منعك أن تجيبينى ؟

قالت : إنى عارية ، فقال : يا مزاحم ! انظر إلى تلك الفراش التى فتقناها ، فاقطع لها منها قميصاً ، فذهب إنسان إلى أم البنين ، عمتها .

فقال : ابنة أخيك عارية ، وأنت عندك ما عندك ، فأرسلت إليه بتخت من ثياب ، وقالت : لا تطلبى من عمر شيئا .

ومنهن أم عمار وأم عبد الله

قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : اسم ولد عمر بن عبد العزيز : عبد الله ، وبكر ، وأم عمار ، وأمهم ، لميس بنت على بن الحارث . وابراهيم وأمه : أم عثمان بنت شعيب بن زيان . وإسحاق ويعقوب وموسى درجوا وأمهم : فاطمة بنت عبد الملك بن مروان . وعبد الملك والوليد وعاصم ويزيد وعبد الله وعبد العزيز وزيان وأمينة وأم عبد الله وأمهم : أم ولد .

الباب التاسع والثلاثون
في ذكر مرضه ووفاته

سياق بدء مرضه :

قال : حدثنا الوليد عن أبي عمر أن محمد بن عبد الملك بن مروان سأل فاطمة بنت عبد الملك ، امرأة عمر : ما ترين بدأ مرض عمر الذي مات فيه ؟ فقالت: أرى جُلّ ذلك أو بدْأه الخوف .

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال عبد الحميد بن سهيل : رأيت الطبيب خرج من عند عمر بن عبد العزيز ، فقلت : رأيت بوله اليوم ؟ فقال : ما ببوله من بأس إلا الهم بأمر الناس .

تقتله خشية الله :

قال ابن سعد ؛ وقال : ابن لهيعة : وجدوا في بعض الكتب : تقتله خشية الله ، عز وجل - يعني عمر - .

قال ابن سعد : قال محمد بن قيس : أول مرضه ، اشتكى لهلال رجب سنة إحدى ومائة ، وكان شكواه عشرين يوماً .

سياق ما روى أنه سقى السم :

قال : وعن الوليد بن هشام قال : لقيني يهودي ، فأعلمني أن عمر سيلي هذا الأمر ، فيعدل فيه ، فلقيت عمر فأخبرته بقول اليهودي .

قال : فلما ولي لقيني اليهودي فقال : ألم أقل لك أن عمر سيلي هذا الأمر ويعدل فيه ؟ قال : قلت بلى قال : ثم لقيني بعد ذلك فقال : إن صاحبك قد سُقي ، فمره فليتدارك نفسه . قال : فلقيت عمر ، فذكرت له ذلك ، فقال عمر : قاتله الله . ما أعلمه ؟ لقد

عرفت الساعة التى سقيت فيها ، ولو كان شفائى أن أمس شحمة أذنى ما فعلت ، أو أُوتى بطبيب أرفعه إلى أنفى ما فعلت .

قال : وقد رويت لنا من طريق آخر ، قال : حدثنا ضمرة ، عن أبى جميلة ، عن عمر ابن مهاجر ، قال : لقينى يهودى - فذكر نحو ما تقدم - .

قال : حدثنا أبو زيد الدمشقى قال : لما ثقل عمر بن عبد العزيزدعى له طبيب ، فلما نظر إليه قال الرجل : قد سقى السم ، ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره فقال : ولا تأمن الموت ، أيضاً ، على من لم يسق السم . قال الطبيب : هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، قد عرفت حين وقع فى بطنى . قال : فتعالج يا أمير المؤمنين لا فإنى أخاف أن تذهب نفسك ، فقال : ربى خير مذهب إليه ، والله لو علمت أن شفاى عند شحمة أذنى ، ما رفعت يدى إلى أذنى ، فتناولته . اللهم خِرْ لعمر فى لقائك ، قال : فلم يلبث أياماً حتى مات .

سياق مكتوباته فى مرضه إلى يزيد بن عبد الملك :

قال : وعن قتادة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ولى العهد من بعده : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر ، أمير المؤمنين ، إلى يزيد بن عبد الملك . السلام عليكم !

فإنى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ، فإنى كتبت إليك ، وأنا دنف (1) من وجعى . وقد علمت أنى مسؤول عما وليت يحاسبنى عليه فى الدنيا والآخرة . ولست أستطيع أن أخفى عليه من عملى شيئاً : يقول.تعالى فيما يقول : ﴿ **فلنقصنّ عليهم بعلم وما كنا غائبين** ﴾ (2) . فإن يرض عنى الرحيم ، فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل ، وأن سخط على ، فيا ويح نفسى إلى ما أصير ، أسأل الله الذى لا إله إلا هو ، أن يجيرنى من النار برحمته ، فإنك لن تبقى بعدى إلا قليلاً حتى تلحق باللطيف الخبير . والسلام .

---

(1) دنف : أشفى على الموت . (2) سورة الأعراف آية ٧ .

قال : وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك فى مرض عمر الذى توفى فيه ـ فذكر نحوه وقال ـ : وأنا مشفق مما وليت ، لا أدرى على ما أطلع ، فإن يعف عنى ، فهو العفو ، وإن يؤاخذنى بذنبى ، فيا ويح نفسى إلى ما أصير ! .

قال : حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى يزيد بن عبد الملك : إياك أن تدركك الصرعة عند العزة ، فلا تقال العثرة [1] ولا تمكن من الرجعة يحمدك من خلفت بما تركت ، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به ، والسلام .

قال : حدثنا محمد بن أبى عيينة المهلبى قال : قرأت رسالة عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك :

سلام الله وبركاته عليك ! فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد .

فإن سليمان بن عبد الملك كان عبداً من عباد الله ، قبضه الله ، واستخلفنى وبايع لى من قبله ، وليزيد بن عبد الملك إن كان من بعدى ولو كان الذى أنا فيه لاتخاد أزواج ، أو اعتقاد أموال ، كان الله قد بلغ بى أحسن ما بلغ بأحد من خلقه ، ولكنى أخاف حساباً شديداً ، ومسألة لطيفة ، إلا ما أعان الله عليه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

رجلان عظيمان :

قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى غير واحد ، أن عمر بن عبد العزيز قال : لو كان إلى أن أعهد ، ما عدوت أحد رجلين : صاحب الأوص ـ يريد إسماعيل بن عمرو ـ أو أعمش بنى تميم يريد القاسم بن محمد .

قال الشيخ الإمام المصنف : إسماعيل ، هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان يسكن الأوص فى شرقى المدينة على بضعة عشر ميلا ، وكان له فضل كبير .

سياق ما جرى له مع أولاده عند الموت :

قال : حدثنا سفيان قال سألت عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : ما آخر ما تكلم به

(١) تقال العثرة : يصفح عنه .

أبوك عند موته ؟ قال : كان له من الولد عبد العزيز وعاصم وإبراهيم ، قال عبد العزيز : وكنا أغلبية ، فجئنا إليه كالمسلمين عليه والمودعين له ، وكان الذى ولى ذلك منه مولى له فقيل له : تركت ولدك هؤلاء وليس لهم مال ، ولم تولهم إلى أحد ، قال : ما كنت لأعطيهم شيئاً ليس لهم ، وما كنت لآخذ منهم حقاً لهم ، أولى فيهم الذى يتولى الصالحين إنما هؤلاء أحد رجلين رجل أطاع الله ، ورجل ترك أمر الله وضيعه .

قال : حدثنا عمارة بن أبى حفصة أن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز فى مرضه ، الذى مات فيه ، فقال : من توصى بأهلك ؟ - وهو يرى أن يستوصيه - فقال : إذا نسيت فذكرنى ، قال : فعاد فقال : من توصى بأهلك ؟ فقال : إن وليى الله الذى نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين ، .

هلا غير ذلك يا مسلمة ؟

قال : وعن مسلمة بن محارب قال : دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مرضه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ألا توصى ؟ قال : وهل لك فأوصى فيها ، قال فهلا غير ذلك يا مسلمة ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : تردها من حيث أخذتها ! قال : فبكى مسلمة ، وقال : رحمك الله ،لقد لينت منا قلوباً كانت قاسية ، وزرعت فى قلوب الناس لنا مودة ، وأبقيت لنا فى الصالحين ذكراً . قال مسلمة : يا أمير المؤمنين ! أوص بنيك فقال عمر : أوصى بهم الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، ثم نظر إلى ولده فقال : بنفسى فتية أقفرت أفواههم من هذا المال . فسمعوا قائلاً من ناحية البيت يقول : **﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾**. (١)

ما منعنهم حقاً ، لهم ولم أعطهم ما ليس لهم :

قال : حدثنا هاشم قال : لما كانت الصرعة التى هلك فيها عمر ، دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك أقفرت أفواه ولدك من هذا المال ، فتركتهم عيلة لا شى لهم ، فلو أوصيت بهم إلى وإلى نظرائى من أهل بيتك ، قال : فقال : أسندونى ثم قال : أما

---

(١) سورة القصص آية : ٨٣ .

قولك إني أقفرت أفواه ولدى من هذا المال ، فوالله إني ما منعتهم حقاً هو لهم ، ولم أعطهم ما ليس لهم . وأما قولك : لو أوصيت بهم إليّ وإلى نظرائى من أهل بيتك ، فإن وصيتى ، ووليّى فيهم ، الله الذى نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين . بنى أحد رجلين : إما رجل يتقى الله ، فسيجعل الله له مخرجاً ، وإما رجل مكبّ على المعاصى ، فإنى لم أكن أقويه على معصية الله . ثم بعث إليهم - وهم بضعة عشر ذكراً - .

قال : فنظر إليهم فذرفت عيناه فبكى ، ثم قال : بنفسى الفتية التى تركتهم عيلة لا شىء لهم ، فإنى بحمد الله قد تركتهم بخير أى بنى إنكم لن تلقوا أحداً من العرب ولا من المعاهدين إلا أن لكم عليهم حقاً ، أى بنى ! إن أباكم ميل بين أمرين : بين أن تحتاجوا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار . قوموا عصمكم الله .

سياق وصيته إلى من يغسله ويكفنه :

قال : وعن رجاء بن حيوة قال : قال لى عمر بن عبد العزيز ، فى مرضه : كن فيمن يغسلنى ويكفننى ويدخل قبرى ، فإذا وضعونى فى لحدى فحل العقدة ثم انظر فى وجهى فإنى قد دفنت ثلاثة من الخلافاء كلهم إذا أنا وضعته فى لحده حللت العقدة ، ثم نظرت إلى وجهه ، فإذا وجهه مسود فى غير القبلة .

قال رجاء : فكنت فيمن غسله وكفنه ، ودخل فى قبره فلما حللت العقدة ، نظرت إلى وجهه فإذا وجهه كالقراطيس فى القبلة .

كيف وجدوه بعد استقراره فى القبر :

قال : حدثنا رافع بن حفص المدنى أن عمر بن عبد العزيز ، لما حضرته الوفاة ، قال لرجاء بن حيوة : يا رجاء ! إذا أنا مت وغسلتمونى وكفنتمونى ، وصليتم على وأدخلتمونى لحدى ، فاجذب اللبنة من عند رأسى فإن رأيت وجهى إلى القبلة فاحمدوا الله وأثنوا عليه ، وإن رأيت قد زويت عنها ، فاخرج إلى المسلمين ما داموا عند لحدى حتى يستوهبونى من ربى قال : فلما وضع فى لحده وقبل باللبن على وجهه ، جذبت اللبنة من عند رأسه ، فإذا وجهه إلى القبلة فحمد الله وأثنى عليه .

قال : حدثنا المفضل بن أبي يونس قال : قال عمر بن عبد العزيز لمسلمة بن عبد الملك يا مسلمة ؟ من دفن أباك ؟ قال : مولاى فلان ، قال : فمن دفن الوليد ؟ قال : مولاى فلان قال : وأنا أحدثك ما حدثني به .... حدثنى أنه لما دفن أباك والوليد ، فوضعهم فى قبورهم ، ذهب ليحل العقدة عنهم ، فوجد وجوههم قد حولت فى أقفيتهم ، فانظر يا مسلمة، إذا أنا مت فدفنتنى ، فالتمس وجهى ، فانظر هل نزل بى ما نزل بالقوم ، أم هل عوفيت من ذلك . قال مسلمة : فلما مات عمر ، وضعته فى قبره ثم لمست وجهه فإذا هو مكانه .

قال : وعن عمرو بن قيس قال : قالوا لعمر بن عبد العزيز، حين حضره الموت : اعهد يا أمير المؤمنين ! قال : أحذركم مصرعى هذا فإنه لا بد لكم منه ، وإذا وضعتمونى فى قبرى ، فانزعوا عنى لبنة ، ثم انظروا ما لحقنى من دنياكم هذه .

قال : وعن عاصم قال : شهدت عمر بن عبد العزيز قال لأمة له : أراك ستلين حنوطى فلا تجعلى فيه مسكاً .

قال : حدثنا حصين ، أن عمر بن عبد العزيز نهى أن يبنى على القبر بآجر ، وأوصى بذلك .

سياق ما روى فى تخيره موضع قبره :

قال : حدثنا حنظلة بن عبد العزيز ، عن ربيع بن سبرة ، عن أبيه ، عن ابن لعمر بن عبد العزيز، « أن عمر بن عبد العزيز » قال ، حين اشتكى شكواه التى هلك فيها : اشتروا من الراهب موضع قبرى ، فاشترى منه موضع قبره بستة دنانير .

قال : وعن محمد بن قيس قال : اشتكى عمر بن عبد العزيز لغرة هلال رجب سنة إحدى ومائة ، فكان عليه عشرين يوماً ، فأرسل إلى نصرانى، فساومه بموضع قبره فقال له النصرانى والله يا أمير المؤمنين ! إنى لأتبرك بقربك وبجوارك ، فقد أحللتك ، فأبى ذلك عمر إلا أن يبيعه فباعه إياه بثلاثين ديناراً ، ثم دعا بالدنانير فوضعها فى يده .

قال : حدثنا أبو أمية ، غلام عمر بن عبد العزيز ، قال : بعثنى عمر بدينارين إلى أهل

الدير ، فقال : إن بعتمونى موضع قبرى ، وإلا تحولت عنكم ، فأتيتهم فقالوا : لولا أنا نكره أن يتحول عنا ما قبلناه .

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال محمد بن قيس : أرسل عمر بن عبد العزيز إلى ذمى فساومه فى موضع قبره ، فقال الذمى : يا أمير المؤمنين ! والله إنها لخيرة أن يكون قبرك فى أرضى ، قد أحللتك ، فأبى عمر حتى ابتاعه بدينارين ، ثم دعا بالدينارين فدفعهما إليه .

قال : وقال إبراهيم بن ميسرة ، اشترى موضع قبره بعشرة دنانير .

قال ابن سعد ، قال معاوية بن صالح : لما احتضر عمر قال : احفروا لى ، ولا تعمقوا ، فإن خيرها أعلاها ، وشرها أسفلها .

تواضعه عن أن يدفن فى الروضة النبوية :

قال : حدثنا أيوب قال : نبئت أن عمر ذكر له ذلك الموضع الرابع الذى فيه قبر النبى ﷺ ، فعرضوا له به ، فقالوا: لو دنوت من المدينة ؟ فقال : لأن يعذبنى الله بكل عذاب إلا النار ، أحب إلى من أن يعلم الله أنى أرانى لذلك أهلاً .

قال : وعن أيوب قال : لعمر بن عبد العزيز : لو أتيت المدينة ، فإن قضى الله موتاً دفنت فى موضع القبر الرابع ، مع رسول الله وأبى بكر وعمر ، قال : والله لأن يعذبنى الله بكل عذاب - إلا النار ، فإنى لا صبر لى عليها - أحب إلى من أن يعلم الله من قلبى أنى أرانى لذلك أهلاً .

قال : وعن أيوب أنه قيل لعمر بن عبد العزيز لما مرض : إن فى البيت موضع قبر ، فإن أتيت المدينة فحدث بك حدث دفنت ، فقال : ما يسرنى ولو عذبنى الله بكل عذاب أن يعلم الله من قلبى أنى أرى نفسى أهلاً لذلك .

سياق كراهيته تهوين الموت عليه :

قال : وعن الأوزاعى قال ، قال عمر بن عبد العزيز : ما أحب أن تخفف عنى سكرات الموت ، لأنه آخر ما يرفع المؤمنين - أو قال للمؤمنين -.

قال : وعن الأوزاعى ، عن عمر بن عبد العزيز . قال : ما أحب أن تهون على سكرات الموت ، إنه آخر ما يكفر به عن المرء المسلم .

قال : وعن الأوزاعى قال ، عمر بن عبد العزيز : ما أحب أن تخفف عنى الموت ، لأنه آخر ما يؤجر عليه المسلم .

قال : وعن الأوزاعى قال : قال عمر بن عبد العزيز : اللهم لا تهون على سكرات الموت .

سياق ما جرى له حال احتضاره :

قال : حدثنى المغيرة بن حكيم قال : قالت لى فاطمة بنت عبد الملك : كنت أسمع عمر ، رحمه الله ، فى مرضه الذى مات فيه يقول : اللهم اخف عليهم موتى ولو ساعة واحدة من نهار ، قالت : فقلت له يوماً : يا أمير المؤمنين ! ألا أخرج عنك عسى أن تغفى شيئاً ، فإنك لم تنم ، قالت : فخرجت عنه إلى بيت غير البيت الذى هو فيه ، قالت : فجعلت أسمعه يقول : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ [1] يرددها مراراً ، ثم أطرق ، فلبث طويلاً لا أسمع له حساً ، فقلت لوصيف له يخدمه : ويحك انظر ؛ فلما دخل صاح ، فدخلت عليه ، فوجدته ميتاً قد أقبل بوجهه على القبلة ، ووضع إحدى يديه على فيه ، والأخرى على عينيه . رحمه الله .

قال : حدثنا جرير بن حازم قال: سمعت المغيرة بن حكيم قال : حدثتنى فاطمة بنت عبد الملك قالت : كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول : اللهم اخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار . فلما كان اليوم الذى قبض فيه ، خرجت فجلست فى بيت آخر بينى وبينه باب وهو فى قبة له ، فسمعته يقول : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ [1] ثم هدأ ، فجعلت لا أسمع له حساً ولا كلاماً ، فقلت للوصيف الذى يخدمه : انظر أمير المؤمنين ! ! فلما دخل عليه صاح فوثبت ، فدخلت عليه ، فإذا هو ميت ، قد استقبل القبلة ،وأغمض نفسه ووضع

---

(١) سورة القصص آية : ٨٣ .

إحدى يديه على عينيه ، والأخرى على فيه .

قال : وعن عبيدة بن حسان قال : لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال : اخرجوا عنى ، فلا يبقى عندى أحد ، قال : وكان عنده مسلمة بن عبد الملك ، قال : فخرجوا ، فقعد على الباب هو وفاطمة ، قال : فسمعوه يقول : مرحباً بهذه الوجوه ، ليست بوجوه إنس ولا جان ، قال : ثم قال : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ (١) قال : ثم هدأ الصوت . فقال مسلمة لفاطمة : قد قبض صاحبك ، فدخلوا ، فوجدوه قد قبض وغمض وسوى .

قال : حدثنى ليث ، عن أبى رقية عن عمر أنه لما كان مرضه الذى قبض فيه قال : أجلسونى فأجلسوه ، ثم قال : أنا الذى أمرتنى فقصرت ، ونهيتنى فعصيت ، ولكن لا إله إلا الله . ثم رفع رأسه ، وأحد النظر ، فقالوا : إنك لتنظر نظراً شديداً . فقال : إنى لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن . ثم قبض .

الجزء الحادى عشر :

الباب الأربعون

فى ذكر تاريخ موته ، ومبلغ سنّه ، وموضع دفنه ، رحمه الله

قال : وعن على بن زيد قال : سمعت عمر يقول : لقد تمت حجة الله على ابن الأربعين ، فمات لها عمر بن عبد العزيز . قال : حدثنا الفضل بن دكين قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : كان عمر بن عبد العزيز ابن أربعين سنة . قال : حدثنى عمرو بن عثمان قال : مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة . وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ، ومات بدير سليمان قال الهيثم بن واقد : تُوفى عمر بخناصرة ، يوم الأربعاء ، لخمس ليالى بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، ومات وهو ابن تسع وثلاثين وأشهر . ودفن بدير سمعان .

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٣

قال ابن أبى الزناد :توفى وهو ابن تسع وثلاثين وخمسة أشهر . قال : وعن سفيان بن عاصم قال :توفى عمر بن عبد العزيز لخمس ليالى مضين من رجب سنة إحدى ومائة ؛ وهو يومئذ ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر، ودفن بدير سمعان ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وصلى عليه مسلمة بن عبد الملك . قاله القرشى .

قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : قلت لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : كم كان أتى على أبيك ؟ قال :ما بلغ أربعين .

قال : حدثنا سفيان قال : قلت لعبد العزيز بن عمر : كم بلغ سنون أبيك ؟ قال : بلغ بلغ أربعين فاختيل . قال : وحدثنا معمر قال : مات عمر بن عبد العزيز على رأس خمس وأربعين سنة . قال: حدثنا أبو منصور بن عبد العزيز العكبرى قال : مات عمر بن عبد العزيز ، بدير سمعان من أرض حمص ، لأربع بقين من رجب ، سنة إحدى ومائة ، وصلى عليه يزيد بن عبد الملك ، وكانت مدة خلافته سنتين وخمة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً . قال : وعن يوسف بن ماهك قال : بينا نحن نسوى التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا رقٌ من السماء فيه كتاب : بسم الله الرحمن الرحيم . أمان من الله لعمر ابن عبد العزيز من النار .

الباب الحادى والأربعون

فى ذكر ما ورد أن السماء والأرض بكتا عليه

قال : وعن خالد الربعي قال : مكتوب فى التوراة أن السماء تبكى على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحاً .

قال : وعن خالد الربعى قال : قرأت فى التوراة أن السماء والأرض تبكى على عمر ابن عبد العزيز أربعين سنة .

الباب الثانى والأربعون

فى ذكر تأبين الناس له بعد موته وحزنهم عليه

تأبين مسلمة :

قال : حدثنا إسماعيل الأموى قال : نظر مسلمة بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز مسجّى ، قال : يرحمك الله ، لقد لينت لنا قلوباً قاسية ، وأبقيت لنا فى الصالحين ذكراً .

تأبين الحسن البصرى له :

قال : حدثنا هاشم بن القاسم قال : سمعت شيخاً من أهل البصرة قال: لما أتى الحسن موتُ عمر بن عبد العزيز ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا صاحب كل خير .

وقول زوجته عنه :

قال : وعن وهيب بن الورد ، قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز ، لما توفى ، جاء الفقهاء إلى زوجته يعزونها ، فقالوا لها : جئناك لنعزيك بعمر ، فقد عمّت مصيبته الأمة ، فأخبرينا ، يرحمك الله ، عن عمر : كيف كانت حاله فى بيته ، فإن أعلم الناس بالرجل أهله . فقالت : والله ما كان عمر بأكثر صلاة ولا صياماً ، ولكنى والله ، ما رأيت عبداً لله قط كان أشد خوفاً لله من عمر ، والله إن كان ليكون فى المكان الذى ينتهى إليه سرور الرجل بأهله ، بينى وبينه لحاف ، فيخطر على قلبه الشىء من أمر الله ، فينتفض كما ينتفض طائر وقع فى الماء ، ثم ينشج ، ثم يرتفع بكاؤه حتى أقول : والله لتخرجن نفسه ، فأطرح اللحاف عنى وعنه ، رحمة له وأنا أقول : يا ليتنا كان بيننا وبين هذه الإمارة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها .

تأبين عبد الملك بن عمير له :

قال : حدثنا عبد الرحمن ، عن عمه ، قال : قال عبد الملك بن عمير لما مات عمر بن عبد العزيز: رحمك الله ، يا أميرالمؤمنين ! إن كنت لغضيض الطرف ، أمين الفرج جواداً

بالحق ، بخيلاً بالباطل ، تغضب فى حين الغضب ، وترضى فى حين الرضى ، وما كنت مزّاحاً ولا عيّاباً ولا بهاتاً ولا مُغتاباً .

كلمة ملك الروم :

قال : حدثنى محمد بن معبد أن عمر بن عبد العزيز أرسل بأسارى من أسارى الروم ، ففادى بهم أسارى من أسارى المسلمين ، قال :فدخلت على ملك الروم يوماً ، فإذا هو جالس على الأرض ، مكتئباً حزيناً ، فقلت : ما شأن الملك ؟ فقال : وما ترى ما حدث ؟ قلت : ما حدث ؟ قال : مات الرجل الصالح ، قلت : من ؟ قال : عمر بن عبد العزيز، ثم قال ملك الروم : لأحسب أنه لو كان يحيى الموتى بعد عيسى ابن مريم ، لأحياهم عمر بن عبد العزيز . ثم قال : إنى لست أعجب من الراهب إن أغلق بابه ورفض الدنيا ، وترهب وتعبد ، ولكن أعجب ممن كانت الدنيا تحت قدميه ، فرفضها وترهب .

كلمة بعض الرهبان فى عمر :

قال : وعن مجاهد أنه شهد وفاة عمر بن عبد العزيز ، فمر بعبادى أو نبطى وهو يثير على ثورين له ، فقام حين مررت به فقال : من أين أقبلت ؟ أشهدت وفاة هذا الرجل ؟ فقلت له : نعم . فذرفت عيناه ، وترحم عليه ، فقلت له : لم تترحم عليه وليس هو على دينك ؟ فقال : إنى لا أبكى عليه ، ولكن أبكى على نور كان فى الأرض فطفئ.

قال : وعن الأوزاعى قال :شهدت جنازةعمر بن عبد العزيز ، ثم خرجت أريد مدينة قنسرين ، فمررت على راهب فقال : يا هذا أحسبك شهدت وفاة هذا الرجل . قال : فقلت له : نعم .فأرخى عينيه فبكى سجاماً ، فقلت له : ما يبكيك ولست من أهل دينه ؟ فقال : إنى لست أبكى عليه ، ولكن أبكى على نور كان فى الأرض فطفئ .

قال : حدثنا عبد الله بن وهب قال : سمعت مالك بن أنس يحدث أن صالح بن على حين قدم الشام سأل عن قبر عمر بن عبد العزيز ، فلم يجد أحداً يخبره ، حتى دل على راهب ، فأتى فسأل عنه ، فقال : أقبر الصديق تريدون ؟ هو فى تلك المزرعة ! .

الباب الثالث والأربعون

في ذكر المنتخب من مدائحه ومراثيه بالشعر

قصيدة كثير في مدح عمر :

قال أبو الفرج بن الجوزى : قد كانت الشعراء تمدحه فى إمارته فلما ولى الخلافة لم يؤثر ذلك ، فربما أنشدوه وهو كاره ، وقد ذكرنا قصة الشعراء معه فى باب ورعه . وممن كان يمدحه كثير بن عبد الرحمن الخزاعي ، فمن ذلك قوله :

تكلمت بالحق المبين ، وإنما ... تبين آيات الهدى بالتكلم
وقلت فصدقت الذى قلت بالذى ... فعلت ، فأمسى راضياً كل مسلم
وأظهرت نور الحق فاشتد ضوءهُ ... على كل لبسٍ فارق الحق مظلم
وعاقبت فيما قد تقدمت قبله ... وأعرضت عما كان قبل التقدم
وليت فلم تشتم علياً ولم تُخفْ ... بريئاً ولم تتبع سجية مجرم
وقد لبست لبس الملوك ثيابها ... تراءى لك الدنيا بكف ومعصم
وتومض أحياناً بعينٍ مريضة ... وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما ... سقتك مدوفاً من سمام وعلقم
وقد كنت من أجبالها فى ممنّع ... ومن بحرها فى زاخر الموج مفعم

قال : وعن « خالد بن يزيد بن » جعونة قال : كان لا يقوم أحد من بنى أمية إلا سب علياً، رضى الله عنه ، فلم يسبه عمر بن عبد العزيز ، فقال كثير عزة :

وليت فلم تشتم علياً . ولم تخف ... بريئا ، ولم تتبع سجية مجرم
وقلت فصدقت الذى قلت بالذى ... فعلت ، فأضحى راضياً كل مسلم

قال أبو الفرج رحمه الله : وفى هذا المعنى يقول الشريف الرضى رحمه الله :

أنت نزهتنا عن السب والشتم   فلو يمكن الجزاء جزيتك

قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : قال كثير بن عبد الرحمن الخزاعى فى عمر بن عبد العزيز :

هو المرء لا يبدى الأسى فى مصيبة   ولا فرحاً يوماً إذا النفس سرت
قليل الألايا حافظ ليمينه   وإن بدرت منه الألية برت

شعر جرير فى عمر :

قال الشيخ رحمه الله : وقد ذكرنا فى باب ورعه أبياتاً مدحه بها جرير ، ومن قوله فيه :

إليك رحلت يا عمر بن ليلى !   على ثقة وأنت على اعتماد
تعود صالح الأعمال ، إنى   رأيت المرء يلزم ما استعاد
إلى الفاروق تنسب ، يا بن ليلى !   ومروان الذى رفع العماد
فما كعب بن مامة ، وابن سعدى   بأكرم منك يا عمر الجواد !

قال الشيخ رحمه الله : كعب بن مامة هو الأيادى ، وابن سعدى أوس بن حارثة بن سلام الطائى :

هنيئاً للمدينة إذ أهلت   بأهل الملك أبدى ثم عادا
يعود الملك منك على قريش   وتفرج عنهم الكرب الشدادا
وقد لينت وحشتهم برفق   ويغنى الناس وحشك أن يصادا
وتبنى المجد ، يا عمر ابن ليلى   وتكفى الممحل السنة الجمادا
وتدعو الله مجتهداً ليرضى   وتذكر فى رعيتك المعادا
ونعم أخو الحروب إذا تردى   على الزعف المضاعفة النجادا
وأنت أبو الخضارم من قريش   هم نصروا النبوة والجهادا
وقادوا المؤمنين ولم تعوّد   غداة الروع خيلهم القيادا
إذا فاضلت مدك من قريش   بحور عم زاخرها الثمادا

---

(١) جمع ألية بالتشديد وهى اليمين .

قوله « الزعف » الدرع الصغيرة الحلق . « والنجاد » : حمائل السيف وقال أيضاً :

إن الذى بَعث النبى محمداً ... جعل الخلافة فى الإمام العادل
ولقد نفعت بما منعت تحرجاً ... مكس العشور على جسور الساحل
قد نال عدلك من أقام بأرضنا ... فإليك حاجة كل وفد راحل
إنى لآمل منك خيراً عاجلا ... والنفس مولعة بحب العاجل
والله أنزل فى الكتاب فريضة ... لابن السبيل وللفقير العائل

رثاء جرير فى عمر :

فلما توفى عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، رثاه الشعراء فقال جرير ، فيما أخبرنا به محمد بن عبد الباقى ، عن جعونة قال: قال جرير حين مات عمر بن عبد العزيز :

تنعى النعاة أمير المؤمنين لنا ... يا خير من حج بيت الله واعتمرا
حملت أمراً عظيماً فاضطلعت به ... وسرت فيه بحكم الله يا عمرا
الشمس طالعة ليست بكاسفة ... تبكى عليك ، نجوم الليل والقمرا

قال ابن حبيب : تبكى عليك الدهر قال ..... كاسفة نجوم الليل والقمرا وهذا بعيد .

رثاء الفرزدق فى عمر :

قال أبو بكر بن عياش : قال الفرزدق ، لما مات عمر بن عبد العزيز :

كم من شريعة حق قد شرعت لهم ... كانت أميتت وأخرى منك تنتظر
يا لهف نفسى ولهف اللاهفين معى ... على العدول التى تغتالها الحفر

رثاء محارب فى عمر

قال : حدثنا عمرو بن صالح الزهرى قال : حدثنى الثقة قال : لما بلغ بن دثار موت عمر ابن عبد العزيز ، دعا بكاتبه فقال : اكتب ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : امحه ، فإن الشعر لا يكتب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال :

لو أعظم الموت خلقاً أن يواقعه لعدله ، لم يصبك الموت ياعمر !
كم من شريعة حق قد نعشت لهم كادت تموت وأخرى منك تنتظر
يا لهف نفسى ولهف الواجدين معى على العدول التى تغتالها الحفر
ثلاثة ما رأت عينى لهم شبهاً تضم أعظمهم فى المسجد الحفر
وأنت تتبعهم لم تأل مجتهداً سعيداً ، لهم سنن بالحق تفتقر
لو كنت أملك والأقدار غالبة تأتى رواحاً وتبياناً وتبتكر
صرفت عن عمر الخيرات مصرعه بدير سمعان لكن يغلب القدر

مرات أخرى :

قال : حدثنا حنظلة بن عبد العزيز بن ربيع بن سبرة ، عن أبيه ، عن ابن لعمر بن عبد العزيز قال : قال الشاعر يذكر عمر :

قد غادر القوم فياللحد الذى لحدوا بدير سمعان ،جيران الموازين
أقول لما نعى الناعون لى عمراً لا يبعدان قضاء العدل والدين

قال : حدثنا حرملة بن عبد العزيز قال : حدثنى أبى عن ابن لعمر بن عبد العزيز قال : أمرنا أن نشترى موضع قبره ، فاشتراه من الراهب ، قال : فقال الشاعر :

أقول لما نعى الناعون لى عمراً لا تبعدن قضاء العدل والدين
قد غادر القوم فى اللحد الذى لحدوا بدير سمعان جيران الموازين

قال : وعن نافع بن أبى نعيم قال : رثى رجل من موالى أهل المدينة عمر بن عبد العزيز فقال :

قد غيب الدافنون اللحد إذ دفنوا بديرسمعان ، حرثان الموازين
من لم يكن له عيناً يفجرها ولا النخيل ، ولا ركض البراذين

قال :حدثنا مسبح بن حاتم قال : أنشدنا ابن عائشة يرثى عمر بن عبد العزيز فقال :

أقول لما نعى الناعون لى عمراً لا يبعدن قوام الحق والدين
لم تلهه عمره عين يفجرها ولا النخيل ، ولا ركض البراذين
قد غيب .... اليوم إذ غمسوا بدير سمعان ، قسطاس الموازين

الباب الرابع والأربعون
في ذكر تركته التي خلف

قال : وعن سليمان - يعني بن داود - أن عمر بن عبد العزيز قال لبنيه : لا تتهموا الخازن فإني لا أدع إلا أحداً وعشرين ديناراً ، فيها لأهل الدير أجر مساكنهم ، وثمن حقلة كانت له فيه ، وموضع قبره ، رحمه الله تعالى .

وعن عمر بن حفص المعيطي قال : حدثنا عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، قال : قلت : كم ترك لكم من المال ؟ فتبسم وقال: حدثني مولى لنا كان يتولى نفقته ، قال : قال لي عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه حين احتضر : كم عندك من المال ؟ قلت : أربعة عشر ديناراً قال : فقال : تحتملون بها من منزل إلى منزل ، فقلت : كم ترك لكم من الغلة ؟ قال : ترك لنا غلة ستمائة دينار ورثناها عنه ، عن اختيار ، عبد الملك . وتركنا اثنى عشر ذكراً وست نسوة ، فقسمناها على خمس عشرة .

قال : الشيخ المصنف رحمه الله : وبلغني أن المنصور قال لعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه: عظني قال : بما رأيت أو بما سمعت ؟ قال : بما رأيت . قال : مات عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، وخلف أحد عشر ابناً وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً ، كفن بخمسة دنانير ، واشترى له موضع قبره بدينارين « وقسم الباقي على بنيه » وأصاب كل واحد من ولده « تسعة عشر درهماً » مات هشام « بن عبد الملك ، وخلف أحد عشر ابناً » « فقسمت تركته » وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف ، ورأيت رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز ، قد حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله ، عز وجل ، ورأيت رجلاً من ولد هشام يتصدق عليه

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين إلى يوم الدين . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ، ونعم النصير

تم الكتاب بعون الله تعالى

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الباب العاشر	٤٢
في ذكر الهاتف بخلافته	٤٢
الباب الحادى عشر	٤٣
فيما يروى أنه مذكور فى الكتب الأول	٤٣
عمر بن عبد العزيز فى الإسرائيليات	٤٣
الباب الثانى عشر	٤٤
فى ذكر خلافته	٤٤
حمى دابق التى مات بها سليمان	٤٤
كيف عهد سليمان إلى عمر	٤٥
عهد سليمان إلى عمر	٤٥
حديث عمر وهشام مع رجاء	٤٦
أثر رجاء فى استخلاف عمر	٤٧
تواضع عمر وسلوكه عقب استخلافه	٤٧
عود إلى أخبار استخلاف عمر	٤٨
اهتمام عمر بما لأفراد الأمة على الخليفة من حقوق	٤٩
خطبته عقب استخلافه	٥٠
ابن عمر يعظ عمر	٥١
إجلال الخوارج لعمر	٥١
سرور الناس باستخلاف عمر	٥٢
سباق الخيل فى دولة بنى أمية	٥٢
خطبة عمر	٥٣
زهد عمر فى التمتع	٥٤
حالة جسمه ولباسه وهو خليفة	٥٤
الباب الثالث عشر	٥٥

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
ومنهن أم عمار وأم عبد الله	٢٤٥
الباب التاسع والثلاثون	٢٤٦
في ذكر مرضه ووفاته	٢٤٦
سياق بدء مرضه	٢٤٦
تقتله خشية الله	٢٤٦
سياق ما روى أنه سُقى السم	٢٤٦
سياق مكتوباته في مرضه إلى يزيد بن عبد الملك	٢٤٧
رجلان عظيمان	٢٤٨
سياق ما جرى له مع أولاده عند الموت	٢٤٨
هلا غير ذلك يا مسلمة ؟	٢٤٩
ما منعتهم حقاً لهم ، ولم أعطهم ما ليس لهم	٢٤٩
سياق وصيته إلى من يغسله ويكفنه	٢٥٠
كيف وجدوه بعد استقراره في القبر	٢٥٠
سياق ما روي في تخيره موضع قبره	٢٥١
تواضعه عن أن يدفن في الروضة النبوية	٢٥٢
سياق كراهيته تهوين الموت عليه	٢٥٢
سياق ما جرى له في حال احتضاره	٢٥٣
الجزء الحادي عشر	٢٥٤
الباب الأربعون	٢٥٤
في ذكر تاريخ موته ، ومبلغ سنه ، وموضع دفنه	٢٥٤
الباب الحادي والأربعون	٢٥٥
في ذكر ما روى أن السماء والأرض بكتا عليه	٢٥٥
الباب الثاني والأربعون	٢٥٦
في ذكر تأبين الناس له بعد موته وحزنهم عليه	٢٥٦

